المرأة والكتابة في السودان: بنت النيل تتكلم ص10-13

فلاديمير بوتين

زعيم استثنائي يقود مصالح بلاده عبر حقول ألغام لا ترحم

ص8

أي دور لمؤسسة قطر الدولية في واشنطن ص7

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/01/13

07 جمادى الاولى 1440

السنة 41 العدد 11227

Sunday 13/01/2019

41st Year, Issue 11227

هاجس الانقلاب يدفع البشير إلى نشر الجيش في الخرطوم

● النظام السوداني يراهن على تدفق الدعم الخارجي لامتصاص الغضب الشعبي

❑ **الخرطوم** – عكس الانتشار الكثيف للجيش ومدرعاته في أنحاء العاصمة السودانية حجم الخوف الذي بات يسيطر على السلطات بسبب توسع دائرة الاحتجاج، وخروج مطالب المتظاهرين من البعد المطلبي المباشر إلى الدعوة إلى إسقاط النظام.

يأتي هذا فيما يراهن الرئيس السوداني عمر البشير على وصول الدعم الخارجي الذي يستطيع من خلاله امتصاص الغضب الشعبي.

ونجح المتظاهرون، بعد أن استمروا بالاحتجاج لأكثر من ثلاثة أسابيع بشكل سلمي، في تحقيق نصر معنوي على السلطات التي بات همها الآن إطلاق الوعود بتحسين الوضع الاجتماعي والسياسي، وعرض خطوات للإصلاح السياسي بشكل مرتجل مثل التعهّد بتشريك أوسع للشباب في الانتخابات.

ولا يعني الاستنجاد بالجيش شيئا آخر غير إحساس الرئيس السوداني عمر البشير بأن الأمور قد تنفلت من بين يديه، وأن الوضع المتردي ربما يشجع بعض القيادات العسكرية المناوئة له على استثمار اللحظة في بلد لديه تقاليد في الانقلابات.

وتواردت تسريبات عن أن قيادات عسكرية لم تخف للبشير معارضتها لإدارة الحكومة لهذه الأزمة، وخاصة مواجهة المحتجين بالقوة، وفرض زيادات في الأسعار وضرائب في وقت يعيش فيه السودانيون وضعا صعبا بسبب خيارات "الإصلاح الاقتصادي" غير المحسوبة.

ويعتقد أن نشر المدرعات في الشوارع سيكون مقدمة لإعلان حالة الطوارئ للضغط من أجل تراجع الاحتجاجات خاصة بعد أن لحقت بها فئات مؤثرة مثل الأطباء والصيادلة والمهندسين والمحامين وأساتذة الجامعات والطلبة.

وتسيطر على الرئيس السوداني هواجس الانقلاب واستلام الجيش للسلطة، وهو ما أشار إليه منذ أيام حين قال "الذين تآمروا على السودان وزرعوا (وسطنا) الخونة والعملاء.. يريدون للجيش أن يتسلم السلطة.. ما عندنا مانع، لأن الجيش لما يتحرك، ما بيتحرك دعما للعملاء، (وإنما) بيتحرك دعما للوطن".

ويشهد السودان منذ 19 ديسمبر 2018 تظاهرات بدأت احتجاجا على زيادة سعر الخبز، لكنها سريعا ما تحولت إلى حركة احتجاج ضد نظام البشير الذي يواجه أكبر تحدّ منذ توليه الحكم في 1989.

وقال "تجمع المهنيين السودانيين" الذي يضم قطاعات عديدة بينها أطباء وأساتذة جامعيون ومهندسون، الجمعة، "سنبدأ أسبوع الانتفاضة الشاملة بتظاهرات في كل مدن وقرى السودان".

ودعا الاتحاد في بيان له إلى "مسيرة الأحد" في شمال الخرطوم و"مسيرات من مختلف أجزاء العاصمة" الخميس المقبل.

وفي حين يلقى البشير معارضة واسعة فإنه ما زال يراهن على دعم خارجي سخي يساعده على الخروج من عنق الزجاجة، وخاصة ما أسماه المنحة "المليارية" من الصين. لكن هذا الدعم قد لا يصل في الوقت الذي يحتاجه النظام السوداني.

وكان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي قال الأسبوع الماضي إثر استقباله مستشارا مقربا من البشير إن "مصر تدعم بالكامل أمن واستقرار السودان الأساسيين لأمنها الوطني".

ولاحظ دبلوماسي أوروبي طلب عدم كشف هويته أن السياسة الخارجية للبشير "تمليها من كل جانب الضغوط الاقتصادية".

ويستفيد البشير بوجه خاص من صمت المجتمع الدولي عن التجاوزات التي تقوم بها الشرطة في مواجهة الاحتجاجات، ما يوحي برسالة سلبية تترك للسلطات السودانية حرية التحرك لإفشال الانتفاضة وإسكات أصوات خصومها بالقوة.

وطالب الاتحاد الأوروبي، الجمعة، بـ"نزع فتيل التصعيد" والإفراج عن جميع المعارضين المعتقلين "تعسفا". لكن مراقبين محليين اعتبروا أن البيان لا يعدو أن يكون مجرد تسجيل موقف تقليدي.

وعانى اقتصاد السودان كثيرا من حظر فرضته في 1997 الولايات المتحدة بداعي دعم نظام البشير تنظيمات إسلامية، بعد أن استضاف في تسعينات القرن الماضي خصوصا أسامة بن لادن.

وأتاح تعزيز التعاون مع واشنطن رفع الحظر في 2017 لكن ذلك لم يؤدّ إلى النتائج المتوخاة خصوصا مع إبقاء واشنطن السودان على لائحة الدول الداعمة "للإرهاب" منذ 1993.

وللخروج من الأزمة الاقتصادية كان على السودان التعويل على شركاء آخرين.

وفي ديسمبر 2018 قبل أيام من بدء حركة الاحتجاج، التقى البشير في دمشق الرئيس السوري بشار الأسد. وكان بذلك أول رئيس عربي يزور سوريا منذ 2011.

وبحسب خبراء فإن الهدف من الزيارة التقارب مع روسيا الحليف الموثوق لسوريا والقوة النافذة في الشرق الأوسط.

وكان البشير تخلى في 2016 عن حليفه الإيراني وانضم إلى التحالف الذي تقوده الرياض ضد المتمردين في اليمن المدعومين من طهران.

وبحسب وسائل إعلام فإن المئات من الجنود السودانيين يقاتلون في صفوف التحالف في اليمن.

ويؤخذ على البشير تغيير تحالفاته بشكل دائم ما يجعل تحالفاته الخارجية هشة، ويعيق خيارات الدعم الذي عادة ما تقدمه الدول العربية الغنية لدعم اقتصاديات الدول الفقيرة أو التي تعيش أزمات اقتصادية أو أمنية.

متى تتبدد الغيوم

من جانب آخر، استثمرت قوى أخرى على غرار الصين المليارات من الدولارات في السودان في العقود الأخيرة.

وتقول آمال الطويل من مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في القاهرة إن الموقع الاستراتيجي للسودان في القرن الأفريقي يشكل نعمة للبشير.

وأضافت أن "القوى الدولية والإقليمية لن تترك السودان ينهار" معتبرة مع ذلك أن كل شيء رهن "طريقة تطور موازين القوى في الشارع".

العثماني: أياد خفية وراء أزمة العدالة والتنمية

محمد بن امحمد العلوي

❑ **الرباط** – ألقى قياديون في حزب العدالة والتنمية المغربي الحاكم بالمسؤولية على جهات خفية في فشل أدائهم الحكومي، فضلا عن الهزات والفضائح التي يتعرض لها الحزب.

جاء ذلك خلال مداخلات تم إلقاؤها بمناسبة انعقاد المجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية السبت والأحد.

وقال رئيس الحكومة والأمين العام للحزب سعدالدين العثماني، إن هناك محاولات لإرباك وتبخيس عمل الحزب والحكومة، وذلك "بعد خمس سنوات قيَّم الشعب فيها عمل الحكومة وأعطى للحزب ولاية ثانية رغم وجود معارضة ظاهرة وأخرى خفية".

وشدد العثماني في افتتاح برلمان الحزب، صباح السبت بالمعمورة، على أن حزبه يشتغل لخدمة المواطنين، وعلى الأطراف السياسية الأخرى واللوبيات التي من ورائها أن تعي أن العدالة والتنمية لا يشتغل إلا من أجل إرضاء المواطنين.

ومن الملفات المعروضة على جدول أعمال هذه الدورة، قضية القياديين بالحزب عبدالعالي حامي الدين الذي يتابع بتهمة قتل أحد اليساريين في 1993، وأمينة ماء العينين التي سربت صور لها بباريس دون حجاب.

وفي كلمته، اعتبر إدريس الأزمي رئيس المجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية، أن الحزب يتعرض لاستهداف وهزات وتحولات متواصلة.

ومن الواضح أن هناك توجها رسميا لحزب العدالة والتنمية يقوم على اتهام جهات غير معلومة بالوقوف وراء أزمة الحزب، وأن الالتجاء إلى نظرية المؤامرة والمظلومية قد يساعد في التغطية على أخطاء قيادييه التي ترقى إلى درجة الفضائح.

وفي سياق ما اعتبره الحزب حملة ضده أكد العثماني أن بعض خصوم الحزب استغلوا الأحداث الإرهابية لاستهدافه وللإساءة إليه والدعوة إلى حله، ولا يزال لهذه الدعوات صدى في آذاننا ولا تزال هناك محاولات لعزلنا.

ويُشار إلى أن الأمانة العامة للحزب كانت قد اعتبرت أن حملات الاستهداف السياسي والإعلامي للحزب من خلال استهداف بعض مناضليه، "أسلوب مرفوض ودنيء، ودليل عجز عن مواجهته في ميدان التنافس السياسي الشريف"، مضيفة أن هذه الحملات "لن تنال من قوة الحزب وتماسكه الداخلي وعافيته التنظيمية".

اتفاق الحديدة بوابة بريطانيا لعودة قوية إلى اليمن

● مشروع قرار بريطاني يدعو إلى توسيع مهمة المراقبين الأمميين ● نشر 75 مراقبا لفترة أولية بستة أشهر

❑ **نيويورك** – تسعى بريطانيا إلى الانفراد بملف اليمن ووضع حل على مقاسها في الحديدة دون مراعاة تعقيدات الملف والأطراف الفاعلة فيه.

وتتحرك لندن بكل ثقلها في مجلس الأمن لتمرير مشروع قرار لتوسيع مهمة المراقبين الدوليين المكلفين بالإشراف على تطبيق وقف إطلاق النار في الحديدة، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية إلى الملايين من السكان الذين يواجهون خطر المجاعة.

ويقول يمنيون إن بريطانيا لم تكتف بأن المبعوث الأممي إلى اليمن مارتن غريفيث بريطاني، بل صارت تريد أن تسيّر الأمور في مجلس الأمن حسب أجندتها وحساباتها، وسط تخوفات من أن لندن تسعى للإمساك بملف الحديدة وتفاصيله في مدخل لتبرير عودتها القوية إلى اليمن.

وتوقّع دبلوماسيون أن يطرح مجلس الأمن الدولي مشروع القرار البريطاني على التصويت الأسبوع المقبل.

وينصّ المشروع على نشر نحو 75 مراقبا في الحديدة وميناءها وفي مرفأي الصليف وراس عيسى لفترة أولية مدّتها ستة أشهر.

وكانت المحادثات اليمنية التي جرت في السويد بإشراف الأمم المتحدة توصّلت إلى اتفاق ينص على نشر الأمم المتحدة فريقا من المراقبين الدوليين.

وتنشر الأمم المتحدة في الوقت الراهن فريقا صغيرا من 16 مراقبا دوليا في اليمن بقيادة الجنرال الهولندي باتريك كاميرت، بموجب قرار صدر الشهر الماضي إثر التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار.

وتقول الأمم المتحدة إن وقف إطلاق النار الذي دخل في 18 ديسمبر حيّز التنفيذ صامد عموما، لكن هناك عقبات تعترض انسحاب المتمرّدين من مدينة الحديدة.

ويدعو مشروع القرار الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلى "تسريع" نشر كامل البعثة التي يقودها الجنرال الهولندي باتريك كاميرت.

وينص الاتفاق الموقع في السويد على أن يعقد الطرفان لقاء في يناير الجاري، لكن دبلوماسيين قالوا إن هذا الموعد قد أرجئ بسبب تعطل التنفيذ على الأرض.

وسيكون على عاتق البعثة الأممية الجديدة لدعم اتفاق الحديدة تدعيم اتفاق ستوكهولم عبر الإشراف على الهدنة، وانسحاب المقاتلين وضمان أمن المدينة.

ويعمل المبعوث الأممي بشكل لافت على عدم إغضاب المتمردين الحوثيين بالرغم من التجاوزات الكثيرة التي عمدوا إليها في تنفيذ الاتفاق ورفضهم الانسحاب وبدلا من ذلك عمدوا إلى التمويه ووضع عناصر تابعة لهم في الموانئ.

ولم يغير هجوم المتمردين على قاعدة العند واستهداف قيادات عسكرية يمنية بارزة رأي غريفيث الذي بدا في كلمته، الأربعاء، أمام مجلس الأمن هادئا وكأن شيئا لم يحصل، وسط تحذيرات يمنية من أن التغطية على تجاوزات المتمردين قد تخدم صورة غريفيث وتطيل إشرافه على الملف اليمني، لكنها لن تزيد المتمردين سوى التعنت وتفتح الطريق إلى عودة المواجهات.

وطالب المبعوث الأممي، الأربعاء، طرفي النزاع بالدفع إلى تحقيق "تقدم كبير" لإرساء الهدنة قبل انعقاد جولة المحادثات المقبلة.

وفي أول ردّ له على استهداف قاعدة العند، كتب مكتب غريفيث في تغريدة على حسابه على موقع تويتر أنه "يحث كل أطراف الصراع على ممارسة ضبط النفس".

وناشد غريفيث "أطراف الصراع العمل على خلق مناخ موات للحفاظ على الزخم الإيجابي الناتج عن مشاورات السويد وعن استئناف عملية السلام اليمنية".

واندلعت اشتباكات، صباح السبت، في الحديدة بين القوات الموالية للحكومة والمتمردين الحوثيين، رغم الهدنة الهشة في المدينة.

اختلف الخطاب ولم تختلف السياسة

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

أويحيى يدخل في عزلة سياسية تمهد الطريق لرحيله

الاستقرار على خيار الولاية الخامسة لبوتفليقة يؤجل طموح المتنافسين

تعرض حزب التجمع الوطني الديمقراطي، بقيادة رئيس الوزراء أحمد أويحيى، إلى نكسة في سباق الانتخابات النصفية الأخيرة لمجلس الأمة الجزائري، وأمام نجاح حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم في الهيمنة على البرلمان، يسهم تراجع التجمع الوطني الديمقراطي الذي احتل المرتبة الثانية بدوره في تراجع طموح أويحيى السياسي لخلافة الرئيس المريض عبدالعزيز بوتفليقة، مع توقعات بالاستغناء عنه في رئاسة المجلس التنفيذي في ظل الصراع المستمر على السلطة، وكمحاولة لإزاحته من على الواجهة مع اقتراب السباق الرئاسي.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – يلمّح تهاوي مؤشرات رئيس الوزراء ورئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي، بشكل لافت في بورصة المشهد السياسي الجزائري، إلى سقوط ورقة أحمد أويحيى كجناح فاعل في الاستحقاق الرئاسي القادم، بعد ميلان كفة تجديد الولاية الخامسة لبوتفليقة، وتراجع حظوظ حزب السلطة الثاني، في انتخابات التجديد النصفي لمجلس الأمة.

وتوترت العلاقة بشكل مفاجئ بين حزبي السلطة الجزائرية، (جبهة التحرير الوطني والتجمع الوطني الديمقراطي) على خلفية انتخابات التجديد النصفي لمجلس الأمة (الغرفة الثانية للبرلمان)، ووصلت إلى حدّ تبادل الاتهامات حول ممارسات غير أخلاقية حامت حول الانتخابات المذكورة.

> الحصيلة الهزيلة لحزب التجمع الوطني الديمقراطي في انتخابات التجديد النصفي، وسيطرة لوبيات المال السياسي على أجواء الاقتراع، تلمّحان إلى إمكانية رحيل أويحيى، من رئاسة الجهاز التنفيذي، ليكون بذلك أولى ضحايا المرحلة الجديدة التي تمهّد للانتخابات الرئاسية

وجرت نهاية الشهر المنقضي، انتخابات التجديد النصفي (48 مقعدا)، حيث عادت الهيمنة إلى الحزب الحاكم، في حين جاءت حصيلة الحزب الثاني للسلطة هزيلة، الأمر الذي شكل صدمة لقيادة التجمع الوطني الديمقراطي، بعدما فقدت العديد من المقاعد النيابية في معاقلها التاريخية، الأمر الذي سيهدد أفضليتها في قيادة الغرفة البرلمانية، في ظل الحديث عن انسحاب عبدالقادر بن صالح، رئيس الغرفة الثانية للبرلمان لأسباب صحية.

وتحتل نتائج انتخابات التجديد النصفي لمجلس الأمة الجزائري أهمية خاصة هذه المرة، لارتباطها بشكل أو بآخر بالرئاسيات المقررة في ربيع 2019، خاصة وأن رئيس المجلس هو بنص الدستور الرجل الثاني في الدولة، ومن يتولى قيادتها (مؤقتا) في حال شغور منصب الرئيس.

وتهاوت مؤشرات أحمد أويحيى في المشهد السياسي المحلي بشكل لافت، خلال الأسابيع الأخيرة، فبعدما كان يمثل أحد خيارات السلطة لدخول الاستحقاق الرئاسي القادم، سواء كمرشح لخلافة بوتفليقة أو كنائب رئيس بموجب تعديل دستوري، للتكيف مع الوضع الجديد، صار الرجل إحدى ضحايا تزوير الانتخابات، وحزبه المستهدف الأول من عمل آلة تحديد النتائج النهائية، ومن غير المستبعد أن يسعى حزب جبهة التحرير إلى استعادة رئاسة المجلس، إذا ما تمكن من استمالة الثلث الرئاسي المعين (بعض أعضائه من جبهة التحرير)، وتغيرت موازين القوى داخل دواليب السلطة، التي ما زالت متمسكة بإحداث توازن بين الحزبين "الحاكمين"، لتفادي محاولة جبهة التحرير الاستقلال بقرارها بعيدا عن السلطة.

وانتقد حزب أحمد أويحيى بشدة ما أسماه بـ"الظروف المشحونة والممارسات غير الأخلاقية التي سادت عملية الانتخاب، والضغط الذي مارسه الحزب الغريم على المنتخبين المحليين بتواطؤ جهات إدارية"، وتوجه الحزب بشكاوى للرئيس عبدالعزيز بوتفليقة، "لإنصافه من تجاوزات الحزب الحاكم".

وفيما عادت الأغلبية (32 مقعدا) لحزب جبهة التحرير الوطني، لم تتعد حصيلة التجمع الوطني الديمقراطي الـ13 مقعدا، وجرت الانتخابات النصفية التي يصوت فيها منتخبو المجالس المحلية (البلديات والولايات) في أجواء مشحونة تحولت إلى أحداث عنف في بعض المحافظات، كما هو الشأن في محافظة تلمسان في أقصى غرب البلاد، مما اضطر المجلس الدستوري إلى إعادة تنظيمها الخميس الماضي.

ورغم التناغم الذي ميز علاقة الحزبين خلال مساعي الإطاحة برئيس البرلمان سعيد بوحجة، في شهر نوفمبر الماضي، وبروز تنسيق كبير بين قيادة الحزبين لفرض ما أسماه حينها أحمد أويحيى، سياسة الأمر الواقع، بعدما انتقد بخرق التشريع الدستوري، فإن الرجل دخل في عزلة سياسية في الآونة الأخيرة، لا سيما بعد منعه من طرف الرئاسة لعرض بيان السياسة العامة أمام البرلمان. وإن حاول الرجل نفي المسألة وتبريرها بـ"الأجندة الدبلوماسية"، فإن الحصيلة الهزيلة في انتخابات التجديد النصفي لمجلس الأمة، وسيطرة لوبيات المال السياسي على أجواء الاقتراع، تلمحان إلى إمكانية رحيل أويحيى، من رئاسة الجهاز التنفيذي، ليكون بذلك أول ضحايا المرحلة الجديدة التي تمهد للانتخابات الرئاسية القادمة.

وتبادل الحزبان تهم ممارسة الفساد السياسي والمالي وشراء الذمم، حيث تداولت دوائر مختلفة وناشطون على شبكات التواصل الاجتماعي، منشورات وتسجيلات لأساليب شراء الأصوات التي وصلت إلى سقف ما يعادل الألفي دولار، بينما كانت أخرى في شكل هدايا وإكراميات ثمينة تتراوح بين الألف والألفي دولار.

نكسة الانتخابات النصفية تضعف أويحيى

وقدر متابعون نفقات وتكاليف منصب النيابة في مجلس الأمة في الاستحقاقات الأخيرة، بما فيها التي جرت نهاية الشهر الجاري، بمئة ألف دولار في أحسن الحالات، وهو ما يفوق بكثير مداخيل الأجرة الشهرية والمنح التي يتلقاها النائب طيلة عهدته النيابية (ست سنوات)، ما يؤكد أن المسألة تتعلق بشراء حصانة لتحقيق أغراض وصفقات تدر عشرات أضعاف التكاليف.

وذكر مصدر مطلع لـ"العرب" أن "مرشح حزب جبهة التحرير الوطني في محافظة بوسط البلاد، (حاز على المنصب) هو رجل أعمال وإحدى أذرع رجل الأعمال النافذ في السلطة علي حداد"، ما يؤكد هيمنة لوبيات المال السياسي على استحقاق التجديد النصفي، وعلى تغلغل ما يعرف بـ"منتدى رجال الأعمال" داخل مؤسسات الدولة، الذي تحول مؤخرا إلى نقابة تدافع عن مصالح رجال الأعمال.

ومع اقتراب السلطة من الاستقرار على خيار الولاية الرئاسية الخامسة لبوتفليقة، سيخلط بذلك أوراق طموح أويحيى لاعتلاء قصر المرادية (القصر الرئاسي)، ويقلص حظوظه في أداء دور مهم في المرحلة المقبلة، في ظل المؤشرات التي تلمح إلى الاستغناء عنه قريبا. وتواترت بوادر رحيل الرجل مؤخرا بداية من منعه من عرض بيان السياسة العامة للحكومة أمام البرلمان، إلى نكسته في انتخابات التجديد النصفي، ومرورا بتمرد الطاقم الوزاري عليه، حيث يغيب الانسجام والتكامل منذ أشهر على أداء الوزراء، ولجوئه للتعبير عن مواقفه المتعلقة بالشأن العام بقبعة رئيس الحزب، رغم أنه يشغل منصب رئيس الوزراء منذ أغسطس 2017، وهو المسؤول الأول عن انشغالات الرأي العام.

الغنوشي: لست معنيا بالترشح لرئاسيات 2019

❑ **تونس** – قال رئيس حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي، إن حركته "ستشارك رسميا في الانتخابات الرئاسية المقررة نهاية العام الجاري"، مؤكدا أنه "غير معني شخصيا بالترشح". وجاء ذلك خلال محاضرة ألقاها الغنوشي السبت، على منبر مركز الدراسات الاستراتيجية والدبلوماسية (مستقل) بالعاصمة التونسية.

وأوضح الغنوشي أن "النهضة لم تحدد بعد طريقة مشاركتها في رئاسيات 2019، وما إذا كانت ستقدم مرشحا من داخلها أو تزكية مرشّح توافقي آخر من خارجها". وأشار إلى أنه "غير معني شخصيا بالترشح للانتخابات الرئاسية المقبلة، وأنه ليست لديه نيّة للترشح لرئاسة تونس".

واعتبر رئيس الحركة أن "النهضة في الانتخابات الماضية (2014)، كانت على موقع الحياد، وقامت بمعارك غيرنا، لكن هذه المرة ستشارك رسميا في الرئاسيات".

واستطرد قائلا "عندما لا يشارك الحزب الأكبر في البلد (في إشارة إلى حزبه الذي يمتلك الأغلبية البرلمانية 68 مقعدا من أصل 217) في الانتخابات، هذا يعد مسّا بالديمقراطية".

وشدّد على "ضرورة إجراء الانتخابات في موعدها، باعتبارها استحقاقا دستوريا وقانونيا، وتمثل صورة تونس في العالم". وأضاف الغنوشي أن "الورقة الرابحة لتونس أن لنا انتقالا ديمقراطيا ولا ينبغي أن نخسر هذه الورقة".

ومن المنتظر أن تنظم تونس نهاية العام الجاري انتخابات تشريعية ورئاسية.

ونفى الغنوشي الاتهامات التي وجهتها هيئة الدفاع في قضية اغتيال المعارضين اليساريين التونسيين شكري بلعيد ومحمد البراهمي إلى حركته بامتلاكها جهازا سريا متورّطا في عمليات الاغتيال.

وقال الغنوشي، في هذا السياق "النهضة لا تمتلك أي جهاز سري"، معتبرا أن "اتهام النهضة بامتلاكها جهازا سريا يندرج في إطار التوظيف السياسي والمزايدات".

ووجّهت هيئة الدفاع عن المعارضين شكري بلعيد ومحمد البراهمي اللذين اغتيلا عام 2013 اتهاما للنهضة بامتلاكها جهازا سريا تورّط في اغتيال بلعيد والبراهمي خلال حكم الترويكا الذي قادته النهضة.

وأعلنت هيئة الدفاع في مؤتمر صحافي الخميس، أن أدلة جديدة توصل إليها القضاء إثر اطلاعه على وثائق بوزارة الداخلية، تثبت تورط عنصر يدعى مصطفى خذر مقرب من النهضة، وبصدد قضاء عقوبة في السجن، في حادثة اغتيال البراهمي.

وقال متحدث باسم محكمة تونس سفيان السليطي إن قاضي التحقيق وجّه بالفعل تهمة القتل العمد إلى مصطفى خذر غير أن التحقيق لم ينته بعد. وبخصوص الجهاز السري لحركة النهضة أوضح السليطي بأن النيابة العامة تنظر في المعطيات المرتبطة بهذا الملف.

وسبق أن كشفت الهيئة في أكتوبر الماضي عن وثائق قالت إنها تدين حركة النهضة الإسلامية بامتلاك "جاهز سري" مورط في اختراق أجهزة الدولة، وفي أنشطة تجسس والتستر على معطيات تخص اغتيال بلعيد والبراهمي في 2013، وهو ما نفاه الحزب.

وبدأت محكمة تونس جلسات محاكمة في قضيتي الاغتيال منذ 2015 تشمل العشرات من المتهمين بينهم عناصر في حالة فرار، غير أنها لم تصدر أحكاما حتى اليوم، إذ يجري تأجيل الجلسات بشكل مستمر.

المغرب يندد لدى مجلس الأمن بانتهاكات البوليساريو في الصحراء المغربية

البوليساريو تستفز الرباط بإجرائها مؤخرا مناورات عسكرية بالمنطقة العازلة

❑ **الرباط** – ندّد المغرب في رسالة وجهها الخميس إلى مجلس الأمن، بانتهاكات واستفزازات جبهة بوليساريو في الصحراء المغربية والتي قال إنها تهدد وقف إطلاق النار الساري.

وأخذ المغرب في رسالته التي تضمنت صورا، على البوليساريو تنظيمها في 6 يناير تدريبات عسكرية في منطقة لمهيريز وتدشينها في اليوم التالي مقار إدارية في البلدة ذاتها. وأضافت الرسالة أن البوليساريو نشرت في 8 يناير عربات عسكرية في منطقة غيرارات العازلة بحسب الرباط. وأن "المملكة المغربية تدين بشدة هذه الممارسات المزعزعة للاستقرار والتي تهدد بشكل خطر وقف إطلاق النار".

وتابعت "يدعو المغرب مجلس الأمن والأمانة العامة للأمم المتحدة وبعثة الأمم المتحدة (المحلية) إلى إدانة هذه الانتهاكات ومطالبة بوليساريو بوقفها فورا وتنفيذ تعهداتها واحترام قرارات مجلس الأمن".

وحذرت الحكومة المغربية من انتهاكات جبهة البوليساريو لعملية وقف إطلاق النار بإقليم الصحراء المتنازع عليه لما من شأنه أن يهدد الاستقرار بالمنطقة، بعد أن تداولت تقارير إعلامية قيام البوليساريو بمناورات عسكرية بالمنطقة العازلة خلال الأيام القليلة الماضية، وذلك في مؤتمر صحافي، عقده المتحدث باسم الحكومة مصطفى الخلفي، الخميس، بالعاصمة الرباط، عقب انتهاء اجتماع للمجلس الحكومي. وقال الخلفي إن "من شأن هذه الانتهاكات أن تؤدي إلى المس بالاستقرار"، واصفا إياها بـ"الاستفزاز الصادر عن الانفصاليين (يقصد البوليساريو)". ولفت إلى أن "الأمم المتحدة سبق أن دعت إلى الامتناع عن أي عمل في المنطقة العازلة". وبحسب الخلفي فإن "عملية تبليغ الأمم المتحدة عن كل انتهاكات الانفصاليين لاتفاق إطلاق النار تتم بشكل منتظم ومستمر". وأوضح أن "هناك رصدا ويقظة من طرف بلاده عما يقع، من أجل أن تتحمل الأمم المتحدة مسؤوليتها".

استفزازات البوليساريو متواصلة

وأشار الخلفي إلى "قرار لمجلس الأمن صدر خلال السنة الماضية، من بين مقتضياته أن أي استفزاز يجعل البوليساريو في مواجهة مع الأمم المتحدة وليس المغرب". ومن المقرر إجراء مشاورات مغلقة حول الصحراء المغربية في مجلس الأمن في 29 يناير الجاري. وسيبحث الاجتماع خصوصا استئناف المباحثات المتعددة الأطراف (المغرب والبوليساريو والجزائر وموريتانيا) برعاية الأمم المتحدة التي بدأت في ديسمبر بجنيف.

واتفق المغرب وجبهة بوليساريو بعد أول مباحثات بينهما حول الصحراء المغربية منذ 2012 في جنيف في ديسمبر الماضي على اللقاء مجددا مطلع 2019 تحت رعاية الأمم المتحدة التي تأمل في بدء مفاوضات من المتوقع أن تكون شائكة بينهما. ويبدو استئناف المباحثات معقدا مع استمرار البوليساريو في استفزاز المملكة وخرق اتفاق وقف إطلاق النار.

وبعد ست سنوات من فشل آخر مفاوضات مباشرة بين الطرفين اللذين خاضا نزاعا حتى إعلان وقف إطلاق النار في 1991، شارك المغرب وبوليساريو على مدى يومين في جنيف في محادثات حول طاولة مستديرة بمشاركة الجزائر وموريتانيا.

وخلال تلك الجولة الأولى في بداية ديسمبر والأولى منذ 2012، تعهدت الأطراف بالاجتماع مجددا في بداية 2019 متابعة المباحثات لكن بدون تحديد تاريخ ومكان الاجتماع.

وفي 4 أبريل 2018، دعا الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش جبهة البوليساريو إلى ممارسة "أقصى درجات ضبط النفس، وتجنب تصعيد التوتر".

وأعرب غوتيريش، آنذاك، في تقرير قدمه إلى مجلس الأمن عن القلق البالغ إزاء "احتمال عودة التوترات" نتيجة عودة عناصر من جبهة البوليساريو لمنطقة الكركرات. واعتبر التقرير أن قيام البوليساريو بنقل مقر منشآتها الإدارية والعسكرية من "تندوف" إلى منطقة شرق الجدار الأمني في الصحراء، "خطوة مرفوضة وغير قانونية لتغيير الحقائق على الأرض".

وسبق أن عبّر العاهل المغربي الملك محمد السادس، عن دعمه لجهود الأمين العام للأمم المتحدة، لحل النزاع بشأن إقليم الصحراء المغربية. وأشار إلى أن الرباط تواصل انخراطها في الجهود الأممية، التي أطلقها الأمين العام للأمم المتحدة، بالتعاون مع مبعوثه إلى إقليم الصحراء، هورست كولر.

مصر تواصل معركتها لتجفيف منابع الإرهاب

تفهم غربي لخطط القاهرة في التصدي للمتشددين

تمكنت قوات الأمن المصرية من القضاء على ستة إرهابيين، السبت، في محافظة سوهاج جنوب البلاد، بعد مداهمة مخبئهم وتبادل لإطلاق النار. وتعد هذه العملية مواصلة لجهود مكافحة الإرهاب التي تبذلها السلطات المصرية، والتي كانت قد أطلقت في فبراير الماضي حملة عسكرية شاملة في سيناء شاركت فيها الشرطة مكنت من الإطاحة بالعديد من الجهاديين.

محمد أبوالفضل

❏ **القاهرة** – لقي ستة إرهابيين مصرعهم بمحافظة سوهاج في جنوب مصر، السبت، بعد أن تبادلوا إطلاق النيران مع قوات الأمن، وكشفت العمليات التمشيطية التي يقوم بها قطاع الأمن الوطني عن تمركز مجموعة من العناصر الهاربة من الملاحقات الأمنية بإحدى المناطق الجبلية بدائرة مركز شرطة جهينة (حوالي 450 كلم جنوب القاهرة) واتخاذهم من خور جبلي مأوى وتمت مداهمته.

وتأتي هذه العملية استكمالا للجهود التي تبذلها القيادة المصرية منذ فترة لتجفيف منابع الجماعات الإرهابية في البلاد، وقطعت شوطا كبيرا في هذا المجال، وهو ما انعكس على انخفاض معدل الاعتداءات، وقطع الطريق على الكثير منها قبل حدوثه.

بدأت النظرة المصرية للتعامل مع الإرهابيين والمتطرفين تقتنع بها دوائر عدة، لم تأخذ تحذيرات الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بالجدية الكافية منذ سنوات، عندما أكد أن أخطبوط الإرهاب لن يتوقف عند مصر وحدها، وطالب بضرورة التعامل معه ككتلة واحدة متكاملة، بمعنى لا توجد فروق بين متشددين ومعتدلين.

> محاصرة الإرهاب عملية معقدة تتطلب اتخاذ الخطوات المناسبة للقضاء عليه، خاصة قصقصة الأجنحة السياسية سواء كانت أحزابا محلية أو دولا أجنبية

أخذت الولايات المتحدة تسارع من التحركات الداعمة للقاهرة في هذا الفضاء، ويثني الرئيس الأميركي دونالد ترامب على الخطوات المصرية، ولا يتردد في تقديم الدعم المادي والمعنوي، ويرى في الرئيس السيسي واحدا من الرموز الصامدة في مواجهة التحديات الكبيرة التي يمثلها الإرهاب وفلوله.

احتوى مضمون خطاب مايك بومبيو وزير الخارجية الأميركي في الكلمة التي ألقاها، الخميس، بمقر الجامعة الأميركية في القاهرة، مساندة لافتة من بلاده للدور المصري في الحرب على الإرهاب، وفتح بابا واعدا لتوسيع أطر التعاون.

ويؤكد المحتوى العام تزايد القناعات الأميركية بأنها اقتربت من الرؤية المصرية في أهمية اتخاذ الترتيبات اللازمة للتعامل مع ملف الإرهاب كملحقات شاملة، والتخلي عن الانتقادية التي منحت الجماعات الإرهابية ثقلا في المنطقة السنوات الماضية، وجعلتهم يمثلون تهديدات مباشرة لأمن الكثير من الدول.

بدأت دوائر غربية عديدة ترى في التجربة المصرية في محاربة الإرهاب نموذجا مهما، لأنها تعاملت معه بآليات، راعت الخصوصية المحلية، وعدم الالتحام مع الإرهابيين في الأماكن المكتظة بالسكان، ونجحت في تكثيف التعاون مع المواطنين، ما جعلهم في طليعة المطاردين والمتتبعين للعناصر الإرهابية، التي اضطرت إلى إخلاء مواقعها في الداخل والذهاب إلى الأطراف النائية، وهي ميزة نسبية مكنت أجهزة الجيش والشرطة من التعامل معهم بالمزيد من الحرية.

قاد هذه التطورات إلى تخفيف التوترات المجتمعية، وساهمت في القضاء على الرؤوس الكبيرة للإرهابيين في أماكن متفرقة، وفي مقدمتها سيناء التي أرادوا تحويلها إلى بؤرة تجمع الإرهابيين من مختلف دول المنطقة.

قدمت الطريقة المصرية نموذجا في كيفية اصطياد العناصر الخطرة من المتشددين والإرهابيين، وعمقت الجراح السياسية للجهات الداعمة لهم، لأنها مزجت بين مكافحة الإرهاب وبين أنواع متباينة من التجارة المحرمة، التي خلقت حزمة من المصالح المشتركة مع جهات متعددة. وبدت النتائج واضحة في وقف عمليات الهجرة غير الشرعية من خلال السواحل المصرية.

وتعول واشنطن والكثير من العواصم الأوروبية على تطوير الخطة المصرية وزيادة التعاون على المستوى الإقليمي، من خلال توسيع نطاق تبادل المعلومات، والعمل على مواجهة التنظيمات المتشددة في إطار الخصوصية التي تتسم بها كل دولة، وتقليص الخلافات البينية، والتفاهم حول تصور محدد لإنهاء ظاهرة التمدد الجغرافي التي وفرت مزايا كبيرة لعناصر إرهابية عابرة للحدود.

وساعدت التوجهات التي ربطت بين دول مثل قطر وتركيا وإيران والجماعات الإرهابية، على لفت الانتباه إلى البعد الخارجي للإرهاب، وتجلت إحدى صوره في التعاون المصري مع بعض الدول الصديقة والحليفة، لسد المنافذ أمام تحركات هذه القوى، التي وفرت دعما عسكريا مثيرا لقيادات وميليشيات ناشطة في مجال الإرهاب في دولة مثل ليبيا.

وأدت تعرية أدوار البعض إلى التحذير من خطورة دورهم في الاستثمار الأمني والسياسي وتضخيم الكتائب المسلحة المرتبطة بتنظيمات متشددة، وهو ما يصب أيضا في صالح تقديرات القاهرة، التي نبهت إلى فحوى هذا الارتباط، بسبب الأذرع السياسية في الدول كانت تساند عناصره عبر تخريب الكثير من المبادرات لتبني موقف قاطع ممن درجوا على التخريب في مصر أو غيرها.

وتشير العديد من المعطيات إلى أن محاصرة الإرهاب عملية معقدة وتتطلب اتخاذ مجموعة كبيرة من الخطوات المتسقة مع الخطورة التي يمثلها هذا الغول، والتحرك على مستوى طبقات مختلفة، تفضي في النهاية إلى القضاء عليه نهائيا، وفي مقدمتها قصقصة الأجنحة السياسية، سواء كانت أحزاب محلية أو دول تتبنى أجندات معينة، وتحاول الترويج لها بحسبانها نظيفة وخالية من الأغراض الدنيئة.

كشفت مصر وحلفائها في المنطقة، مثل السعودية والإمارات، جوانب كبيرة من ألاعيب قطر وتركيا في دعم التنظيمات الإرهابية، وأثروا في مواقف دول كانت تتهاون عن عمد أو بدونه، في الربط بين هذه الدول وميليشيات مسلحة محسوبة على التيار الإسلامي.

ومن المرجح أن تشهد الفترة المقبلة مستجدات في ما يتعلق بالحد من ظاهرة المراوغات التي اتبعتها أنقرة والدوحة والبعض من القيادات السياسية في دول بعينها رأت أن تمكين التيار الإسلامي يعد أولوية لديها. وبعد رفع الغطاء عن مجموعة من الأحداث التي أكدت تورط بعض القوى أصبح من المهم إعادة النظر في الرؤية التقليدية لمكافحة الإرهاب، والبناء على التقديرات المصرية، التي حذرت مبكرا من التفرقة والتهاون مع القوى التي تدعم عناصره الإسلاموية، والتسويق لإمكانية التعويل عليها سياسيا.

وحققت التجربة المصرية أصداء إيجابية للقيادة السياسية، التي لم تتوان عن مواجهة الإرهابيين، وحصدت زخما شعبيا جيدا، عقب تجاوز الكثير من المناسبات، والتي كان البعض يحمل تجاهها هواجس كبيرة، ويعتقد في صعوبة مرورها بهدوء ومن دون دفع تكاليف مادية باهظة، وهو ما ضاعف من الرهانات على قرب إعلان انتهاء القضاء على الإرهاب في البلاد، في الذكرى الأولى لبدء العملية الشاملة سيناء 2018، والتي جرى تدشينها في فبراير من العام الماضي.

رحيل هذا الكابوس يتزامن مع حصد مصر ثمار الكثير من المشروعات القومية التي بدأها الرئيس السيسي، ويتمنى المواطنون أن تكون بداية لمرحلة تكمل فيها البلاد خطواتها الرامية إلى التغلب على جزء معتبر من الأزمات وجني ثمار الإصلاحات الاقتصادية.

❏ **أبوظبي** – التقى الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي، مساء السبت، وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، وبحث معه تعزيز علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين وعددا من التطورات في المنطقة. وكان مايك بومبيو وصل إلى أبوظبي مساء الجمعة قادما من البحرين ضمن جولة إلى عدد من الدول العربية في سياق شرح خطة الانسحاب الأميركي من سوريا.

الاستثمار التركي الأخير في هيئة تحرير الشام

رانيا رضوان مصطفى
كاتبة سورية

❏ اتفق الروس والأتراك على استمرار التعاون والمحافظة على آليات التنسيق التي أقرّها الجانبان سابقا؛ هذا ما أكده بيان وزارة الدفاع الروسية عقب اتصال هاتفي بين وزيري دفاع البلدين، بعد أيام من لقاء وزراء الخارجية والدفاع في موسكو، في الأيام الأخيرة من العام الماضي.

توصّل الروس والأتراك إلى تفاهمات بدأت تظهر ملامحها على الأرض، مع نشر قوّات من الشرطة العسكرية الروسية داخل منبج وفي محيطها، في خطوة لا يبدو أنها بعيدة عن التنسيق الأميركي الروسي غير المعلن. كما أن هناك حديثا عن موافقة الروس على أن يقيم الأتراك شريطا حدوديا بعمق ثلاثين إلى أربعين كيلومترا، داخل الأراضي السورية، إذا ما تم الانسحاب الأميركي، لتبديد هواجسهم الأمنية.

وما يزال اتفاق المنطقة منزوعة السلاح في سوتشي محترما من قبل الطرفين الروسي والتركي، رغم ما عُمّم عن تقدّم هيئة تحرير الشام، وسيطرتها على كامل مناطق المعارضة في محافظة إدلب وريف حلب واللاذقية وحماة. وتدلّل على استمرار التزام موسكو بالاتفاق، التحركات العسكرية الأخيرة التي قامت بها في ريف حماة الشمالي، بالقرب من نقاط مراقبتها، حيث تراجعت القوات الروسية 10 كيلومترات عن مناطق سيطرة المعارضة، بعد أن أمرت النظام بسحب قوات الفرقة الرابعة، المقربة من إيران، والمتواجدة في ريف حماة الغربي والشرقي، واستبدالها بقوات من الفرقة الأولى والثامنة والحادية عشرة والتاسعة، لحماية القوات الروسية، في سعي روسي لتخفيف تواجد القوات السورية المقرّبة من إيران، لمنع خرق اتفاق سوتشي.

ظلّت عقدة حل التنظيمات الجهادية معضلة أمام تركيا، رغم اتفاقها مع روسيا على تولي المهمّة، كخطوة تالية لاتفاق سوتشي، تدعمها موسكو. هذه المعضلة مركبة من عدّة جوانب، أوّلها وجود تنظيمات متشددة غير سورية، كالحزب التركستاني في ريف إدلب الغربي وفي بعض مناطق سهل الغاب شمال غربي حماة، وتنظيم حراس الدين بـ2500 عنصر في ريف إدلب وريف اللاذقية في جبلي الأكراد والتركمان. وثانيا، إجبار هيئة تحرير الشام على طرد الأجانب وحلّ نفسها والتخلي عن المنطق الجهادي، وعزل المتشدّدين، واندماج عناصرها ضمن التنظيمات المعتدلة. وثالثا، مشكلة الحالة الفصائلية المتعددة والمتنازعة على مناطق النفوذ، والتي ترغب كل من تركيا وروسيا بإنهائها، واستبدالها بتشكيل موحد، يعمل تحت إمرة أنقرة، كما هي حالة مناطق غصن الزيتون ودرع الفرات التابعة لتركيا، وكما هي حالة مناطق المصالحة في درعا التابعة لروسيا.

كانت كتائب نورالدين الزنكي، أقوى الفصائل العاملة في ريف حلب الشرقي، الضحيّة الأولى أمام تحرير الشام، إذ اضطرت إلى حلّ نفسها في الخامس من الشهر الجاري، بعد أيام دامية من المعارك، بسبب امتناع فصائل الجيش الوطني والجبهة الوطنية للتحرير عن دعمها. يبدو أنّ هناك رغبة تركية روسية للخلاص من الزنكي، بسبب استقلاليته، ولأنه كان أحد فصائل الموم التي تتلقى دعما أميركيا. وقد تكرر الأمر في الأتارب، حيث حيّدت الهيئة فصيلي بيارق الشام وثوار الشام.

في إدلب حاولت بعض الفصائل الأكثر عداء لهيئة تحرير الشام، كأحرار الشام وصقور الشام، البالغ تعدادها قرابة 1500 عنصر لكلّ منهما، شن حرب ضدّها لطردها من كل إدلب، واعتقد الفصيلان أنّ بقية الفصائل ستدعمهما، وكذلك تركيا. حصل العكس، حيث أُجبر الفصيلان على توقيع اتفاق حلّ نفسيهمَا، بعد معارك خاطفة الأربعاء الماضي في سهل الغاب بريف حماة الغربي، وفي معرة النعمان وريفها دون قتال، وسيطرت حكومة الإنقاذ أمنيا وإداريا، مع بقاء المقاتلين في مناطقهم بسلاح فردي وتسليم السلاح الثقيل. في مدينة أريحا أصدر وجهاؤها ومجلسها المحلي بيانا يرحب بدخول الهيئة، درءا لمخاطر الاقتتال؛ فيما امتنعت غالبية الفصائل في الجبهة الوطنية للتحرير عن القتال، وأكبرها فصيل "فيلق الشام" البالغ تعداده بين 14 و16 ألف مقاتل، والمدعوم من الإخوان المسلمين، وبالتالي يدين بولائه لتركيا، بل وكان وسيطا في اتفاق الهيئة مع المشاركين من فصائل "الوطنية للتحرير".

> التوافق مع واشنطن يبقى أمرا أساسيا في ترتيب الوضع السوري، وهو مرهون بما سيؤول إليه القرار الأميركي المترنح بين الانسحاب من سوريا أو البقاء. وإلى حينه سيظل مستقبل إدلب غير محسوم

النتيجة سيطرة حكومة الإنقاذ على 80 بالمئة من مساحة المنطقة في الشمال، دون قتال، وبموافقة، وربما تنسيق مع تركيا، لإنهاء استقلالية بعض الفصائل، وإخضاع أخرى؛ في الوقت الذي بدأت فيه تركيا بإعادة هيكلة وتمويل الجبهة الوطنية للتحرير، حيث يبدو أنها ستعطي دورا كبيرا فيها لفيلق الشام. ربما تخطط تركيا أيضا، لدفع تحرير الشام باتجاه القضاء على جيوب التنظيمات غير السورية، كالحزب التركستاني وحراس الدين، بتصفيتها أو طردها. إذا يبدو أن أنقرة تستثمر، بالاتفاق مع موسكو، في تنظيم هيئة تحرير الشام، بتمكينه أكثر مقابل القيام ببعض الخدمات الضرورية للمضي في إكمال الاتفاق مع الروس حول إدلب. وهي تمارس الضغوط على هيئة تحرير الشام بثقل الحشود العسكرية التركية المتزايدة يوميا على حدودها مع سوريا؛ فيما تستغل هيئة تحرير الشام هذه الفرصة لفرض نفسها وشروطها، عبر استمرار قدرتها على الحشد عبر خطابها الديني المتطرف، وعبر ما تقدّمه من رواتب وميزات لمقاتليها، وعبر محاولة الظهور بمظهر مقبول إداريا، حيث تمكنت من فرض شرطها على الفصائل الأخرى بتمكين سيطرة حكومة الإنقاذ التابعة لها، فيما أجّلت شروطا أخرى، كنزع السلاح الثقيل من بعض المناطق، ودعت الجبهة الوطنية للمشاركة في حكومة الإنقاذ، وإعطائها بعض الحقائب الوزارية.

سعت هيئة تحرير الشام، منذ إعلان انشقاقها عن تنظيم القاعدة وتغيير اسمها، إلى تجاوز عقدة وضعها على قوائم الإرهاب، وتحاول تقديم نفسها كفصيل معتدل، وإن كان من حيث الشكل دون المضمون. لكن ما تقوم به غير كاف لجعلها طرفا مقبولا؛ عليها التخلص من العقلية الجهادية، وهذا يتطلب منها تصفية العناصر المتشددة، وطرد الأجانب، ما يعني أن تحلّ نفسها لصالح تشكيلات أكثر طواعية بالنسبة للأتراك والروس.

يبقى التوافق مع واشنطن أمرا أساسيا في ترتيب الوضع السوري، وهو مرهون بما سيؤول إليه القرار الأميركي المترنح بين الانسحاب من سوريا أو البقاء. وإلى حينه سيظل مستقبل إدلب غير محسوم؛ هل ستكون منطقة نفوذ تركيّة، أم سيجري تسليمها للروس والنظام، مقابل دخول أنقرة شرق الفرات؟

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

مساع قبلية وعسكرية لتجنب الحرب بين الشرق والغرب في ليبيا

- المهدي البرغثي: براك الشاطئ قضية سياسية تفك شفرة الأزمة الليبية
- الدستور يحمي البلاد من حرب بين الشرق بقيادة حفتر والغرب بقيادة شكلية للسراج

عبدالستار حتيتة

❑ **طرابلس** – تعطي نبرة صوت العقيد المهدي البرغثي، وزير الدفاع السابق في حكومة الوفاق الليبية، مؤشرات على وجود متغيرات ما جديرة بالاهتمام، ويمكن أن تسهم في لمّ الشمل بين قيادات عسكرية في شرق البلاد وغربها، وهي مساع تشرف عليها الدولة المصرية منذ نحو عامين، وتحظى باهتمام أطراف دولية، على رأسها الأمم المتحدة، أما البديل، وفقا للبرغثي، فالحرب بين شطري الدولة.

المفارقة هنا تكمن في أن البرغثي، المنتمي قبليا لمناطق شرق ليبيا، كان منذ تعيينه وزيرا وانتقاله لطرابلس في الغرب، يتحدث بلسان حكومة الوفاق، ورئيس مجلسها الرئاسي، فائز السراج. وكان البعض يرى في وجود البرغثي ضمن حكومة السراج، ضربة للجيش في الشرق.

يقول البرغثي، بلهجة قاطعة، وهو جالس مع عدد من مساعديه في عاصمة تعج بالميليشيات المسلحة، إن الوقت قد حان لإنقاذ الدولة، وإذا لم يتم التعجيل بإجراء استفتاء على الدستور، والدخول في انتخابات لاختيار رئيس للدولة ونواب جدد للبرلمان، فإن البلاد قد تدخل في حرب عسكرية كبيرة بين الشرق بقيادة حفتر، والغرب بـ"قيادة شكلية" للسراج، وفق تعبيره.

سألته "العرب": هل تعني بهذا أنه أصبح لديك استعدادا للتعاون مع المشير حفتر؟ فأجاب، مشيرا، دون ذكر تفاصيل كثيرة، إلى جهود يبدو أن قيادات قبلية وغير قبلية تقوم بها لرأب الصدع بين شرق البلاد وغربها، ثم قال "ليس لدينا مشكلة في التعاون مع أي طرف، من أجل وحدة ليبيا.. مستعدون لكل شيء من أجل الصلح والسلام، وهذه أصلا سياستنا منذ البداية".

الشرق يتحرك والغرب يحكم

تعتمد ليبيا على تركيبة قبلية تؤثر على الأوضاع السياسية والعسكرية فيها. تبدو هذه التركيبة في الشرق أقوى منها في الغرب. وهذا الأمر ليس جديدا، لكنه يعود لسنين طويلة. ففي عهد الحركة السنوسية، كان من السهل توحيد القبائل لمقاومة الاحتلال الإيطالي في النصف الأول من القرن الماضي، بينما ظلت قبائل الغرب في خلافات دامية لسنوات.

يردد شيوخ القبائل مثلا يقول إن شرق ليبيا، عادة، هو من يبدأ في التحرك، بينما غرب ليبيا هو من يتسلم الحكم. العقيد الليبي الراحل معمر القذافي أعلن من مذياع بنغازي، عن "الثورة" في 1969، وانتقل لإدارة السلطة من طرابلس. هكذا فعل المجلس الانتقالي، الذي أشرف على الانتفاضة المسلحة من شرق ليبيا في 2011، لينتهي الأمر بالذهاب إلى طرابلس لترسيخ سلطته الجديدة.

في السنوات التالية وقعت خلافات بين الشرق والغرب، أدت إلى انتقال البرلمان المنتخب في 2014 إلى طبرق في أقصى الشرق، بينما أعاد المشير خليفة حفتر تأسيس الجيش في بنغازي، ليبدأ حربا طاحنة تحت اسم عملية الكرامة ضد جماعات متطرفة ومسلحة في عدة مدن في شرق البلاد، تحظى بدعم من غربها، وكان العقيد البرغثي، ابن قبيلة العواقير، من القادة العسكريين في العملية ببنغازي.

وفي 2016، تخلى البرغثي عن حفتر، وأخذ مجموعة من أنصاره في الجيش، من بنغازي، وانضم للسراج في طرابلس، لكن يبدو أن تحركه كان مبكرا. فلم يتمكن، خلال فترة عمله القصيرة مع المجلس الرئاسي، من توحيد البلاد، كما كان يأمل. بالإضافة إلى خيبة الأمل التي تركها في أوساط زملائه العسكريين في الشرق، فقد دخل منذ مايو 2017 في خلافات مع السراج في الغرب.

الخلافات بين السراج، ووزير دفاعه البرغثي، ما زالت مستمرة حتى الآن. وتدور بالأساس حول تحديد المسؤولية عمن أمر بالهجوم على مقر معسكر اللواء 12 التابع لحفتر، في جنوب البلاد.

تعرف هذه الواقعة باسم "مذبحة براك الشاطئ"، ووقعت في 18 مايو 2017، وراح ضحيتها 140 قتيلا بين مدنيين وعسكريين. وفي اليوم التالي (19 مايو) قرر السراج وقف وزيره عن العمل، من أجل التحقيق في ملابسات الهجوم.

يقول البرغثي إنه ليس مسؤولا عن الهجوم، وإن المجلس الرئاسي يعلم المتورطين الحقيقيين فيه. ومنذ ذلك الوقت استمرت، حتى وقتنا هذا، عمليات الجماعات المتطرفة والميليشيات المتحالفة مع المعارضة التشادية والسودانية المسلحة، في استهداف مؤسسات ليبية مهمة في عموم البلاد، ومواقع عسكرية تابعة لحفتر، كان من أهمها بالنسبة للعالم الخارجي، استهداف منطقة الهلال النفطي ومنطقة موانئ تصدير البترول، سواء في حوض سرت، في الشمال الأوسط، أو حوض مرزق في الجنوب.

في أحدث تطور لمواجهة الارتباط بين المتطرفين الليبيين والجماعات الأفريقية المسلحة، أصدر النائب العام الليبي، يوم 3 يناير، مذكرة اعتقال بحق شخصيات ليبية، أحدهم يقيم في تركيا، و31 من فصائل المعارضة التشادية والسودانية، لصلتها بهجوم مسلح على الحقول والموانئ النفطية، وعلى قاعدة تمنهنت العسكرية، وتدخلها في القتال بين بعض القبائل الليبية بالجنوب.

أبدى قادة عسكريون في طرابلس، يتمتعون بقدر من الاستقلالية عن سلطة المجلس الرئاسي، اهتماما كبيرا بمذكرة النائب العام الأخيرة، لكن أشاروا في مقابلات خاصة، إلى أن المذكرة لم تشمل أسماء أخرى مهمة بعضها موجود على رأس السلطة المدعومة من الأمم المتحدة في طرابلس.

وذكر بعضهم صراحة أسماء لنواب تابعين لحكومة السراج في المجلس الرئاسي. وهي أسماء لشخصيات تنتمي إلى كل من جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الليبية المقاتلة.

براك الشاطئ

يعتقد البرغثي، في حديثه مع "العرب"، من منزله بطرابلس، أن الكشف عن ملابسات الهجوم على مقر اللواء 12، يمكن أن يسلط الضوء على علاقات مشبوهة بين قيادات سياسية وأخرى ميليشياوية، مع أطراف من المعارضة التشادية والسودانية داخل ليبيا.

ويضيف مؤكدا أن "قضية براك الشاطئ قضية سياسية، يمكن أن تفك شفرة الأزمة الليبية. القضية فيها تواطؤ سياسي، وفيها عدم إعطاء قيمة للجنوب. يمكن أن توفر نتائج التحقيق فيها بعض أوجه الحل وتكشف بعض الأمور".

يشير مصدر في المجلس الرئاسي لـ"العرب"، إلى أن البرغثي ما زال متّهما بالضلوع في الهجوم على براك الشاطئ، لكن المصدر لم يعط إجابات وافية عن السبب في استبعاد السراج للنائب العام العسكري المخضرم، اللواء مسعود ارحومة، الذي كان يشرف على التحقيق في هذه القضية.

ويضيف المصدر أن "رئيس المجلس الرئاسي رأى أنه من الأصلح، لسير التحقيقات، تعيين مدع عسكري عام جديد، والسراج هو من يقوم، في الوقت الراهن، بمهام وزير الدفاع".

ويرد البرغثي قائلا إن "المدعي العسكري العام الجديد، مدني وليس عسكريا، ومسؤولية وزير الدفاع (البرغثي)، وليس مسؤولية القائد الأعلى للقوات المسلحة (السراج)، ولماذا لم يتم تحويل ملف التحقيق في القضية إلى النائب العام؟ ولماذا الإصرار على تحويله إلى المدعي العام الجديد"؟

ويؤكد قائلا "أنا أتساءل لماذا أخفى فائز السراج ملف التحقيق لأكثر من سنة؟"، ثم يضيف موضحا أن "ملف التحقيق جرى إرساله للسراج من جانب كل من وزير العدل ووزير الداخلية، في يوليو 2017، ولم يحله السراج على المدعي العسكري العام إلا في شهر أغسطس 2018". ويرد المصدر في المجلس الرئاسي بالقول إن "هذه إجراءات إدارية صرفة، ولا يوجد أي تقصير".

يبدو أن مثل هذا التنازع الذي ما زال مستمرا بين السراج والبرغثي، غيّر من قناعات عدد من القادة العسكريين والأمنيين في العاصمة الليبية خلال الأشهر القليلة الماضية، فقد لوحظ أن تولي فتحي باشاغا، ابن مصراتة القوي، موقع وزير الداخلية في حكومة الوفاق، ساعد في تحريك المياه الراكدة وإخافة البعض، بمن فيهم قيادات في مواقع المسؤولية، متهمة بالعلاقة مع المتطرفين ومع المعارضة المسلحة الوافدة من أفريقيا.

ينظر البعض إلى باشاغا بحذر، لأسباب تتعلق بقصص عن مشاركته في عمليات ميليشياوية في 2013 و2014، لكن الرجل بدا، في موقعه الجديد، كأنه يريد أن يفتح صفحة جديدة، من خلال حملته القوية لبسط الأمن في طرابلس، والتضييق على الإرهابيين في شوارع العاصمة، بمن في ذلك المرتبطين بداعش، وتوجيهه تحذيرات مباشرة إلى نواب لرئيس المجلس الرئاسي بشأن علاقات لهم بجماعات متطرفة، وغيرها.

نفوذ باشاغا

يمكن ملاحظة أن باشاغا أصبح مثيرا لقلق السراج، بسبب كثرة لقاءاته ومباحثاته مع دبلوماسيين غربيين في طرابلس. كما أنه أصبح ملهما لبعض القادة الأمنيين المعروفين بموقفهم المتشكك في معظم مسؤولي المجلس الرئاسي.

ويرى البرغثي أن "الأمن في العاصمة يتحسن"، لكنه "لم يصل إلى الدرجة المثالية بعد.. كالوضع في ليبيا كلها، والخطوات التي يسير عليها فتحي باشاغا، جيدة وفي صالح المؤسسة الأمنية، سواء لمؤسسة الجيش أو مؤسسة الشرطة".

في لقاءات غرف الضيافة التي يشارك فيها ضباط وسياسيون، تكثر الإشارة إلى باشاغا باعتباره أحد القيادات التي يمكن التعويل عليها في العاصمة. ويضيف المتحدثون كلمات تُظهره بصفات المتحدي للسراج، خاصةً حين هاجم وزير الداخلية الترتيبات الأمنية التي يعتمد عليها رئيس المجلس الرئاسي في حفظ الأمن في العاصمة، عقب هجوم داعش على مقر وزارة الخارجية في طرابلس، الشهر الماضي.

وتحظى جهود باشاغا باهتمام كبير من جانب قيادات أمنية وعسكرية في الشرق الليبي، بعد عدة مبادرات من جانبه تصب في اتجاه التقارب بين القادة الأمنيين، كان على رأسها إيفاد بعثة من وزارته في طرابلس، التابعة لحكومة الوفاق، للتنسيق والتعاون مع ضباط من وزارة الداخلية التابعة للحكومة المؤقتة في شرق البلاد، حيث جرى اللقاء في بنغازي. بالإضافة إلى تزايد حالات التوقيف والقبض على متهمين بجلب أسلحة من موانئ بحرية تركية إلى موانئ بحرية ليبية. على هذه الخلفية، تستمر بشكل غير معلن، محاولات حثيثة للصلح بين الشرق والغرب، وترفض قيادات من بنغازي، جرى التواصل معها بعد وصولها أخيرا إلى طرابلس، ذكر أي تفاصيل عما يجري.

يقول قائد عسكري كبير من بنغازي، التقته "العرب"، أثناء وجوده في العاصمة الليبية، "بعيدا عما يثار في الإعلام من حديث عن المؤتمر الوطني الجامع، وغيره مما هو معلن، توجد تحركات يقوم بها وجهاء وعسكريون من مختلف المناطق الليبية لحل الأزمة".

ويؤكد البرغثي، الذي ما يزال يحتفظ بعلاقات ذات طابع اجتماعي وقبلي في أغلبها، مع دوائر قريبة من حفتر، "حين يجري الحديث عن السلام والمصالحة، أقول إن هذا ما نريده.. وضعت هذا الكلام أمام الشق الاجتماعي.. أمام شيوخنا هناك (في الشرق)، وقلت لهم ما تفعلوه أنتم، نحن متفقون عليه، أنا مع توحيد المؤسسة العسكرية الليبية، بما يحافظ على الدولة، بغض النظر عن الأشخاص".

> بعض السياسيين يتبنون مقترحات تتضمن وجود شخصيات من حكومة السراج ومن الجيش الذي يقوده حفتر، ومن البرلمان في الشرق، ومن الحكومة المؤقتة برئاسة عبدالله الثني، في غرفة قيادة واحدة

بالتزامن مع التقارب الحثيث بين قيادات من الجيش والشرطة، بما فيها اللقاءات التي جرت في القاهرة أواخر العام الماضي، لتوحيد المؤسسة العسكرية الليبية، توجد تحركات أخرى لسياسيين من طرابلس وبنغازي، لكن الكثير من القيادات الأمنية ترى أنها لقاءات تعيبها الحلقات المفقودة.

على سبيل المثال يتبنى بعض السياسيين مقترحات تتضمن وجود شخصيات من حكومة السراج ومن الجيش الذي يقوده حفتر، ومن البرلمان في الشرق، ومن الحكومة المؤقتة برئاسة عبدالله الثني، في غرفة قيادة واحدة.

وكلما مر الوقت على مقترحات الغرفة الواحدة زادت المشكلة، بسبب كثرة الطامحين في المشاركة في القيادة، سواء لحسابات قبلية، أو عسكرية، أو حتى تلك المرتبطة بالدعم الدولي للاتفاق السياسي والمجلس الرئاسي.

يبدو أنه حتى مسألة تقاسم السلطة هذه ستظل تراوح مكانها. ويعلق البرغثي على هذه النقطة بقوله "أعود وأقول إن ما أراه كلها حلول تلفيقية وليست حلولا جذرية، الحل الجذري هو في الدستور والانتخابات، لاختيار رئيس للدولة ومجلس للنواب، إذا كانت هناك جهود تبذل فينبغي أن تبذل للاستفتاء على الدستور، خلاف ذلك سنكون أمام خيارين إما الانقسام وإما الحرب.. ما أراه هو أن البديل عن الدستور هو المواجهة العسكرية".

عن الطريق الذي يمكن أن تؤدي إليه المواجهة العسكرية، يقول البرغثي "لا أحد يمكنه أن يتنبأ بها.. بالعكس.. المواجهة العسكرية، إذا حدثت، ستبدأ التدخلات الدولية مرة أخرى، من جميع الأطراف التي تتصارع في ليبيا، وستزيد حدتها بقوة هذه المرة، لأن الدعم سيكون مباشرة، وبقوة، لجهتين متصارعتين".

ويختم بنبرة تحذيرية "سيصبح الصراع كأنه بين الشرعية في الغرب، والشرعية في الشرق، ستتدخل دول لدعم الطرف الذي في الغرب، وستتدخل دول لدعم الطرف الذي في الشرق، وهذه المرة سيكون الصراع على أشده، لو صارت مثل هذه المواجهة التي لا نريدها".

● وزير الداخلية في حكومة الوفاق فتحي باشاغا أصبح مثيرا لقلق رئيس الحكومة فائز السراج، بسبب كثرة لقاءاته ومباحثاته مع دبلوماسيين غربيين في طرابلس. كما أنه أصبح ملهما لبعض القادة الأمنيين المعروفين بموقفهم المتشكك في معظم مسؤولي المجلس الرئاسي.

اختلف الخطاب ولم تختلف السياسة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ منذ دخول دونالد ترامب البيت الأبيض، قبل عامين، هناك حرص على التمّيز عن سلفه باراك أوباما. يعبّر عن هذا التمّيز الخطاب الذي ألقاه في القاهرة حديثا مايك بومبيو وزير الخارجية الأميركي. حرص بومبيو على إلقاء الخطاب من المدينة نفسها التي توجه منها باراك أوباما إلى العرب والمسلمين عموما قبل عشر سنوات. هذه المدينة هي القاهرة. تحدث أوباما من جامعة القاهرة في حين اختار بومبيو الجامعة الأميركية. تعتبر الجامعة الأميركية في القاهرة التي تأسّست بعد الجامعة الأميركية في بيروت (1866)، إحدى منارات العلم في المنطقة العربية.

لم يتمكن بومبيو من إظهار أنّ إدارة ترامب مختلفة عن إدارة أوباما. أكّد على العكس من ذلك أن إدارة ترامب عاجزة عن تمييز نفسها لا أكثر ولا أقل. ما يميّز إدارة عن إدارة أخرى هو الأفعال وليس الكلام الجميل الذي لا ترجمة فعلية على الأرض، اللهمّ إلّا إذا كانت العقوبات الجديدة المفروضة على إيران ستتكفّل بإجراء التغيير المطلوب. يشمل هذا التغيير، استنادا إلى كلام بومبيو خروج الإيرانيين كلّيا من الأراضي السورية والتخلّص من صواريخ "حزب الله" صاحب السيطرة الفعلية على لبنان.

مرّة أخرى، كشف أحد المسؤولين الكبار في إدارة ترامب الداء ووصفه جيدا وذهب إلى تفاصيل التفاصيل في تحديد مفاعليه. لكن ما ينقص هو الدواء. تعرف إدارة دونالد ترامب تماما ما هو الداء في الشرق الأوسط والخليج، وصولا إلى اليمن، لكنّها لا تريد الاعتراف بأنّ هذا الداء يحتاج إلى دواء.

تكشف المقارنة بين الخطابين، خطاب الرئيس الأميركي السابق وخطاب وزير الخارجية الأميركي الحالي، أنّ أوباما كان يعرف ما يريد في حين أن دونالد ترامب لا يزال في حيرة من أمره على الرغم من الوضوح الذي يميّز إدارته في شأن كلّ ما له علاقة بإيران ودورها في المنطقة ومشروعها التوسّعي الذي في أساسه الاستثمار في إثارة الغرائز المذهبية.

> هناك وعي أميركي لخطورة إيران ودورها على صعيد زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط والخليج. في المقابل، هناك كلام عن انسحاب عسكري أميركي من سوريا. هل تريد إدارة ترامب متابعة السياسة التي اتبعها أوباما ولكن في ظلّ خطاب متشدد مليء بالتناقضات؟

كان هدف أوباما منذ البداية التوصل إلى تفاهم مع إيران. اختزل الملفّ النووي الإيراني بالنسبة إليه كلّ أزمات الشرق الأوسط والخليج. لم يكن أوباما يرى سوى الإرهاب السنّي. فرّق بين تنظيم "القاعدة" وأخواته وإخوانه والميليشيات الشيعية التي ترعاها إيران والتي مارست كلّ أنواع التطهير حق العراقيين والتي تشارك في الحرب على الشعب السوري المستمرّة منذ ثماني سنوات تقريبا.

في الوقت الذي كان أوباما يلقي فيه خطابه في القاهرة، كانت مفاوضات سرّية تجري بين الأميركيين والإيرانيين، وهي مفاوضات توجت بلقاءات علنية بين وزير الخارجية الإيراني محمّد جواد ظريف ووزير الخارجية الأميركي جون كيري في جنيف وفيينا.

توصلت الولايات المتحدة، التي كان همها محصورا في تفادي أي إزعاج لإيران، إلى الاتفاق الذي وقعته "الجمهورية الإسلامية" مع مجموعة الخمسة زائدا واحدا (الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن وألمانيا) في شأن الملفّ النووي الإيراني. كان ذلك في صيف العام 2015.

طوال كل الفترة التي استغرقتها المفاوضات السرّية والعلنية بين إيران والولايات المتّحدة، كانت إدارة أوباما مستعدة لغضّ الطرف عن تصرّفات إيران في المنطقة. تجاهلت الإدارة كلّيا ما تفعله إيران في العراق، بما في ذلك استخدامها لـ"داعش" من أجل تدمير المدن العربية وإزالة كلّ أثر للعيش المشترك بين السنّة والشيعة في العراق. تبقى الموصل وما حلّ بها المثل الأكثر وقاحة على ذلك. الأخطر من ذلك كلّه، أنّ إدارة أوباما تجاهلت كلّيا ما يرتكبه النظام السوري، نظام البراميل المتفجّرة والسلاح الكيميائي. عندما لجأ بشّار الأسد إلى السلاح الكيميائي في الغوطة صيف العام 2013، كان باراك أوباما قد تحدّث عن "خطوط حمر" حذّر من تجاوزها. شمل ذلك لجوء النظام السوري إلى السلاح الكيميائي. بقدرة قادرة، صار أوباما يرى كل الخطوط بكل الألوان باستثناء اللون الأحمر. مرّ استخدام السلاح الكيميائي مرور الكرام إرضاء لإيران الذي كان الرئيس الأميركي حريصا على عدم إزعاجها عن طريق ردّ فعل يضع حدّا للجرائم التي كان ولا يزال يتعرّض لها الشعب السوري.

هل تغيّر شيء في الموقف الأميركي من الشعب السوري في ضوء الخطاب الأخير لبومبيو؟

ليس هناك ما يشير إلى ذلك. لم يذهب وزير الخارجية الأميركي إلى أبعد من القول "إننا سنستخدم الدبلوماسية ونعمل مع شركائنا لطرد آخر جزمة إيرانية من سوريا". عن أيّ دبلوماسية يتحدث بومبيو وعن أيّ شركاء؟

يبقى الكلام الجميل كلاما جميلا يبرع به المختصون الأميركيون الذين يصيغون خطابات المقيم في البيت الأبيض وكبار المسؤولين في الإدارة. ولكن ماذا بعد الكلام؟ هل تغيّر شيء في سوريا؟ الجواب، إنّه لم يتغير شيء. تبرّع بومبيو بالكلام عن إخراج الإيرانيين من سوريا وعن خفض النفوذ الإيراني في العراق وعن معالجة موضوع صواريخ "حزب الله" التي تهدّد بحرب يمكن أن تلجأ إليها إسرائيل وتكون نتيجتها تدمير ما بقي من البنية التحتية المهلهلة في لبنان. الأنكى من ذلك كلّه أن كلّ هذا الكلام الكبير الصادر عن وزير الخارجية يأتي في وقت لم يتوضح فيه بعد هل ستنسحب الولايات المتحدة من سوريا عسكريا أم لا؟

براعة في تسويق الكلام فقط

> لم يتمكن بومبيو من إظهار أنّ إدارة ترامب مختلفة عن إدارة أوباما. أكّد على العكس من ذلك أن إدارة ترامب عاجزة عن تمييز نفسها لا أكثر ولا أقلّ. ما يميّز إدارة عن إدارة أخرى هو الأفعال وليس الكلام الجميل الذي لا ترجمة فعلية له على الأرض

لا يزال دونالد ترامب يبحث عن سياسة شرق أوسطية فعّالة. أقدم على خطوة في غاية الشجاعة عندما مزّق الاتفاق في شأن الملفّ النووي الإيراني ودعا إلى مقاربة جديدة مع إيران. تقوم هذه المقاربة، التي تستند إلى تاريخ العلاقات بين "الجمهورية الإسلامية" والولايات المتحدة في السنوات الأربعين الماضية، على تغيير السلوك الإيراني على الصعيد الإقليمي وعلى الصواريخ الباليستية التي تصرّ إيران على امتلاكها.

هناك وعي أميركي لخطورة إيران ودورها على صعيد زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط والخليج. في المقابل، هناك كلام عن انسحاب عسكري أميركي من سوريا. هل تريد إدارة ترامب متابعة السياسة التي اتبعها أوباما ولكن في ظلّ خطاب متشدد مليء بالتناقضات؟

في النهاية، اختلف الخطاب ولم تختلف السياسة. تدعو الولايات المتحدة إلى قمّة تنعقد الشهر المقبل في بولندا للبحث في الموضوع الإيراني وفي الوضع في الشرق الأوسط عموما. تريد إدارة ترامب القول إنّها مختلفة. ما لا تقوله أمران. الأول إنّها لا تمتلك استراتيجية تجاه إيران غير العقوبات. أمّا الأمر الآخر فهو أن على حلفاء إيران في المنطقة لعب دورهم في التصدي لإيران. من هؤلاء الحلفاء سيأخذ على عاتقه التصدي لإيران في سوريا؟ الجواب بكل بساطة أن ما تفعله إدارة ترامب يمثل دعوة صريحة إلى إسرائيل للتصرّف بالطريقة التي تراها مناسبة في سوريا. ما الذي ستفعله إسرائيل التي تقلقها صواريخ إيران في سوريا وصواريخ "حزب الله" في لبنان؟ كيف ستعالج ما تعتبره "تهديدا" خطيرا لها في وقت ليس هناك ما يشير إلى أن روسيا مستعدة للعب الدور المطلوب منها، أي دور المساهم في ترويض إيران وجعلها تأخذ حجمها الحقيقي في بلد مثل سوريا؟

«ديكسيت» على خطى «بريكست»

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❑ كثير من المحرمات بدأت تتهاوى داخل الاتحاد الأوروبي وأصبح من الممكن توقع انعطافة نحو أقصى اليمين في انتخابات البرلمان الأوروبي المرتقبة في الربيع.

أصبحت روما منذ صعود الحكومة الشعبوية بمثابة عرّاب للأحزاب اليمينية الرديفة في باقي الدول وحليف معلن لكافة الحكومات اليمينية في أرجاء أوروبا، بل إن الحديث أصبح علنا اليوم حول محور جديد قد تشكله روما مع وارسو كبديل للمحور الفرنسي الألماني الذي مثّل على مدى عقود قاطرة الاتحاد الأوروبي وخط الدفاع الأول عن المشروع الأوروبي الموحد.

الهدف من هذا الحلف الناشئ، الذي تحدث عنه وزير الداخلية الإيطالي ماتيو سالفيني في زيارته إلى بولندا، هو قيادة ربيع أوروبي جديد ومكافحة البيروقراطية في بروكسل وتعزيز الأمن والإجراءات لحماية الحدود الوطنية.

يضع هذا الحلف القريب أيضا من دول مثل النمسا والمجر وهولندا، ملف الهجرة في صدارة أولوياته كما يسوّق لخطاب يقوم على فكرة تصحيح سياسة "التمييز" التي تنتهجها بروكسل بين دول المركز والأطراف، مستفيدة من خلافات بروكسل السابقة مع وارسو حول إصلاحات قضائية مهددة للنظام الديمقراطي ومع روما بشأن موازنة تتضمن إجراءات شعبوية والمزيد من الإنفاق.

لكن الهدف الأكبر الذي يتطلع إليه الحلف هو الخروج بنتائج تتسق مع طموحاته ومع الزخم الذي تحدثه الأحزاب اليمينية المتطرفة والمناوئة لإملاءات بروكسل في الشوارع، من خلال الانتخابات الأوروبية المقررة في أواخر مايو المقبل.

ليس في وارد الشعبويين، في إيطاليا وبولندا وباقي الحلفاء على الأقل، إضعاف فكرة "أوروبا موحدة" ولكن الفكرة التي تبدو أكثر جاذبية وعملية بالنسبة إليهم هي عملية اختطاف للمشروع الأوروبي. يعتقد سالفيني وحلفاؤه أن الفرصة ستكون مناسبة لتحقيق ذلك عبر صعود الأحزاب اليمينية إلى البرلمان الأوروبي وإضعاف سلطة يمين الوسط واستثمار اهتزاز أدائه في ألمانيا وفرنسا.

قد يشكل صعود اليمينيين في انتخابات الربيع منعرجا تاريخيا للتكتل الأوروبي بعد صدمات الانتخابات الوطنية، ومع ذلك فإن تغيير وجهة المشروع السياسي بالنسبة لحلف روما-وارسو لخدمة المصالح الوطنية والقومية قد يكون من وجهة نظره أسلم من انهياره أو تفككه، وهي تلميحات أصبحت تتردد على الملء في خطابات شعبوية داخل ألمانيا نفسها يقودها الجناح المتطرف لحزب "البديل من أجل ألمانيا"، والذي ينظر له كنسخة مطورة لتيار النازيين الجدد.

وعلى النقيض من تيار سالفيني فإن حزب البديل يطرح خطوة أكثر جرأة وخطورة من خلال مطالبته بـ"ديكسيت"، النسخة الألمانية من "بريكست" البريطانية، من بين النقاط المضمنة في برنامجه الانتخابي. قد تكون الخطوة أبعد ما يكون عن الأمر الواقع في ألمانيا ذات الغالبية المؤيدة تقليديا لأوروبا بنسبة تفوق 50 بالمئة في آخر استطلاع أجراه البرلمان الأوروبي في 2018، غير أن إلقاء الطعم في هذه الفترة وقبل أيام من تصويت البرلمان البريطاني على اتفاق الخروج، قد يدفع نحو نقاش أوسع مماثل في ألمانيا أيضا في فترة لاحقة.

ومهما يكن من أمر فإن حزب البديل الذي حصد نجاحات انتخابية متتالية منذ اندلاع أزمة اللاجئين بدءا من 2015، قد يكون نجح في مرحلة أولى في أن يخترق حاجز التشكيك في الاتحاد الأوروبي، والذي كان حتى وقت قريب من بين المحرّمات داخل ألمانيا.

وبغض النظر عن مآلات الدعوة إلى "ديكسيت" فإن الرأي السائد داخل ألمانيا أن إثارة مثل هذه النقاشات سيؤدي آليا إلى عودة النقاش القديم بشأن الهوية الوطنية وما إذا كان مفيدا فعلا لألمانيا المثقلة بذكريات الحروب، التخلي عن لعب دور القاطرة للاتحاد الأوروبي الذي شكّل الفضاء البديل لعودة اندماج ألمانيا في محيطها الأوروبي والدولي.

وفي كل الأحوال فإن هذا النقاش قد يكون سابقا لأوانه طالما أن الحزب الشعبوي يقترح في برنامجه الانتخابي مبدئيا منح مهلة للمؤسسات الأوروبية من أجل إدخال إصلاحات على مدى خمسة أعوام قبل المطالبة بتفعيل "الديكسيت". وفي هذه النقطة سيكون البديل الألماني عنصر ضغط إضافي على أنصار "أوروبا موحدة" بجانب ضغوط نجم اليمين المتطرف ماتيو سالفيني.

الميليشيات تغيّر وجه العراق الحضاري

مركز جنيف للعدالة: العراقيون شعب مسلوب الإرادة تحكمه سلطة فاسدة في غياب حكم القانون

❑ **جنيف** – بعد الانتخابات البرلمانية في مايو 2018 كان من المنتظر أن يقلب العراق الصفحة ليفتح فصلا جديدا ما بعد الحرب على الإرهاب، وذهبت آمال البعض حد تخيّل عراق ما بعد الطائفية، والأحزاب الدينية، بل وعراق بلا إيران أيضا. وتطلع العراقيون إلى مرحلة يبدأ فيها العمل على معالجة الاستقطاب في البلاد والفساد المستشري وعدم الاستقرار الناتج عن العنف؛ لكن الحاصل هو أن الوضع ازداد سوءا وتعقيدا.

يعاني العراق من تراكمات إرث الاحتلال الأميركي، قبل 15 سنة، وما سبقه من حصار وتضييق، ثم ما جاء به من إرهاب وفوضى ومحاصصة طائفية وتدخل إيراني، وهو ما لا يحمل مؤشرات على تحسّن قريب للوضع، سواء من خلال متابعة أزمة تشكيل الحكومة والانقسامات الطائفية أو من خلال ما يرصده مركز جنيف الدولي للعدالة (منظمة غير حكومية مستقلة) في تقاريره حول الوضع في العراق، والتي من أحدثها، إصدار حالة حقوق الإنسان في العراق لسنة 2018، والذي جاء بعنوان لافت لخّص الوضع العراقي، بأنه "شعب مسلوب الإرادة، تحكمه سلطة فاسدة، في غياب لحكم القانون".

يستمد الخبراء في المركز هذا التوصيف مما تم رصده في العراق من أوضاع متردية، كانت نتيجة للغزو الأميركي الذي تمر هذا العام الذكرى الخامسة عشرة له، لكنه نتيجة أيضا للحكومات التي شهدها العراق على مر هذه السنوات، بعد أن تم حل مؤسسات الدولة وإحلال نظام حكم يقوم على المحاصصة الطائفيّة وإبعاد الكوادر المحترفة في الدولة، ليحل محلها موالون لإيران ومسؤولون استفادوا كثيرا من حالة الفوضى والانقسام.

أعاد هذا الوضع السياسي، العراق إلى عهود غابرة، حيث هناك أحياء بأكملها تفتقر للمياه والكهرباء والخدمات الأساسية، وحيث ينتشر الفقر والأمية وأمراض كان قد قضي عليها منذ أواسط القرن الماضي، بالإضافة إلى أن حقوقه في التمتع بأعلى مستوى ممكن من الصحة البدنية والعقلية والتعليم، والتجمع السلمي، وتكوين الجمعيات وحرّية التعبير، بل حقه الأساس في الحياة، قد تعرّضت جميعها للخطر نتيجة للعمليات العسكرية العشوائية والمدمّرة التي نفذت في البلد وكذلك سياسات التخويف والتهديد.

في هذه البيئة من تردّي الأوضاع وعدم الاستقرار، سيطرت الميليشيات، التي تشيع الطائفية ونشر العنف، في مختلف مدن البلاد، وتفاقمت الأوضاع الهشة لسكانها، وغابت سلطة الدولة وسيادة القانون جرّاء ضعف القضاء وعدم استقلاليته.

استخدمت السلطة والميليشيات ذريعة محاربة الإرهاب لتدمير مدن العراق الكبرى، وتركتها غير الصالحة للسكن وهو ما يعرّض حياة الملايين للخطر، وهناك مدن أخرى يُحرم سكّانها من مجرد التفكير في العودة إليها مثل جرف الصخر.

وعادة ما يتم قمع أولئك الذين يتظاهرون سلميا من أجل حقوقهم، فضلا عن استمرار استهداف الصحافيين. كما ثبت تعاطي الكثير من القضاة وقادة الأجهزة القضائية الرشاوى، وخضوعهم لأهواء السلطة التنفيذية والميليشيات وإصدارهم الأحكام طبقا لذلك. وما تزال المحاكم تستخدم قانون مكافحة الإرهاب رقم 13 لعام 2005 في إنزال أحكام غير عادلة ضد الكثير من الأبرياء، تصل إلى الإعدام، تنفيذا لرغبات المسؤولين الحكوميين وقادة الميليشيات. وأدى ضعف القضاء والضعف المؤسساتي لأجهزة حفظ القانون إلى سيادة فوضى عارمة في البلاد من أهم مظاهرها انتشار السلاح على نطاق واسع، واللجوء إلى العنف لتصفيّة الحسابات، والركون إلى حكم العشائر لحلّ الخلافات.

بالرغم من أن البلاد تُجري انتخابات منتظمة كل 4 سنوات منذ عام 2003، لكن تلك الانتخابات، بما فيها تلك التي جرت في مارس 2018، ظلّت بعيدة كل البعد عن الديمقراطية. ومن الأسباب الرئيسية لذلك هو أنها تستند إلى دستور يهدف إلى الحفاظ على النظام الطائفي الحالي بكل سيئاته، رغم أن الغالبية العظمى من الشعب تطالب بتغيير ذلك.

في كل هذه الانتخابات، لا يستطع الناخبون التمييز بين الأفراد الذين يشكلون مختلف الائتلافات، حيث لا يتم تقديم المعلومات الكافيّة عن الأسماء، كما لا يتم توفير برامج انتخابية محدّدة، لذلك لا يمكن للجمهور الاعتماد إلا على الوعود الكاذبة للمرشحين الذين يستغلون الأوضاع السيئة في البلاد للحصول على الأصوات. وهنا تستشري الرشوة والفساد على أساس منتظم، ويجري دفع الناخبين للتصويت على أسس طائفية.

وقد أُعتبرت الانتخابات التي جرت في عام 2018 الأسوأ من نوعها، فقد جرت في ظل مقاطعة شعبية عارمة، إذ تؤكدّ تقارير وملاحظات المئات من المراقبين داخل العراق أن أقل من 20 بالمئة قد شاركوا فيها. كما شابها تزوير كبير وتعالت الاتهامات بين الأطراف السياسية المشاركة بها وقدّم كل طرف الأدلّة على حصول تزوير من قبل أطراف أخرى، وعندما تم الاتفاق على إجراء فرز يدوي للأصوات في أحد المراكز الانتخابية المهمّة جرى حرق المركز بما فيه من صناديق انتخابية في فعل مفضوح الأهداف.

فساد السلطة

منذ الغزو الأميركي تغلغل الفساد في معظم مفاصل الدولة في العراق. وأصبحت الرشوة والرعاية على أساس الحزب أو الأسرة أو المجتمع، هي ممارسة شائعة داخل الحكومة العراقية. ولم يعد بالإمكان تنفيذ أي مشروع كبير أو صغير دون أن يصاحب ذلك دفع رشاوى لغرض استحصال الموافقات الرسميّة عليه. كما لم يعد بالإمكان الحصول على أي وظيفة في الدولة – مهما كانت بسيطة– دون دفع رشاوى للحصول عليها.

الشقّ الآخر للفساد الحكومي هو سرقة الأموال العامة بالجملة. وتتم (السرقة) غالبا من خلال المشاريع الوهميّة التي لا تُنفذ إنما تهرّب التخصيصات الخاصّة بها إلى خارج البلاد من قبل أعلى المسؤولين في السلطة. وحتى نهاية العام 2018، فإن مشاريع الطاقة الكهربائية، الطرق والجسور، المستشفيات، المدارس والجامعات، المصانع، وغير ذلك ظلّت حبرا على ورق في حين أن تخصيصاتها قد استولى عليها المسؤولون المعنيون.

> عادة ما يتم قمع أولئك الذين يتظاهرون سلميا من أجل حقوقهم، فضلا عن استمرار استهداف الصحافيين. ولا تزال المحاكم تستخدم قانون مكافحة الإرهاب رقم 13 لعام 2005 في إنزال أحكام غير عادلة ضد الكثير من الأبرياء، تصل إلى الإعدام، تنفيذا لرغبات المسؤولين الحكوميين وقادة الميليشيات

ووفقا لبيانات هيئة النزاهة العراقيّة وعدد من المختصين في العراق، فإن مجموع المبالغ التي هُرّبت خارج العراق هو تريليون و14 مليون دولار أميركي. ومع نهاية العام 2018 ما يزال العراق يحتل موقعا متقدما بين أكثر الدول فسادا في العالم، وأقل الدول في معيار الشفافيّة الدوليّة.

تراجع الحقوق

عبر رصد آراء العراقيين والأوضاع داخل البلاد، يؤكد مركز جنيف أن الوضع في العراق، مع نهاية العام 2018 وبداية العام 2019، هو أكثر من سيء، حيث أن الملايين من العراقيين يعيشون حالة يأس من حصول أيّ تغييّر للوضع في بلدهم. واعتبر 52.5 بالمئة من العراقيين أن الأوضاع الاقتصادية السيئة (الفقر والبطالة وارتفاع الأسعار) هي أهم التحدّيات التي تواجه حياتهم، حيث يزداد إفقار العراقيين يوما بعد آخر، إذ تزداد أعداد العاطلين عن العمل (60 بالمئة في صفوف الشباب)، وتتجاوز نسبة الذي يعيشون تحت مستوى خط الفقر أكثر من 40 بالمئة، ويقدّر أن أكثر من 8 مليون عراقي، أي ما يقرب من 25 بالمئة من السكان، يحتاجون إلى شكل من أشكال المساعدة في واحد أو أكثر من الاحتياجات الأساسيّة التالية:

- الغذاء: يعيش أكثر من ربع السكان في العراق الآن تحت خط الفقر البالغ دولارين في اليوم. ويعدّ انعدام الأمن الغذائي حالة مُزمنة في العديد من المناطق (مثل واسط والناصرية والمثنى). وعندما يتوفر الغذاء الأساسي للغاية، يكون السعر مرتفعا جدّا بحيث لا يقوى على تحمّله سوى عدد قليل.
- المياه: يفتقر الملايين من العراقيين إلى المياه الصالحة للشرب ويعيشون في ظل أنظمة مياه مجاري سيئة. وفي المناطق الريفية، حيث لا يحصل سوى عدد قليل جدا من الأسر على مياه الشرب المأمونة، يصبح الوضع أكثر خطورة. كما أن سوء نوعية المياه قدّ أدى إلى الإصابة بكثير من الأمراض التي تنقلها المياه وغيرها من الآثار الخطيرة.
- الكهرباء: متوسط ما تتلقاه الأسر في بغداد من الكهرباء يتراوح بين 4 و8 ساعات فقط من خلال الشبكة العامة، في حين تتلقى بقية البلد أقل من 4 ساعات في اليوم.
- السكن: يزداد عدد العراقيين المحرومين من سكن لائق يوما بعد آخر، وتنتشر العشوائيات في مدن العراق التي تغيب عنها أبسط الخدمات، كما يزداد عدد المشرّدين الذين غالبا ما يتخذون الشوارع والساحات العامة مكانا لإيوائهم في ظل تخلّي الدولة عن القيام بواجباتها. ويكون هؤلاء عرضة للانتهاكات والمضايقات وتحت رحمة الميليشيات والعصابات المسلّحة.

ويرصد التقرير تدهورا كبيرا في النظام التعليمي الذي يعاني بسبب تدمير المعاهد التعليمية والمباني في جميع أنحاء البلاد إثر الغزو. فقد تعرضت 84 بالمئة من مؤسسات التعليم العالي العراقية للحرق والنهب والتدمير بعد الغزو مباشرة. وفشلت الحكومة في إعادة بناء نظام التعليم ومنع استخدام المرافق التعليمية كقواعد عسكرية أو مقرّات للميليشيات ومسرحا لتدخل رجال الدين.

وفي السنوات العشر الماضية، قامت وزارة التعليم بهدم أكثر من 700 مدرسة على أساس الحاجة لإعادة بنائها، ولكنها لم تنفذ خطة إعادة إعمار حقيقية. ونتيجة لذلك، ووفقا لتقرير التنمية البشرية لعام 2016، فقد انخفضت معدلات معرفة القراءة والكتابة بين البالغين في العراق إلى نسب كبيرة. فبعد أن استطاع العراق القضاء على الأميّة منذ الثمانينات ها هي تعود إليه ثانية، إذ يقدّر أن ما يقرب من 40 بالمئة من العراقيين لا يجيدون القراءة والكتابة. وبالمثل، تراجعت حقوق المرأة، بعد أن كان العراق دولة رائدة في هذا المجال.

من خلال جعل التعليم إلزاميا للجميع عام 1976، أغلقت الحكومة العراقيّة فجوة معرفة القراءة والكتابة بين الرجال والنساء بشكل خاص، مما ساهم في تمكين المرأة في مجال العمل. غير أن معدّل معرفة القراءة والكتابة في العراق تدهور جدا بعد الغزو. فأصبح ما يقرب من نصف النساء العراقيّات لا يستطعنَ القراءة أو الكتابة.

ومعظم من يصلن إلى البرلمان ضمن نسبة الـ25 بالمئة هنّ من الأحزاب الدينيّة وغالبا ما يقفنَ ضد المساواة للمرأة. لذلك فإن معظم البرلمانيات لا يبدين سوى القليل من الاهتمام بحقوق المرأة.

وتشير الوقائع إلى تردّ كبير لحالة الطفولة في العراق عام 2018، في ظل استمرار تراجع الدولة عن القيام بواجباتها. إذ يعاني

من سيء إلى أسوأ

أطفال العراق من مشكلات مركبة، أهمها فقدان الوالدين أو أحدهما. فهنالك ما يقرب من 5 ملايين طفل يتيم في العراق، ومعظم هؤلاء لا يتلقون تعليما مناسبا، ولا رعاية صحيّة فضلا عن اضطرار الكثير منهم للعمل أو للتسول لسدّ رمق الحياة. ويزداد عموما أعداد الأطفال المتسربين من المدارس، كما يزداد أعداد الأطفال المشردين، خاصّة من نجوا من المدن التي تعرّضت للتدمير وذهب ضحية ذلك بعض الآباء والأمهات. وبالتالي فإن أولئك الأطفال غالبا ما يقعون ضحيّة لانتهاكات خطيرة للطفولة منها تعاطي المخدّرات، ويكونون عرضة للاعتداءات الجنسية ولعصابات الاتجار بالبشر.

وتتضاعف أزمة النساء خصوصا في مخيمات النازحين، التي مازالت تمثل أزمة كبيرة حتى بعد انتهاء الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

وهنالك أكثر من مليوني نازح عراقي داخل البلاد بسبب عدم الاستقرار وأعمال الميليشيّات. والنازحون هم الأكثر ضعفا لأنهم يعتمدون كليا على المساعدات الإنسانية من أجل البقاء، وهو ما لا يكفي عادة لتوفير مستويات المعيشة الأساسية.

وعلى الرغم من أن القتال مع داعش قد انتهى، لا يزال مئات الآلاف من النازحين لا يستطيعون، حتى اللحظة، العودة إلى ديارهم بسبب تدمير مدنهم، ومنعهم من العودة من قبل الميليشيات. ومن الأمثلة على ذلك بلدة جرف الصخر في محافظة بابل. وتقف وراء ذلك الميليشيات وبعض أعضاء الحكومات المحليّة دون أن تتخذ السلطات العراقيّة أي إجراء يسمح بعودتهم إلى المناطق التي هجّروا منها.

وتنشط الميليشيات بشكل متزايد في العراق. وتتراوح الفظائع التي ترتكبها تلك الميليشيات بين الاختطاف والاحتجاز غير القانوني والإعدام العلني والتعذيب والعنف العام وحتى التطهير العرقي.

وقد ازداد دور الميليشيات مع وصول العديد من قادتها إلى عضوية البرلمان العراقي عام 2018. ويوجد اليوم أكثر من مئة ميليشيا تعمل داخل العراق، وجميعها تنخرط في الاعتقال والاحتجاز والتعذيب، وفي حالات كثيرة، تنفذ عمليات إعدام دون محاكمة للمدنيين مع إفلات تام من العقاب.

ويختتم مركز جنيف تقريره محذرا من استمرار ممارسات مثل التعذيب والإعدامات والاختفاء السري، داعيا السلطات والحكومة التي تمخضت عن انتخابات 2018 إلى عدم تقييد حرّية التجمّع والتظاهر، مؤكدا أن استخدام العنف أو القوة المسلّحة ضد المتظاهرين من شأنه أن يضع السلطات تحت طائلة المساءلة دوليا.

ويذكّر هذه السلطات بأن الحق في التجمع وحرّية الرأي والتعبير يظل من الحقوق المكفولة بموجب المواثيق الدولية.

أهم التحديات عند العراقيين

- 52.5 بالمئة يعتبرون أن الأوضاع الاقتصادية هي أهم التحديات
- 32.5 بالمئة يعتبرون أن القضاء على الفساد المالي والإداري من أبرز التحديات
- 9.7 بالمئة يرون أن تحقيق الأمن والاستقرار الداخلي ضرورة قصوى
- 3.5 بالمئة أشاروا إلى أن تعزيز الديمقراطية يمثل تحديا مهما لهم

أي دور لمؤسسة قطر في واشنطن

قضية خاشقجي تثير تساؤلات حول أموال وبرامج مؤسسة قطر الدولية

المؤسسة إحدى أدوات القوة الناعمة القطرية للتأثير في صناع القرار الأميركي

سلط التقرير الذي نشرته صحيفة واشنطن بوست عن علاقة الصحافي السعودي الراحل جمال خاشقجي بمؤسسة قطر الدولية، ومديرتها التنفيذية ماغي ميشال سالم، الضوء على الأدوار الحقيقة لهذه المؤسسة، سواء فرعها الموجود في واشنطن، أو الفرع الرئيسي في الدوحة؛ كما أثار التقرير تساؤلات وجدلا كبيرا حول حقيقة "الأهداف النبيلة" التي تروج لها المؤسسة، التي تبين أنها ليست سوى إحدى الأدوات الناعمة التي تستعملها الدوحة للتأثير في صناع القرار والرأي العام الأميركيين، خاصة بعد أن كشفت رسائل نصية بين خاشقجي وماغي ميشال سالم، أن الأخيرة كانت تراجع وأحيانا تكتب المقالات التي يفترض أن يعدها جمال بنفسه ويرسلها إلى واشنطن بوست للنشر، والتي تستهدف بشكل خاص السعودية.

توماس فرانك
كاتب في العرب ويكلي

❑ **واشنطن** – تقول مؤسسة قطر الدولية، التي تتخذ من واشنطن مقرا لها، إنها تسعى إلى خلق روابط هادفة تدعم العلاقات مع العالم العربي من خلال دعم برامج في المدارس الأميركية، تعلم اللغة والثقافة العربيتين.

التقارير الأخيرة التي أفادت بأن المديرة التنفيذية للمؤسسة، ماغي ميشال سالم، ساعدت الصحافي جمال خاشقجي على كتابة أعمدة تنتقد السعودية لأنها كانت تخوض نزاعا مريرا مع قطر، أثارت تساؤلات وشكوكا حول طبيعة هذه المؤسسة ومهمتها "النبيلة".

جيم هانسون

> خاشقجي قد يكون انتهك القانون من خلال عدم الكشف عن علاقاته مع مؤسسة قطر، والمقالات التي نشرت في واشنطن بوست تعتبر محاولات لتغيير السياسة الأميركية ضد السعودية

جاء في مقال نشرته واشنطن بوست بتاريخ 23 ديسمبر 2018، وهي نفس الصحيفة التي نشرت أعمدة خاشقجي في عامي 2017 و2018، أن ماغي ميشال سالم، وهي دبلوماسية أميركية سابقة، تدير المؤسسة التي تموّلها قطر، ساهمت في صياغة وتحرير وتعديل ومراجعة الأعمدة التي كان يكتبها خاشقجي، وحثته على اتخاذ مواقف أكثر تشددا ضد السعودية.

وأثارت هذه القصة تساؤلات حول المؤسسة وخاشقجي. وطرحت أسئلة حول ما إذا كانت المؤسسة ذراعا دعائية في قطر

وهل كان خاشقجي ذراعا قطرية حين كان يقيم في الولايات المتحدة وينشر مقالته في صحيفة واشنطن بوست، قبل مقتله في القنصلية السعودية في إسطنبول في 2 أكتوبر 2018.

ويقول ديفيد ريبوي، الباحث الأميركي في مجموعة الدراسات الأمنية والخبير في الشرق الأوسط، لصحيفة "العرب ويكلي" إنّ هذه المعلومات تظهر أن المؤسسة هي إحدى أدوات القوة الناعمة القطرية التي تستخدمها للتأثير بأي طريقة لخدمة مصالحها.

ويضيف ريبوي "نميل إلى اعتبار المؤسسات كنوع من المنظمات غير الربحية وغير الحزبية. لكن مؤسسة قطر مختلفة. إنها موجودة لتعزيز أولويات الدولة".

وكتب في رسالة بالبريد الإلكتروني أن سالم استغلت كل فرصة لجعل مقالات خاشقجي تتخذ مواقف عدوانية ضد السعودية. ونفت سالم، من جهتها، أي محاولة للتأثير على السياسة الأميركية من خلال أعمدة خاشقجي، قائلة إنها كانت تعرف الكاتب السعودي منذ 2002، وأنها تحدثت معه كصديق لها.

وكشفت واشنطن بوست، في تحليلها حول العلاقة بين ماغي ميشال سالم وجمال خاشقجي، عن رسالة أرسلت بالبريد الإلكتروني في أغسطس الماضي، حثت فيها سالم خاشقجي على الكتابة عن تحالفات السعودية مع الولايات المتحدة وإسرائيل، والأحزاب اليمينية الصاعدة في أوروبا، وسعيها إلى وضع حد للنظام العالمي الليبرالي الذي يتحدى انتهاكاتها في الداخل. وبعد التعبير عن تردده في اتخاذ موقف قوي، رد خاشقجي على سالم قائلا "هل لديك وقت لكتابته؟".

وفي عمود نشر بتاريخ 7 أغسطس 2018 في واشنطن بوست، بدا أنّ خاشقجي استخدم بعض اقتراحات سالم. وفي الوقت الذي كان فيه خاشقجي وسالم يتواصلان، استأجرت مؤسسة قطر الدولية الأم، في الدوحة، مؤسسة دولية للعلاقات العامة لتوفير التواصل الإعلامي والاستشارة الاستراتيجية وتخطيط المقابلات في الولايات المتحدة، وذلك وفقا للسجلات التي استعرضتها صحيفة "العرب ويكلي". وقامت الشركة، وهي مجموعة أوغليفي غروب، بتعيين خمسة خبراء علاقات عامة في نيويورك وواشنطن لمساعدة المؤسسة الأم.

وعلى الرغم من أن السجلات تشير إلى أنّ جهود العلاقات العامة يمكن أن تكون قد ساهمت في صقل صورة المؤسسة، إلا أن قرار أوغليفي بإخبار وزارة العدل الأميركية عن عملها مع مؤسسة قطر الدولية في الدوحة، يشير إلى أن المجموعة تحاول التأثير على صناع السياسة الأميركيين.

أداة للتأثير في الرأي العام

وقد قامت أوغليفي بتقديم سجلاتها، بموجب قانون أميركي يفرض على وكلاء الحكومات الأجنبية التسجيل في وزارة العدل والكشف عن جميع الأنشطة التي يقومون بها في إطار التأثير على الرأي العام الأميركي والسياسة والقوانين. وكتب جيم هانسون، رئيس مجموعة الدراسات الأمنية،

أنّ "خاشقجي قد يكون انتهك القانون من خلال عدم الكشف عن علاقاته مع مؤسسة قطر، وأنّ المقالات التي نُشرت في صحيفة واشنطن بوست تعتبر محاولات لتغيير السياسة الأميركية ضد السعودية".

كما يخضع فرع المؤسسة، في واشنطن، للمزيد من التدقيق لأن المؤسسة الأم، في الدوحة، قامت بمنح مئات الملايين من الدولارات للجامعات والمدارس الأميركية في السنوات الأخيرة.

ويظهر تحليل للبيانات التي تحتفظ بها وزارة التعليم الأميركية، أنه اعتبارا من يوليو 2012 وحتى يوليو 2018، كانت المؤسسة الأم أكبر ممول أجنبي فردي في الكليات والجامعات الأميركية، حيث دفعت ما مجموعه 1.2 مليار دولار، تتضمن 50 مليون دولار من "الهدايا" إلى خمس جامعات أميركية.

كما قدمت 31 مليون دولار إضافية للعشرات من المدارس الحكومية الأميركية من عام 2009 حتى عام 2017، وفقا لصحيفة وول ستريت جورنال. وقالت الصحيفة إن هذه الأموال كانت تدفع تحت حجّة تشجيع البرامج العربية في المدارس المتوسطة والثانوية وتدريب المعلمين.

لكن، وفقا لتقرير صدر عن منتدى الشرق الأوسط، هناك مؤشرات على أنّ لهذه البرامج هدفا أعمق في التأثير على السياسيات الأميركية. ويقول التقرير إنّ المؤسسة شاركت في إنتاج شريط فيديو دعائي ضد السعودية بالتعاون مع قناة الجزيرة القطرية.

وتقول المؤسسة على موقعها على الإنترنت إنها منحت، منذ إنشائها في عام 2009، المال للمدارس في الولايات المتحدة وكندا والمملكة المتحدة لإنشاء أو توسيع برامج اللغة العربية. وهي تمول حاليا 24 مدرسة ثانوية ومدارس متوسطة في الولايات المتحدة.

وقال ريبوي إنّ في ذلك إشارة إلى صناع القرار والصحافيين والباحثين الذين يزورون المدارس. وكمكافأة إضافية للمؤسسة، يمكنها تحقيق العديد من الأهداف المستقبلية عبر التأثير على الطلاب.

ديفيد ريبوي

> مؤسسة قطر الدولية موجودة لتعزيز أولويات الدولة. وماغي ميشال سالم استغلت كل فرصة لجعل مقالات الصحافي جمال خاشقجي تتخذ مواقف عدوانية ضد السعودية

> كشفت واشنطن بوست عن رسالة أرسلت بالبريد الإلكتروني في أغسطس الماضي، حثت فيها سالم خاشقجي على الكتابة عن تحالفات السعودية مع الولايات المتحدة وإسرائيل، والأحزاب اليمينية الصاعدة في أوروبا، وسعيها إلى وضع حد للنظام العالمي الليبرالي الذي يتحدى انتهاكاتها في الداخل. وبعد التعبير عن تردده في اتخاذ موقف قوي، ردّ خاشقجي على سالم قائلا «هل لديك وقت لكتابته؟»

زعيم استثنائي يقود مصالح بلاده عبر حقول ألغام لا ترحم

فلاديمير بوتين
يلعب الشطرنج مع العالم على رقعة الشرق الأوسط

❑ **لندن** – يواصل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين تغيير العالم. وهو الذي صدرت حول شخصيته وفكره العشرات من الكتب والمئات من الأبحاث خلال السنوات القليلة الماضية، كلها تتوقف عند صعود فلسفة حكمه التي تستحق أن تسمّى بـ"البوتينية" والتي هي في جوهرها نهجٌ يهدف إلى "استعادة روسيا الإمبراطورية". ولد هذا التوجه ذات يوم في اجتماع لعدد من المثقفين الروس عقد في العام 1999. وصدرت عنه وثيقة هامة أشرف عليها غيرمان غريف الذي يشغل اليوم منصب مدير مصرف سبيربنك أكبر المصارف الروسية، وهو صاحب نظريات مذهلة تتحدث عن المستقبل، مثل نظريته حول انتهاء عصر النفط، التي طرحها في منتدى "غيدار" الاقتصادي السنوي في موسكو، حين قال إن "العصر الحجري انتهى ليس لنفاد الحجارة، والشيء نفسه يمكننا قوله حول عصر النفط".

تقول وثيقة غريف التي غدت دليل عمل لبوتين لاحقا إن "روسيا تمر اليوم بأعظم أزمة في تاريخها، وإن كافة مواردها ومقدراتها السياسية والاقتصادية والأخلاقية ينبغي حشدها لتمكين البلد الموحد من التغلب عليها. البلاد بحاجة إلى شعور جديد بالمسؤولية، إلى مشروع روسيا الجديدة. هذا المشروع الروسي الجديد ينبغي له أن يشكل الأساس لسياسة الدولة، وأساسا للتضامن بين الروس".

ولعل كثيرين من قراء التحولات الاستراتيجية والجيوسياسية في العالم ينظرون إلى بوتين على أنه ظاهرة حقيقية، أحدث تغييرا كبيرا في بلده وفي العالم، بفضل السياسات غير التقليدية التي يتبعها إزاء الملفات الثقيلة والهامة التي لا يتردد بوتين في زج روسيا في أتونها مهما كلف الثمن، وغالبا ما يكون الثمن المزيد من المكاسب الاستراتيجية والاقتصادية لروسيا كل مرة.

> «البوتينية» نهجٌ يهدف إلى «استعادة روسيا الإمبراطورية». وقد ولد هذا التوجه ذات يوم في اجتماع لعدد من المثقفين الروس عقد في العام 1999. وقد صدرت عنه وثيقة أشرف عليها العقل المستقبلي غيرمان غريف، لتتحول تلك الوثيقة إلى دليل عمل لبوتين لاحقا

البعض يقول؛ انظروا إليه. لقد خرج بوتين منتصراً في سوريا، بينما يظهر الرئيس الأميركي مهزوماً ومندحراً في نقاط التماس الحارة، انظروا إلى بوتين كيف فرض إرادته في القرم، وانظروا إلى ترامب وهو يصارع أجهزة الدولة الأميركية الواحد تلو الآخر، ولكن ما السبب في غرق ترامب في تحقيقات لا أول لها ولا آخر قد تودي به وبمنصبه؟ إنه بوتين أيضاً، واتهام ترامب بالتنسيق مع الروس أثناء حملته الانتخابية.

العرب والغرب المنحسر

عربياً، لم يتردد بوتين في التفاعل مع من أراد التفاعل معه، وكان وفياً لحلفائه، على النقيض من الحليف الأميركي الذي يعطي الدرس لحلفاء أميركا بأن واشنطن لا أصدقاء لها.

نعم لقد أثبت العرب مرة أخرى أنهم يراهنون على الحصان الخاسر. وصحيح أنهم أهدروا مليارات الدولارات على استثمارات خاسرة، ولو فعلوا هذا مع بوتين لكانت النتائج غير ما نرى الآن.

ولكن من قال إن العرب بوسعهم أن يختاروا الحصان أساساً؟ لم يكن بوتين جالساً في الكرملين رافضاً للتدخل في الشرق الأوسط، بل كانت فرقه السياسية والدبلوماسية تعمل هنا وهناك لتنشيط دور روسيا، وخلق فكرة "دور بوتين الضروري"؛ لأفروف الذي يتصرف بحريته ضمن برنامج صارم لا يتدخل فيه الرئيس لكنه يصب في نهاية الأمر في صالحه، بوغدانوف الذي يضفي بصمات الروح الإمبراطورية على جميع الملفات التي يكلف بها، شويغو في الحرب أيضاً، وآخرون غيرهم ينتشرون من أقصى شرق آسيا مروراً بالشرق الأوسط ووصولاً إلى أميركا اللاتينية.

يحفر بوتين دوما تحت السجادة التي يقف عليها الأميركي. ولا يكاد يعلو صوت تصريح للخارجية الأميركية إلا ويليه تصريح آخر روسي، مناقض ومتحد، يخبر الأميركيين والعالم بأن بوتين حاضر هنا وهناك.

● الباحث البريطاني بن جودا، وبعد أن درس فكر بوتين لثلاث سنوات، يقول إن الروس وقعوا في علاقة متناقضة من الحب والكراهية والدعم والرفض لبوتين في الوقت ذاته.

وجد العرب أن تجربة المئة عام الماضية التي جمعتهم في تحالفات مع الغرب الأميركي والأوروبي لم تزدهم إلا خسراناً في جميع قضاياهم. فتراجعت القضية الفلسطينية حتى أصبحت قضية أمنية مشتّتة الأهداف والهويات، وتفككت دول وكيانات عربية كانت حاضنة للمصالح الغربية، وإذا بالغرب يتخلى عنها من أجل مصالح أكبر، كما في الحالة الليبية، وخسر العرب سوريا بالتعويل على وعود أصدقاء الشعب السوري الذين بلغ عددهم أكثر من ثمانين دولة تتصدرها أميركا، كل هؤلاء لم يتمكنوا من هزيمة المشروع الإيراني في سوريا وقبلها العراق ولبنان واليوم في اليمن. لكن بوتين أصبح في قلب اللعبة ويمكنه أن يفعل الكثير إن حاول العرب التفكير بصورة غير نمطية.

وإن كان لا بد من نظرية استشراقية يتعامل بها الأقوياء مع العرب، فإن نظرية بوتين تبدو أكثر رحمة من استشراق الغرب الذي قدم لنا نموذجاً صارخاً في العراق. وكرره في ليبيا، وأراد تكراره في أكثر من بقعة، لولا بوتين.

الأميركي يعلن صراحة قراره بالانسحاب التدريجي ليس من سوريا فقط، بل من الشرق الأوسط كله، وهذا قرار يجري تطبيقه على قدم وساق منذ عهد إدارة أوباما، وحتى هذه اللحظة. والأوربيون يعالجون جراح أمهم العجوز واحتمالات تفككها وتصدع القوة الاقتصادية التي يمثلها اتحادهم، وبالكاد يكون لتدخلهم أثر ملموس في ملف عالمي خارج القارة، المهم لديهم أن يبقى الاتحاد والمهم أكثر أن تحفظ مصالح الاتحاد الاقتصادية والأمنية. وليذهب العالم إلى الجحيم. لكن بوتين لا يفكر هكذا.

الأتراك يريدون استعادة مجد العثمانيين، عبر مشاريع الرئيس رجب طيب أردوغان الذي يحاول أن ينجو من تناقضات بلاده الداخلية، وصراعه المفتوح مع ملايين الأتراك الذين لا يرون مستقبل تركيا كما يراه الإسلام السياسي الذي يمثله أردوغان وحزبه. أردوغان الذي لا يخفي نهمه في أن يكسب المزيد من الكعكة الشرقية، سواء في الخليج، حيث يضغط أكثر على قطر أو في التعامل الانتهازي مع السعودية وابتزازها المستمر، أو في سوريا التي يعلن مسؤولو أردوغان صراحة أن مناطقها الشمالية هي أجزاء من ولايات عثمانية تاريخية وأن حقهم فيها لا رجوع عنه، لكن بوتين هناك.

إيران ووعد بوتين

إيران التي تحتل أربع عواصم عربية لم تقل يوماً إنها تريد الحوار مع جيرانها العرب، لكن العرب يكتفون بالنحيب من تقدم النفوذ الإيراني، في العراق يعتقد بعض العرب أنهم بمد اليد إلى من تبقى من السياسيين العراقيين شبه المستقلين سوف يمكنهم بذلك استعادة العراق من براثن إيران. لكن هذا الحلم يشبه حلم إبليس بدخول الجنة من جديد بعد طرده منها. غير أنه حلم ممكن مع حليف مثل بوتين.

في سوريا تكاد النظرية تنجح، وبقي أن يجري اختبار بوتين في التعامل مع الملف الإيراني هناك، لقد وعد بوتين العرب بإخراج إيران بعد القضاء على الفوضويين والإرهاب الإسلامي المتطرف واستعادة الدولة المركزية، ليس حبا بالرئيس السوري بشار الأسد، فبوتين لم يتعامل معه مرة واحدة بتقدير كاف، ومستشاروه يكيلون للأسد عبارات مهينةً باستمرار سرعان ما تنتشر في الصحافة الروسية والعالمية، لكن الأسد يمثل في نظر بوتين الدولة المركزية وهو مشروع لا يقبل بوتين المساومة عليه، إن أراد تحقيق وعده الذي أعطاه للعرب بطرد إيران في نهاية المطاف.

المزيد من الزلازل

ما الذي قدمه الغرب للعرب حتى الآن، لم يتردد في وعدهم بـ"فوضى خلاقة" لا تبقي ولا تذر. لكن بوتين لم يفعل ذلك، مد يد الصداقة إليهم من جديد بعد عشرات السنين من القطيعة مع العرب المعتدلين، عرب نظروا إلى الروس على أنهم الخطر الشيوعي الذي هابه الغرب، حتى من كان يتحالف منهم مع موسكو آنذاك، كان يزجّ بالشيوعيين العرب في السجون كي لا يشعر الروس بالطمأنينة. كان العرب في الحقيقة مستغرقين تماماً في الوهم الغربي، ولذلك لم يعدّوا العدة للحظة التي سوف يدير بها الغرب ظهره لهم ويتركهم نهباً للطامعين الإقليميين. لقد دفعهم الغرب إلى خوض حروب بلا نهاية، حتى أن تاريخهم الحديث يكاد يخلو من سنة سلام واحدة، دون أن يقدّم لهم فرصة واحدة ليخرجوا منتصرين، بل إنه كان يسلّح أعداءهم في غالب الأحيان، كما في فضيحة إيران غايت حين كانت أميركا تزود العراق بالسلاح علناً، وتزوّد إيران به سراً، في الوقت ذاته. فهل فعل بوتين ذلك؟

بصعود الديمقراطيين مجدداً في الكونغرس، سيزداد الضغط على ترامب، وسيواجه خلال نصف السنة الأول من العام الحالي 2019 احتمالات قد تكون غير متوقعة، وانعكاساتها على العرب سوف تكون أيضاً خارج الحسابات التقليدية، لولا أن لديهم خطاً استراتيجياً احتياطياً مفتوحاً مع بوتين.

ترامب لا ينظر إلى العرب إلا كخزان مليارات، ولا يستطيع الدفاع عن سياساته معهم إلا وفق هذا النهج وبهذه الذريعة أمام دافعي الضرائب الأميركيين، لكن بوتين لا يفعل هذا، هو يقدّم فلسفة مشتركة مع العرب، تلتقي مع مشروعهم لمحاربة الإرهاب والتطرف والبحث عن الاستقرار السكاني والتنموي أيضاً. وعلى قدر ما تبدو سياسة بوتين غير تقليدية إلا أنها سياسة أقرب إلى الطبيعية في العلاقات ما بين الحلفاء، فهي تبادل حقيقي للمصالح وليس كسباً دائماً تقابله خسائر دائمة كما في حالة أميركا والعرب.

ووسط هذه الأجواء تتقدم صفقة القرن، صفقة يرفضها البعض من العرب ويقبل عليها البعض الآخر، لكنها ماضية، إن لم نحسب حساب وجود العامل بوتين في الشطرنج السياسي مرة أخرى، بوتين الذي يتمتع بعلاقات وثيقة مع الإسرائيليين، تكاد تكون أكثر مصداقية من تلك التي تربط إسرائيل بالغرب، وبإمكان العرب أن يجلسوا على طاولة تلك الصفقة وظهرهم محميٌ بحليف مثل بوتين، أليس هذا أفضل من وسيط منحاز مثل الوسيط الأميركي؟

بوتين الذي يحتاجه الغرب أيضاً

اللافت أن شخصاً لعب دوراً هاماً وحساساً في كل من واشنطن والعالم العربي، مثل الجنرال ديفيد بترايوس المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأميركية لا يخفي إعجابه ببوتين، حتى أنه يصفه بـ"الهدية القيّمة لحلف الناتو". لكن كيف ذلك؟

قال بترايوس في التاسع من يناير الجاري في مؤتمر "الحوار الروسي" إن وصول بوتين إلى السلطة منح الحلف سببا للبقاء. واقترح بترايوس واشنطن أن تتحدى "النظام الجيوسياسي الجديد"، بما في ذلك مساعدة حلف الناتو.

بوتين يدرك هذا، ويعلم أنه حين يزرع نقاط توتر في العالم أمام الدول التي تشكل تحديات حقيقية له، فإنه يقوم برسم خارطة جديدة للأرض، وهو لا مانع لديه من اندلاع حروب جديدة في ظل التقدم التكنولوجي الذي تشارك روسيا في سباقه اليوم، فهذه البلاد الكبيرة لم تعد مخزن خردة السلاح السوفييتي السابق، بل أصبحت تشن هجمات إلكترونية عابرة للحدود ومستوى الصناعات العسكرية لديها بات متقدماً جداً، ويمكن أن تخوض أي حرب الآن بعيدا عن أراضيها، في المياه الدافئة أو في غيرها. بل إنها، من أجل بوتين، دخلت في تشابك مع كبار العالم على مستوى مصداقية المعلومات ووجهت تهديدات لغوغل بمنع وصوله إلى روسيا، السوق العملاقة، ما لم يقم محرك البحث بحظر المواقع الإخبارية التي تنتقد بوتين، بحكم كونها مواقع تضر بمصالح "الوطن الأم". وفي نهاية العام الماضي قامت الرقابة الفيدرالية الروسية بفرض غرامات مالية على شركة غوغل بسبب فشلها في الامتثال للقوانين التي تمنع المس ببوتين. يتوجّس الغرب من بوتين، ومع ذلك فقد اختارته اللوموند الفرنسية شخصية العام قبل عامين. ويخشى الألمان من أن يقفل عليهم بوتين حنفية الغاز، لكنهم يبقونه قريبا منهم، وهو الذي عاش بينهم سنوات في محطة استخبارات الكي جي بي التي كان يترأسها في ألمانيا الشرقية سابقا.

صعود مدروس

داخلياً، وبتتبع ممتع لمسار بوتين، وبحسب الاقتصادي الأميركي جوزيف ستيغليتز، أعاد الرئيس الروسي الحياة مجدداً للحلم الإمبراطوري الروسي، مستندا إلى ثلاثة دوافع؛ القومية السلافية، الثقافة الأرثوذكسية، والوطنية الروسية. وهي الدوافع التي تحرّك روسيا على خرائط العالم. ولم يرفض بوتين أياً من مكاسب روسيا الماضية، حتى الشيوعية منها، وهو يعتبر نفسه شيوعيا في الداخل رأسماليا في الخارج. لذلك نجح في تقوية دعائم الدولة وأجهزتها، وفي الوقت ذاته قاد مشروعاً هائلاً لتصحيح الأخطاء الأساسية للسياسات الاقتصادية الارتجالية التي وقعت فيها روسيا نهاية التسعينات، والتي تمثلت بالتركيز على الخصخصة أكثر من المنافسة، وعلى إعادة هيكلة المشروعات القائمة أكثر من خلق مشروعات ووظائف جديدة، وعلى تحويل الملكية إلى القطاع الخاص لخلق لوبي يدافع عن المشروعات الخاصة لمنع العودة إلى الشيوعية، والدفع إلى إنشاء مؤسسات تحكم السوق بدلا من التنافس، وتحرير الأسعار من دون تفكيك الاحتكارات السوفييتية.

واحد من أهم دارسي بوتين هو بن جودا الكاتب في نيوزويك الأميركية الذي عمل لثلاث سنوات كاملة على دراسة شخصية وفكر بوتين، لينشر كتابه الهام المعنون بـ"الإمبراطورية الهشة: كيف وقعت روسيا في حب فلاديمير بوتين وخرجت منه". ويفسر بن جودا كيف أن الروس وقعوا، بالفعل، في علاقة متناقضة من الحب والكراهية، والدعم والرفض لبوتين في الوقت ذاته. فهو، من جهة، نجح في أن يستعيد مكانة روسيا الإقليمية والدولية: اقتصاديا، وعسكريا، وتكنولوجيا، ومنعها من الانهيار. ومن جهة ثانية استطاع أن يعيد بلورة صيغة روسية لرأسمالية الدولة التي تدير اقتصادا سوقيا. إلا أنه من جهة ثالثة: لم يستطع تقوية المجتمع الروسي وشفاءه من كثير من الأمراض. ولعل هذا آخر ما يهم العرب، سواء تجاه الروس أو تجاه العرب أنفسهم. فالمخاوف التي بدأ العرب يحسبون حسابها اليوم، كان بوتين قد واجهها قبل سنوات في غروزني في الشيشان، وعالجها بالطريقة ذاتها التي تدخل بها في سوريا، وطبق حلوله الأمنية فيها، وكان هو الآخر يخشى من عودة التصدعات إلى جمهورياته الإسلامية الروسية بانتقال عدوى ما عرف باسم الربيع العربي الذي تحوّل إلى حريق مدمّر.

هكذا بدت صورة بوتين في العام الماضي 2018 وهي صورة ليست بعيدة عن الواقع، فبقياس المكاسب، يبدو بوتين الرابح الأول، ليس فقط على مستوى جميع الرؤساء الذين مروا على تاريخ الكرملين منذ زمن القيصر، بل أيضاً قد يكون بوتين الكاسب الأكبر والوحيد في العالم في هذه الحقبة.

نصف بحرينية نصف عراقية حداثتها لا تقبل الحلول الوسط

بلقيس فخرو

رسامة المكان الذي يقيم في غده

فاروق يوسف

❑ مَن يرى رسومها لا بدّ وأن يفكر في جماليات المكان الأول والحنين إليه. ذلك المكان الذي يشبه استرجاعُه محاولةَ صنع حلم، هو في حقيقته مجموعة من متلاحقة من العلاقات التي لا يتوقع المرء وقوعها في الحياة العادية في وقت واحد.

ما تفعله بلقيس فخرو هو تجسيد لمفهوم التجريد الحميمي. وهو ما يتعارض مع ما يمكن أن ينتج عن التجريد البارد الذي يستلهم العلاقات التي تقيمها عناصر الرسم، بعضها مع البعض الآخر على سطح اللوحة.

فخرو تتذكر بصريا غير أنها تحلم عن طريق الرسم في الوقت نفسه. تعيدنا رسومها إلى عاطفة المكان الأول أكثر مما تعيد المكان إلينا. فنحن أمام تلك الرسوم نرى بأعيننا الداخلية أشياء لا يمكن أن تلتقطها عيوننا الواقعية.

متلقي تلك الرسوم يشعر بحاجته إلى أن يكون حالما بعدما كان محلوما به من قبل الرسامة التي أعادت إلى المكان الأول اعتباره، إذا لم نقل عاطفته.

عميقة هي فخرو في علاقتها بالواقع. فهي لا تراه بعيون الآخرين، بل بعينيها اللتين تكنزان متحفا من الأشياء المفقودة والمضاعة التي ترى ضرورة لاسترجاعها عن طريق الرسم. وهي قادرة على القيام بذلك.

> فخرو تتذكر بصريا، غير أنها تحلم عن طريق الرسم في الوقت نفسه. تعيدنا رسومها إلى عاطفة المكان الأول أكثر مما تعيد المكان إلينا. فنحن أمام تلك الرسوم نرى بأعيننا الداخلية أشياء لا يمكن أن تلتقطها عيوننا الواقعية

رسوم فخرو تهذب الحواس حين تنقل وظيفتها من التلقي المباشر إلى موقع التماس غير المباشر بالأشياء. وهو ما ييسر الوصول إلى هدف جمالي، من خلاله ينفتح الواقع على احتمالات لا نهائية. هي الاحتمالات عينها التي ينطوي عليها المكان حين يكون مادة للتذكر.

بهذه الصيغة فإن الرسامة نجحت في الانتقال بالمكان من محليته المحدودة إلى موقع، ينفتح من خلاله على العالم. لذلك فإن أسلوبها التجريدي لا يقف عند حدود العلاقات الشكلية بل يمتد ليشمل علاقات إنسانية كامنة، يحتاج إليها الإنسان وهو يصرف شؤون حياته عبر العصور.

في إمكان الفنانة أن تقول ما تشاء من أجل تفسير علاقتها بالمكان المحلي القديم، غير أن ذلك التفسير لا يقف حائلا دون اعتماد فكرة المكان المطلق الذي يلهم المرء عاطفة تشده إلى سحر وهناءة العيش بين جدران لا مرئية، يمكنها أن تكون موجودة في المسافة التي تفصل بين الحلم والواقع.

ولدت فخرو عام 1950 في المنامة من أم عراقية وأب بحريني. درست الفن وتاريخه في الولايات المتحدة، جامعة مونيس بسان فرانسيسكو. درست نظريات الفن في جامعة البحرين لسنوات ثم تفرغت للرسم. فهي إضافة إلى انهماكها في الرسم حرصت على تطوير معرفتها النظرية لا بتاريخ الفن وحده بل وأيضا بجوانب كثيرة تقع على تماس مع أسباب ودوافع وأهداف ونتائج التحولات الفنية الكبرى عبر العصور. لم يغرها التنظير الفني بل سعت قدر ما استطاعت إلى أن توضح الأفكار الغامضة التي تتعلق بالممارسة الفنية وطبيعة علاقتها بالمجتمع من جهة فاعلية الجمال وقدرته على التأثير الثقافي.

بحثا عن جوهر الحياة

حين سئلت ذات مرة عن موقع المكان الذي ترسمه في الحياة الواقعية قالت بتعبير عميق في دلالته "مكان ما في مكان ما". فهل كانت تلك الإجابة الغامضة تنطوي على محاولة للهروب أم أنها نطقت بالحقيقة التي لطالما عاشتها الرسامة وهي تتجول بين مفرداتها؟

أعتقد أن فخرو كانت حريصة دائما على أن تضع مسافة بينها وبين ما يُشاع من نظريات "الفن الملتزم" الذي يكرس من أجل غواية الجمهور العريض الكثير من المفاهيم الشعبوية. كان فنها على درجة من الرقي بما لا يسمح باستدراجه إلى مناطق المعادلات الجاهزة التي صنعها دعاة التراث والمحلية والعودة إلى الجذور وسواها من المفاهيم التي كانت يوما ما بضاعة استهلاكية رائجة.

يمكن القول إن فن بلقيس فخرو كان نخبويا في مختلف مراحل تحولاته الأسلوبية. "نخبوي" بأي معنى؟

بالنسبة لها فإن ممارسة الفن في بلد مثل البحرين شهد تاريخه قيام حضارة عظيمة هي محاولة لوصل ما انقطع من خيوط بتلك الحضارة. هو ما يعني العمل على تجنيب الفن الانزلاق إلى التشبه بالحياة الواقعية أو تقليدها. ذلك لأن تلك الحياة لم تعد على اتصال عميق بالحضارة الإنسانية.

وفي هذا المجال يمكن القول إن بلقيس تبحث في الحياة اليومية عن الشيء المفقود. مفردة يعيدها لمعانها الخفي إلى جوهر الحياة. ونخبوية فنها هي تجسيد لبحثها عن ذلك الجوهر الذي لا تحتويه المعادلات النظرية الجاهزة.

الفن النقي في عصمته

ما من شيء يقع بالصدفة في رسوم فخرو. الرسامة تبني رسومها بعد أن تخطط لها برهافة معمار وحساسية شاعر. المسافات بين الخطوط محسوبة وما من نزهة عشوائية للأصباغ. ما من ضربة فرشاة إلا في مكانها.

كل مساحة تكتفي بذاتها. لا تحتاج تلك المساحات إلى ما يزينها من خارجها لتبدو جميلة. لدى فخرو فكرة عن الجمال تتناقض كليا مع التزيين. لذلك فإنها لا تفكر في ما يمكن أن أسميه بـ"الطوارئ" من أجل شد انتباه عين المشاهد. كان لديها دائما ما تستلهمه. ذلك أمر مؤكد. غير أنها لم تخضع لشروط ذلك الشيء المستلَهم. فهي لا تخضع الرسم لعاطفة بدائية تجمعها بإشارات أو رموز أو علامات لها وقعها الخاص في حياتها الشخصية. الرسم شيء آخر وممارسته بالنسبة لها تتطلب الكثير من الحياد وهو ما تشي به أعمالها حيث الغنائية تقع تحت السطح وبطريقة غير مفضوحة.

رسوم فخرو لا تصرح بعاطفتها بالرغم من أنها تنطوي على كنوز من العاطفة. هناك عاطفة مقيدة، لكن القيود ظاهرة. وهو ما نجحت الرسامة في التحكم به، إخلاصا منها لفكرة النقائية في الفن. وهي فكرة لم يعمل عليها في العالم إلا عدد محدود من الفنانين من بينهم الفنانة البحرينية التي قاومت بنقاء فنها الأسلوب التجريدي الذي انجرف إلى السوق لإشباع رغبات المستهلكين.

ما يُحسب لفخرو أنها أبقت علاقتها بالرسم في منطقة رصينة لم تخترقها حسابات التلقي السهل. لذلك يمكن اعتبار رسومها محاولة للارتقاء بالمتلقي إلى مستوى، يكون قادرا من خلاله على التعامل مع الفن باعتباره جهدا مستقلا غير تابع له.

واحد من أعظم الدروس التي صنعتها الرسامة يكمن في أنها حفظت للفن عصمته في مواجهة تيارات فنية رفعت خدمة السوق شعارا لها.

حداثة لا تقبل التراجع

برغم قطيعته مع الواقع كما يراه الآخرون فإن فن فخرو لا يتعالى على الواقع حين يوسع من مفهومه ويوسع من المساحة التي يحتلها، وهي مساحة تقع خارج ما يُرى منه. كما لو أن الرسامة شاءت أن تقف على ضفة تجربتها الإنسانية لتشير إلى أماكن بعيدة وهي تقول "هناك جانب آخر من الواقع". الميزة الأهم في ذلك الفن أنه يعلمنا أن نفتح عيوننا على مستويات غير مرئية من الواقع. من خلال ذلك المسعى تؤكد الفنانة انتماءها إلى الفكر الحديث وليس إلى تقنيات وأساليب الرسم الحديث وحدها.

ليس من اليسير تخيل إمكانية أن تتراجع فخرو عن حداثتها الفنية كما فعل كثيرون. فحداثة فنها هي انعكاس لحداثة الحياة التي تدعو إليها. هذا التشابك بين فنها وحياتها هو ما صنع وحدة تجربتها وتماسك طريقة تفكيرها في الفن ومن خلاله.

من هذا المنطلق يمكن القول إن بلقيس فخرو هي واحدة من أهم الفنانات اللواتي رفعن لواء الحداثة في العالم العربي.

> ممارسة الفن تنظر إليها فخرو، في بلد مثل البحرين شهد تاريخه قيام حضارة عظيمة، كمحاولة لوصل ما انقطع من خيوط بتلك الحضارة. وهو ما يعني العمل على تجنيب الفن الانزلاق إلى التشبه بالحياة الواقعية أو تقليدها

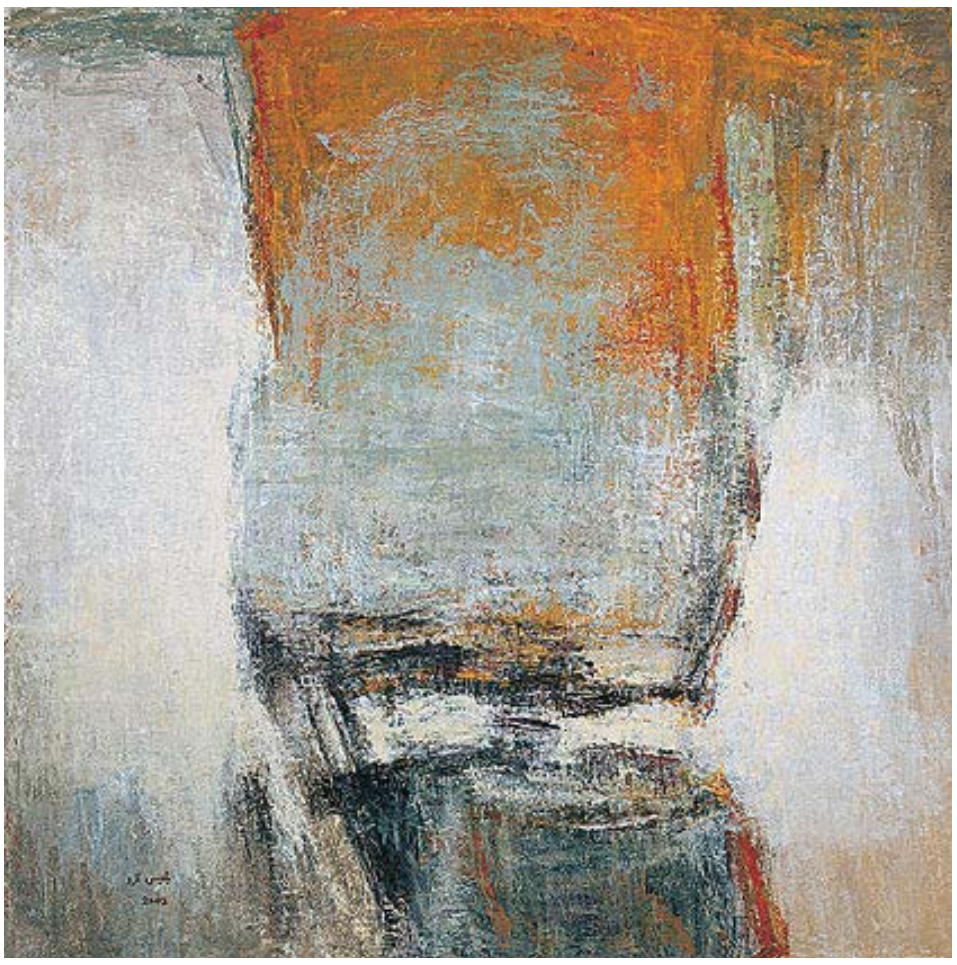

ملف/المرأة والكتابة في السودان

المرأة والأدب في السودان: بنت النيل تتكلم

يحتوي هذا الملف على دراسات ومقالات وشهادات ونصوص قصصية وشعرية نسوية من السودان، وهو بمثابة محاولة أولى نشارك فيها مجلة "الجديد" لاستكشاف خارطة كتابة المرأة في السودان، البلد الشاسع في مساحته، العريق في تاريخه، المتعدد في مكوناته الثقافية والدينية.

مقالات الملف تحاول الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالقضايا التي طرحتها الكتابة النّسوية السُّودانية، وهل كانت الكتابة النسوية تتطلع إلى امرأة جديدة، تلاحق حركة التغيرات في المجتمع؟ أم أن رهانها خاب بسبب تغلغل الذكورية في بنية المجتمع السوداني ووقوف السلطة بمفهومها الزمني وأيضا بمعناها الأيديولوجي حاجزا ضد تطلعات المرأة وآمالها؟

الإجابة عن مثل هذه الأسئلة تتطلب، بطبيعة الحال، قراءة وافية للنصوص وتتبعا لأبرز الكتابات النسوية على امتداد تاريخ الكتابة الحديثة في السودان. وأيضا تتبع مراحل التحوّل والتغيير في بنية المجتمع، وانعكاساتها على الحراك الأدبي. بعض ما في هذا الملف النقدي يجيب عن أهم هذه الأسئلة من خلال رحلة بانورامية مع أبرز الأسماء والآثار التي برزت في الكتابة النسوية في السودان، لا سيما في حقل كتابة الرواية.

الجانب النظري من هذا الملف من شأنه أن يكشف عن صورة المرأة كما جسّدتها المرويات النسوية، وجزء مما رمت إليه المقالات هو تحليل العلاقة بين الاطراد الكمي للنتاجات النسوية، وتمثّل تقنيات جديدة على مستوى الكيف وذلك بداية من النتاجات الأدبية المكتوبة بِيَدَيْ الجيل الأول وصولا إلى جيل الألفية الجديدة من الكاتبات.

تتأتى الكتابة النّسوية السودانية، كما يتبدى لنا من المقدمات النقدية، من حيز سوسيولوجي (اجتماعي - سياسي) يُعْنَى بالتعبير عن طموحات الكاتبات ورؤاهن للعالم. وهو ما أنتج "موجة ثالثة" في الرواية السودانية على حد تعبير منصور الصويم. وقد اصطدمت هذه الكتابات بقمع الأنظمة الدكتاتورية تارة وتشدد السلطة الدينية تارة أخرى.

الكتابة النسوية في السودان لم تختلف في هاجسها وقضاياها التي طرحتها في الرواية مثلاً عن الرواية السودانية التي يكتبها الرجال بصفة عامة. ويلاحظ الناقد ممدوح فراج النابي أن في استعارتها للتقنيات الروائية مشتركات بعضها مشدود إلى تراث الرواية نفسه، حيث هيمنة الراوي الأنا في الكثير من الكتابات، ما يجعلها تبدو أقرب إلى الكتابة السيرية، وقد تردّدت داخل الخطاب الروائي النسوي ثيمات وأساليب جاءت في بعض المواضع قديمة كالاعتماد على الحوارات بصفة مطلقة.

من فضائل الرواية النسوية السودانية أنها لم تقدّم لنا صورة لرجل مشوّه، أو حتى صورة سلبية له مقابل صورة مثالية للمرأة. بل على العكس تماما جاءت صورة الرجل وفقا لسياق ثقافي ساهم إلى حد كبير في تشكيلها. ومن ثم كانت شخصيته حاملة لأنساق البيئة والجماعة التي ينتمي إليها.

في الشعر لا بد أن نشير إلى أن البعد الرومنطيقي وشيء من الرمزية الخفيفة يخيمان على كتابة المرأة السودانية للشعر، وبخلاف أصوات قليلة جدا، لجأت إلى التجريب الشعري، كنجلاء عثمان التوم، فإن انشغالات الشاعرة السودانية الحديثة وتطلعاتها الفنية والتعبيرية لا تخرج عن نظيرتها لدى الشاعرات العربيات الأخريات، وإن بدت أكثر ميلا ونزوعا إلى توليد الغنائية في القصيدة.

* قلم التحرير

المرأة والكتابة والمجتمع

سوزان كاشف
كاتبة وروائية من السودان

❏ لا تختلف الكتابة النسوية السودانية عن مثيلاتها في العالم العربي، حيث يتشابه الواقع المعيش للمرأة العربية والأفريقية من حيث الهيمنة الذكورية، ولكن نظرا لكون المجتمع السوداني أكثر تعقيدا، نسبة إلى تعدد الإثنيات والأديان والثقافات وأيضا اللهجات، ربما يكون هذا هو الاختلاف الوحيد.

وبما أن الكتابة عملية إنسانية في المقام الأول، لا تنفصل عن واقع كل كاتب وكاتبة، والمجتمع من حوله الذي يجد فيه المبدع والمبدعة قصته وشخوص رواياته، ولكن تعدد كل الأسباب التي ذكرتها داخل مجتمعنا السوداني قد يكون أكثر تعقيدا إذا ما وضعنا في الاعتبار تعدد قبائله ولغاته وإثنياته دون غيره، وإن كانت جميع تلك المجتمعات تشترك في قهر المرأة وهيمنة وقسوة المجتمع الذكوري مما يضع حملا ثقيلا على عاتق المرأة الكاتبة وهو الإبحار في عوالم الإبداع دون التقيّد بما يفرض عليها من قيود سواء كانت أسرية مجتمعية أو من قبل الدولة أو النظام الذي تنتمي إليه المبدعة عموما.

بما أن المرأة شكّلت في نظر العقلية الذكورية المهيمنة كونها مستضعفة، لذلك كان على بعض النساء اقتحام مجال الكتابة للتعبير عن ذواتهن وقضاياهن، وفي ظل كل هذا الإقصاء كان عليهن ولوج عالم الكتابة للتعبير عن ذواتهن المسلوبة لكي يثبتن أنفسهن.

وبما أن المرأة عموما تهتم بالتفاصيل الدقيقة نجدها الأقدر على طرح قضايا النساء تحت سيطرة مجتمع ذكوري بحت، وبرغم كل ذلك يظل الرقيب الذاتي والمجتمعي خطرا يهدد الإبداع لدى الكاتبة عموما، لذلك نحتاج إلى سنين كثيرة حتى ينظر المجتمع إلى الكاتبة بكل احترام وينظر إلى إبداعها بعين التقدير.

فالكاتبة دائما في حالة مطاردة سواء من المجتمع أو من النقاد وفق رؤية أن كل ما تكتبه المرأة عبارة عن ثرثرة أو هو حكي عن تجاربها الخاصة، وهناك الكثير من الكاتبات قذفن من مرتبة الواقع والحصار إلى عالم أرحب وأوسع يستطعن فيه التعبير عن ذواتهن.

لا أؤمن بتاتا بما يسمّى الكتابة النسوية، فهذا مصطلح عنصري يعمل على تهميش وإقصاء المرأة من المجال الإبداعي، وقد بدأ في الغرب، ولا يمكن تصنيف الأدب على أساس ذكوري أو نسوي لأن الأدب في المقام الأول حالة إنسانية سواء كان المبدع رجلا أو امرأة، وبما أن القضايا الإنسانية مشتركة، مع وجود بعض الخصوصيات، لذلك فإن حصر إبداع المرأة في جنسها الأنثوي فيه تمييز واضح يقصي المبدعة عن دورها الأساسي في تنوير المجتمعات جنبا إلى جنب مع الرجل.

بما أننا وُجدنا في مجتمعات شرقية تهمين عليها القوى الذكورية، وبما أن المبدع ضمير وصوت أمته، كان لا بدّ من تشكل كتابات تخصّ تلك الفئة المستضعفة في المجتمع وهي المرأة بالطبع.

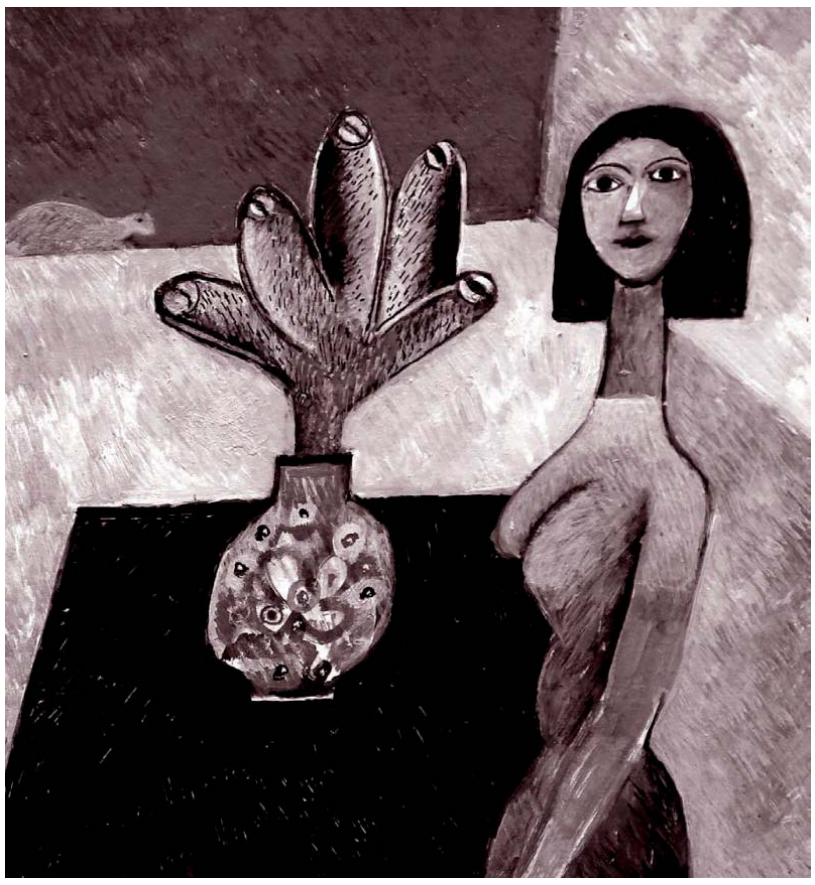

لوحة حسين جمعان

سؤال مربك

ملكة الفاضل
كاتبة من السودان

❏ أكبر الفخاخ هو فخ التصنيف "أدب نسوي" الذي يرفع أمام الكاتبة والأديبة سؤالا مربكا عن ماهية الأدب النسوي وكيف ومتى تم التصنيف وعلى أي أسس ومعايير مما يجعل الارتباك واقعا بحيث تظل تتساءل إن كان عليها أن تكون على سجيتها تكتب كما شاءت لها ملكاتها أم تلزم جانب الحذر والتوجس في كل ما تكتب.

أحسب أن الكتابة ليست سوى انفعال بهمّ إنساني يجعلك تعبر عنه بقصيدة أو قصة أو رواية أو مسرحية أو مقال. والهموم الإنسانية مشتركة بين الجنسين وما يهم الرجل يهم المرأة بدرجات متفاوتة والتعبير عنه يبرز قدرة أي منهما على الإبداع. التصنيف النوعي في الأدب يجعل الكثيرين يتوقعون من هذه المبدعة أو تلك روايات ذات نكهة محددة ويكبلونها بفكرة أن ما تحكي عنه ليس سوى تجربتها الشخصية وقد يدفعون بها إلى الهروب إلى مجالات يقصر قلمها عن التعبير فيها كما تود.

روايتي الأولى "الجدران القاسية" أثارت دهشة البعض إن لم يكن استنكارهم لأنها تناولت ما يحدث داخل المعتقلات من تعذيب وهو في رأيهم ليس بمجال تكون فيه المبدعة كما ينبغي أن تكون.

رؤيتي أن التعذيب قضية إنسانية أرهقت البشر على مدى التاريخ وأن تشكّل هذه القضية بعض اهتماماتي لهو أمر ملح. السياسة نفسها تدير أمور البشر وهي على نحو أو آخر تتدخل في حياتك أو حياة الأقربين لك وليس من المعقول أن تتجاهل تأثيراتها التي تكتب قصصا واقعية تتراوح بين المأساة والملهاة في كل يوم.

قبل أيام كنا نناقش في لقاء لبعض الأديبات السودانيات مسألة المتاعب التي تلاقيها الواحدة منا في عالم الكتابة وكان هناك شبه إجماع على أن الاحتفاء بالمبدعة ليس بدرجة تسهّل حظها في الانتشار، وربما النظرة ذاتها التي جعلت بعض أديبات القرنيْن التاسع عشر والعشرين في الغرب يلجأن إلى انتحال أسماء ذكورية ليجدن فرصة لنشر أعمالهن ما زالت سائدة على نحو آخر.

مشواري في عالم الأدب بدأ من المدرسة ثم الجامعة حيث كنت أكتب القصص القصيرة والشعر وأنشرهما في المجلات الحائطية وبعض إنتاجي أدخل مصطلح الجوائز في قاموسي.

أول إنتاجي الذي نشرته لي صحيفة الخرطوم التي كانت تصدر من القاهرة عبارة عن قصة قصيرة بعنوان "العريس". الأثر الذي يحدثه نشر مادة لك لا يقل عن الأثر الذي تحدثه جائزة تنالها في مسابقة شعر أو قصة. أثر يزيد اطمئنانك إلى أن ما تكتبه جدير بالخروج إلى الناس.

النشر مهم للمبدع والمبدعة والطريق إلى الصحف ودور النشر والتوزيع ليس سهلا البتة مما يشكل نوعا من التحدي ويحتاج إلى جهود مشتركة ومكثفة لإخراج بعض الروائع من الأدراج المغلقة. المسابقات الأدبية في السودان ساهمت كثيرا في إخراج بعض الروائع إلى الناس.

النص الإبداعي وجنس الكاتب

إيمان المازري
كاتبة من السودان

❏ بدأت الكتابة النسوية السودانية منذ أربعينات القرن الماضي من الرائدة ملكة الدار محمد، بالقصة القصيرة ثم روايتها "الفراغ العريض"، التي تطرقت فيها إلى بنية المجتمع في أوائل الخمسينات، إلا أنها لم تر النور إلا بعد وفاتها، ثم تلت ذلك كتابات متواترة بعضها تم نشره والبعض الآخر طمسه التاريخ لكن؛ حفظته القلوب فظل أسيراً بين شرفات الحكاوي كـ(فاطمة السمحة) وغيرها من الحكايات الشعبية، من ضروب الإبداع المختلفة التي توفرت مادتها حسب المتاح وقتئذ وفق البيئة كشعر الحكامات، حيث عبرت من خلاله المرأة عن هموم وطنها، موقفها من الرجل، آمالها، رؤيتها للمستقبل، وخنوعها المتناقض مع تمرد الفكرة وتردد الكتابة.

تبقى الذات الكاتبة للمرأة، ذاتاً قلقة تُعبر عن همومها وفق ضرورة الرقيب الداخلي الذي يسكنها، تحمل مسؤولية الكتابة منحىً جماليا يفوق سقف حريتها المسموح به، فالضلع الأعوج من الخوف لازال ينبري ويدافع عن المرأة الساكنة في الغرفة المغلقة، الاختلاف يغوص بها عميقاً فتتلكأ الكتابات هنا وتهرول هناك وتزيد حدة وتيرة النقاش بينهما ليخرج لنا نص مكتوب تتخلله شهقات تتوسل بالقبول، قبول النص أيا كان شكله بمكونه الأساسي من دون أن ترتفع أصابع الاتهام لكاتبته وربطه بحياتها الخاصة، فمحظوظة من حظيت بذلك القبول من دون معايير موضوعة مسبقاً بحسب أهلية ما تقدمه حيال الانتشار، وفق جمالها، معارفها، أصدقائها، ولربما؛ الصدفة التي تخلق مبدعة خارج حدود التمييز (النوع).

ولكن؛ هل القيمة الحقيقية للنص المنتج تكمن في (نوع) كاتبه أم يسمو المثقف ليقرأ النص ويكون الحكم بناءً على جدّية المحتوى والقضايا التي تتصدر المشهد الآن؟ هل تساهم الروابط الاجتماعية والانتماء العرقي للكاتب في ذياع صيته؟ وهل يؤثر موقفه السياسي في ذات الأمر؟ هل يقيّم نجاح الكتاب بنسبة المبيعات؟ وهل يخلو المشهد الثقافي من هؤلاء الذين يتباهون بنصوص غير ناضجة، حتى يحتويها كتاب ويتقبلها كاتبها ذاته؛ فتمتلئ أرفف المكتبات بطبعات تحتكرها مجموعة من أصدقاء الكاتب تروج ثم لا تلبث أن تفتر بعد زوال مؤثر شهقة الفرحة الأولى، ليختفي الكاتب ويضيع الهتاف كأنه لم يكن! ويصبح استسهال الكتابة صنعة من لا حرفة له! أم هل لسلطة المصادرة أثر مباشر في الكتابة عن المنهي عنه؟ وهل معايير السلطة تؤهلها لتصنيف النصوص المقدمة لتكون موائمة لأيديولوجيتها؟

قد تكون همزه الوصل بين تلكم الأسئلة هي، ما تتحاشاه المرأة في الكتابة، وما تقدمة الأسرة دعماً لها، وما يتقبله المجتمع من امرأة تكسر ذات القيد لتعتلي سلم النجاح بأرجل تهتز وتحتاج من يشُد عضد توقعاتها فتصبح كاتبة، تعبر بنصوصها الناضجة عن المنحى الإبداعي الذي تجد ذاتها فيه، تعبر عن الرجل قبل المرأة تكتب عن إنسانية خالدة، تسير وفق هداها وبصيرتها، لتصل إلى مثقف واعي مُلم بقضايا الحياة المختلفة، لا يمثل غلاف الكتاب سواء كان لرجل أو امرأة فرقا لديه!

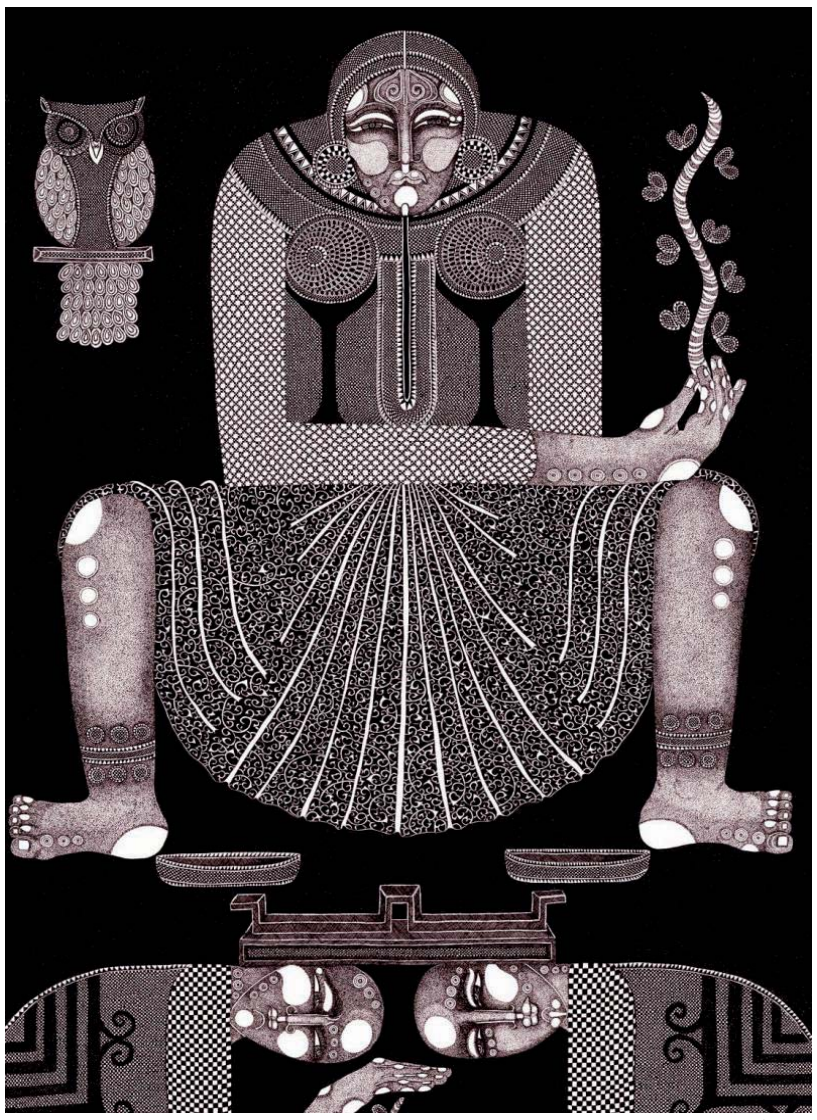

لوحة أمل بشير

كاتبات سودانيات ينازلن التمييز الذكوري بالكلمات

الراصد لحراك الكتابة النسوية في السودان، سيلاحظ بلا شك، تلك النقلة الموضوعية والمفاهيمية الكبيرة التي طرأت على هذه الكتابة، متمرحلة منذ بداياتها التكوينية في أوائل الخمسينات من القرن الماضي، وإلى هذه اللحظة "الأدبية" شديدة الخصوصية، جراء علو صوتها السردي في مقابل الأشكال الأدبية الأخرى؛ وهو الحقل الذي سأركز عليه في هذه المقالة التحسسية، في محاولة لاكتشاف أهم سمات التغيرات التي حدثت لهذه الكتابة.

منصور الصويم
كاتب وناقد من السودان

❏ قبل الخوض في الحديث عن الكتابة النسوية السودانية، لا بد من عودة سريعة تُقدم لمحة موجزة عن شكل هذه الكتابة لدى الرائدات من الكاتبات والأديبات السودانيات. فالكتابة النسوية في السودان -حديثا- لم تتأخر كثيرا عن رصيفتها المدونة بواسطة كتاب ذكور - رجال؛ إذ سيلاحظ الراصد بيسر أن أول نص روائي طويل كتب في السودان يكاد يكون نسائيا خالصا، هذا إذا اعتمدنا رواية "الفراغ العريض" لملكة الدار محمد أحمد باعتبارها أول نص روائي سوداني - وهو أمر مختلف عليه بين النقاد-، فرواية "الفراغ العريض" وإن جاء نشرها متأخرا (1970) إلا أنها كتبت في وقت باكر من عمر المدونة الروائية في السودان (أربعينات القرن الماضي) وتزامن مع لحظة نشر هذه الرواية المهمة حراك كتابي نسوي كبير مثلته كاتبات الستينات والسبعينات من الرائدات في السودان، سواء في الشعر أو المقال أو السرد، وربما يجدر أن أذكر منهن: الأستاذة آمال عباس، الصحافية والقاصة، والأستاذة زينب بليل، الروائية والقاصة، والأستاذة فاطمة السنوسي رائدة القصة القصيرة جدا في السودان والمنطقة العربية، والأستاذة بثينة خضر مكي، الروائية والقاصة، والأستاذة نجاة عثمان، المسرحية والشاعرة، وكثيرات أخريات مثلت تجربتهن في الكتابة لحظة تنويرية مهمة في بلد مثل السودان، لجرأتهن على اختراق مجال شبه منغلق حينها على فئة الرجال دون غيرهم، ولقدرتهن على إثارة مواضيع يمكن وصفها بالحساسة في ذلك الوقت، ولا يزال بعضها بمثل تلك الحساسية حتى هذه اللحظة.

وبصورة عامة يمكن توصيف كتابات الرائدات من الكاتبات السودانية، لا سيما في مجال السرد، بأنها كانت أميل إلى الموضوعات الاجتماعية المباشرة، ودون شك تلك التي تخص المرأة والطفل والأسرة، وقولبتها في حيّز قصصي بانورامي أقرب إلى الكتابة الرومانسية الفوقية دون الغوص أكثر لاستعراض موقف المرأة من قضاياها المصيرية -النسوية - وقضايا مجتمعها المرتبطة بشكل مباشر بتهميشها وتحجيمها.

في الكتابة النسوية السردية الحديثة، حدثت قفزة موضوعية ومفاهيمية هائلة، حيث اتجهت الكتابة بشكل مباشر إلى تناول قضايا المرأة من زاوية "نسوية" تخصصية بحتة، وذلك بالتركيز على قضايا الجندر والدين وموقع المرأة من الدولة وقوانينها وتشريعاتها المدنية. ومثلت أصوات نسوية متعددة هذا الاتجاه وبرزن فيه بشكل واضح مع اختلاف طرائقهن في الكتابة والزوايا التي اتخذنها منصة لتوجيه هذه الكتابة. استحضر من هذا الأسماء الروائية رانية مأمون "أبناء الشمس"، والروائية كلثوم فضل الله "الصدى الآخر للأماكن"، والروائية أسماء الشيخ "بستان الخوف"، والقاصة صفاء نقد، والقاصة صباح سنهوري، وأخريات.

سأركز في هذه الكتابة على ثلاثة نماذج، أرى أن كتابتهن تعطي مؤشرا واضحا على اتجاه الكتابة النسوية الحديثة في السودان.

الكاتبة الأولى التي سأتناولها هي الروائية والشاعرة والمترجمة، الدكتورة إشراقة مصطفى، وهي كاتبة سودانية مهاجرة مقيمة في النمسا، صدر لها عدد من الكتب في الشعر والترجمة والرواية والسيرة الذاتية، وسأركز هنا على كتابها في السيرة "أنثى الأنهار"، إذ في رأيي أنه يمثل نموذجا مثاليا لتطور الكتابة النسوية السودانية، وتفرع وتشعب وتعقد هذه الكتابة رغم انحيازها إلى خصوصية ظاهرة تختص بالمرأة وموقعها وموقفها من العالم ومن مجتمعها وتاريخها ودينها.

في هذه الكتابة الكاشفة تسرد إشراقة مصطفى سيرة نضال امرأة واجهت التمييز في مجتمعين يبدوان شكليا متناقضين، هما المجتمع السوداني بنظرته الدونية للمرأة، والمجتمع النمساوي - الأوروبي بنظرته العنصرية للأفريقي - الأسود. كتابة ناقدة وحارقة، دوّنت بلغة شعرية بهيّة، تناولت بذكاء سردي أعمق الإشكالات التي تواجه المرأة سواء في المجتمعات التقليدية أو داخل المجتمعات التي توصف بأنها حديثة أو حداثية، وأظهرت وعيا كبيرا لدى الكاتبة بقضايا المرأة وكيفية مواجهة التحديات التي تعترضها والمضي في طريق التنوير المنشود.

غرافيك «الجديد»

الكاتبة الثانية التي استوقفتني تجربتها، هي الروائية سارة حمزة الجاك، الحائزة على جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي عن روايتها "خيانتئذ"، وهي الرواية التي ناقشت من خلالها مجمل إشكالات وقضايا المرأة السودانية من زاوية جندرية بحتة، حيث لم تترك قضية إلا وتناولتها بعين السرد الناقدة والفاحصة، ورغما عن تماس هذه الرواية مع موضوعات روائية أو سردية تم تناولها سابقا لدى الساردات الرائدات، إلا أن سارة الجاك اختلفت عنهن في إضفاء حالة من الوعي الكاشف بهذه القضايا النسوية - الاجتماعية والنفسية والوجودية، فالرواية تكافح عبر راويتها سماح حالة القمع الذكوري التي تطارد المرأة السودانية كاللعنة منذ طفولتها وإلى مماتها، سواء في بيت أسرتها أو في الجامعة، أو في بيت زوجها المفترض، وإن كان يمثل سطحيا وعيا ذكوريا متقدما.

الكاتبة الثالثة، التي مثلت كتابتها تقدما نوعيا على كتابة مثيلاتها من الرائدات، هي القاصة صباح سنهوري، صدرت لها المجموعة القصصية "مرايا"، وقدمت صباح من خلال نصوص هذه المجموعة شكلا مختلفا من الكتابة (نسوية وذكورية) من حيث الموضوعات والتقنيات، والجرأة على تناول القضايا والأزمات الوجودية الحساسة، ويمكن القول إن نصوص هذه المجموعة تعكس صورة متحدية لصوت المرأة السودانية الحديثة في تماسها مع قضايا الجنس والدين والسياسة، بحيث تبدو "صورة المرأة" هنا متجاوزة تماما لصورة المرأة التقليدية في أعمال الرائدات، فقضايا الحب والزواج والطلاق والعمل، لا تمثل شيئا يذكر هنا في مقابل مناقشة قضايا الجنس، وتحرر المرأة، والمثلية.

الكتابة النسوية: إطار معرفي

عماد البليك
كاتب من السودان

❏ في العام 1946 صدرت أول مجلة نسائية متخصصة في السودان تحمل اسم "بنت الوادي" في إشارة إلى وادي النيل، وقد أصدرتها السودانية تكوى سركسيان، الأرمنية الأصل، حيث استكتبت فيها العديد من الأقلام المثقفة السودانية حول قضايا المرأة في وقت لم يكن ذلك التقليد مألوفا في المجتمع السوداني، بل إنه في النصف الأول من القرن العشرين تكاد قضايا كتعليم البنات وقبلها محاربة التقاليد الضارة كالختان وغيرها تسيطر على الواجهة.

بشكل عام، لا يمكن فصل قضية الإبداع النسوي في السودان عن مجمل حراك المرأة السودانية في سعيها نحو التحرر وتشكيل كينونة الذات، وهو موضوع ارتبط لحد كبير بالتحديث مع مطلع القرن العشرين بدخول الاستعمار الإنكليزي البلاد ومعه تغيّرت الكثير من القيم والأفكار وكان للجاليات الأجنبية المتعددة التي ساهمت في النهضة السودانية، دور في تشكيل المستقبل بخصوص الثقافة عموما والإبداع النسوي كما في نموذج سركسيان ومبادرتها المذكورة.

قبل التحديث

قبل العام 1900 كانت مسألة تعليم المرأة تكاد تكون صفرا على الشمال، بحيث لا يمكن العثور على إطار بنيوي واضح لها عدا ما يمكن أن تتلقاه المرأة السودانية التقليدية من تعليم ديني بحت في خلاوي القرآن الكريم، أو الكتاتيب، وبحيث ظلت المرأة مرتبطة بالعمل في البيت والقيام بدور روتيني لا يتعدى خدمة الزوج وإنجاب الأبناء، وهذا لا يعني أن هناك إشارات متناثرة لنساء كان لهن دور بطولي في الحروب مثل مهيرة بنت عبود التي اشتهرت بدورها في مقاومة دخول الجيش التركي في شمال السودان عام 1821 عبر إلهاب المقاتلين الوطنيين بأشعار الحماسة التي تؤلفها.

وفي الماضي السحيق، فإن الممالك الوثنية في شمال السودان عند الكوشيين والنوبيين كان للمرأة دور كبير في مجتمعاتها، حيث تولت موقع الملكة وبالتالي مثلت رأس وهرم السلطة الاجتماعية في ذلك التاريخ، وهو ما ارتبط وقتذاك بالسياقات المتعلقة بطبيعة التكوين الاجتماعي وأنساق تفهم من خلال دراسة الإطار الأمومي للمجتمعات البدائية وكذلك الأديان القديمة.

الإطار الحديث

يعود الفضل إلى بابكر بدري (1861–1954) في ابتدار تعليم المرأة بشكله الحديث في السودان، حيث كان أول من افتتح مدرسة لتعليم البنات في عام 1907 بمدينة رفاعة، وقد كانت البداية بمنزله، حيث أدخل بناته في مدرسته المنزلية، ليبدأ بهن رسم حقبة جديدة من التعليم النسوي، وهي خطوة لم تمر بسهولة، في مجتمع لا يزال ينظر للمرأة في الدور التقليدي لها، وكان ثمة توجس كبير من تعليم المرأة ودخولها في الحياة الاجتماعية الفاعلة.

مع مرور الزمن ورغم المقاومة الاجتماعية فقد صار تعليم المرأة منتشرا وبوصول عام 1920 كانت هناك خمس مدارس في البلاد، وتوالي التدرج ليصبح تعليم البنت عاديا مع الوقت بانتشار المدارس والجامعات.

هذه السياقات ضرورية في إدراك أن الإبداع النسوي لحد ما هو وليد حركة التعليم والتحديث، وما عداه كان الإطار التقليدي للتعليم الديني الذي يعود عمره إلى ثلاثة قرون إلى الوراء، حيث يرد ذكر لذلك في كتاب "الطبقات" لود ضيف الله من أن بنات الشيوخ وعلماء الدين كان لهن نصيب من التعليم والإدراك في شؤون الدين والفقه والحساب.

الصحافة والكتابة

برغم التحديات العديدة، فإن المرأة اليوم صارت موجودة على الصعيد الصحافي والكتابة بشكل عام ومشاركة في الإبداع عامة بشكل فاعل، لولا أن الإطار النوعي والجمالي لا يزال ينتظره الكثير من العمل.

وبالعودة إلى الأرقام فإنه وحتى العام 2010 فإن عدد الصحافيات في السودان اللائي اجتزن القيد الصحافي بلغ 1476 فيما كان عدد المسجلات بوصفهن عضوات بالاتحاد العام للصحافيين 476 صحفية. وقد ساهمت المرأة في هذا الإطار في حفز وتحريك قضايا المرأة ومسائل الحريات وتعرضت للمضايقات والاعتقال في الكثير من الأحيان لمواقفها؛ وهناك من حصلت على جوائز عالمية كالصحافية أمل هباني التي عرفت بقلمها الجسور، وقد نالت جائزة حرية الصحافة للعام 2018 التي تمنحها لجنة حماية الصحافيين في نيويورك، وقبلها في العام 2014، جائزة (قنيتا ساقان) المقدمة من منظمة العفو الدولية.

ترى بخيتة أمين وهي صحافية مخضرمة في كتابها "الصحافة النسائية في السودان" (2010) أن "العلاقة بين الصحافة النسائية وتعليم المرأة كانت علاقة تبادلية حيث شكّلت المتعلمات الأوليات نواة الصحافة النسائية في نمطيها اللذين ظهرت بهما، أي عندما كانت مجرد صفحات لشؤون المرأة في الصحف اليومية أو بعد أن صارت صحافة مستقلة بذاتها".

ملكة الدار: التعليم والكتابة

مثلت الصحافة عموما مدخل المرأة السودانية للكتابة الإبداعية وذلك منذ الثلاثينات، وترادف ذلك مع اتجاه المرأة أيضا إلى حقل التعليم وعملها كمعلمة في المدارس. وهنا يشار إلى أول امرأة سودانية كتبت الرواية -ربما قبل الرجل- بحسب المتوفر إلى اليوم من المصادر، كانت تعمل في الحقل التعليمي. وهي ملكة الدار محمد التي كتبت رواية "الفراغ العريض" التي يعتبرها أغلب المؤرخين الأدبيين أول رواية سودانية، وقد كتبتها عام 1948 ولم تنشر إلا عام 1970.

بالنسبة إلى ملكة الدار فقد كانت متعددة المواهب من عازفة بيانو إلى قاصة وملحنة، وفي الإطار القصصي فقد سعت إلى المشاركة في المسابقات الإذاعية وفازت لها قصة في عام 1947 بالإذاعة السودانية وأخرى في عام 1968 بإذاعة "ركن السودان" من القاهرة. ولعل ذلك الفوز المبكر إشارة إلى تقدم النص النسوي؛ على الأقل موضعه الاجتماعي في المعالجات المطلوبة للقضايا النسوية.

اللحظة الراهنة

من جيل ملكة الدار إلى اليوم فقد أصبح في السودان عدد كبير من الكاتبات اللائي يكتبن القصص القصيرة والرواية

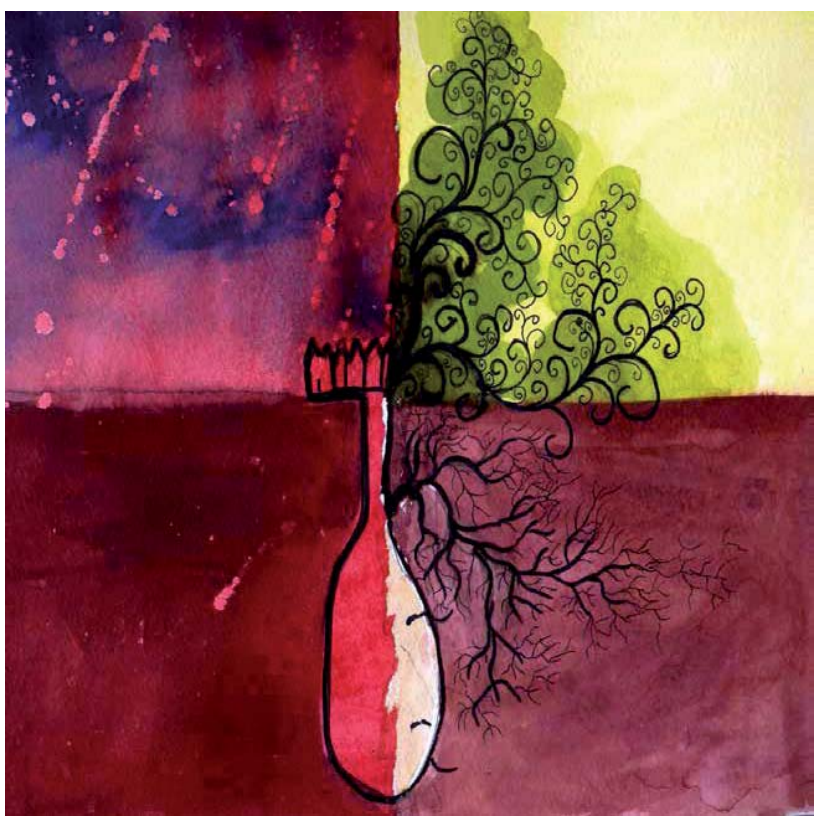

لوحة إيمان شقاق

بالإضافة إلى المئات من الصحافيات اللائي يسطرّن يوميا آراءهن حول مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الصحافة السودانية، بحيث صار قلم المرأة له دور لا يمكن الاستهانة به في حركة التغيير والتفكير في مستقبل البلاد وفي نسج أفق الحياة الأفضل.

ومع ما يثيره مصطلح "الأدب النسوي" أو الكتابة النسوية من تحفظ لدى البعض، فإن ثمة اتجاها نقديا لا يزال ينظر إلى كتابات المرأة السودانية وفق هذا الإطار، وهو ما حاول الناقد الفاتح ميكا تقليل الفجوة بشأنه في ورقة تتعلق بهذا الموضوع، إذ ذهب إلى أن "الكتابة عن الأدب النسائي ليست دعوة للتمرد على سلطة الرجل، وإنما السير جنبا إلى جنب من غير استلاب ودعوة للتقارب والتمازج والانصهار.. وليس دعوة للفصل".

وسوف يواجه الباحث في الشأن الأدبي السوداني، بقصور كبير في تتبع حركة الكتابة النسوية، وهو جزء من إشكال عميق في التاريخ للأدب والفنون عامة في السودان، وغياب التوثيق والدراسات النقدية أو الجامعة.

الحركة الاستثناء

بالعودة إلى محاولة تتبع هذا الأثر، فسوف نجد أن مجلة "بنت الوادي" لسركسيان توقفت بعد عامين من صدورها بسبب غياب التمويل، حيث كانت ناشرتها تدفع عليها من مالها الخاص، ولم تبزغ بعضها إشراقة جديدة إلا في 1956–1957 عندما أصدرت حاجة كاشف بدري مجلة باسم "القافلة" ذات طابع ثقافي جاءت بمشاركة بين الأقلام الرجالة والنسوية معا وحققت انتشارا لا بأس به، وكانت مشعلا صغيرا في عتمة كبيرة.

امرأة وواقع جديدان

ممدوح فراج النابي
كاتب من مصر

❑ واجهت الرواية النسوية العربية عموما، والسودانية خصوصا، إشكاليات عدة منذ مرحلة التأسيس، لا تبدأ بالتهميش الذي لاقته على مستوى التلقي، أو حتى النشر، حيث تأخرت نتاجات المرأة عن صنوها الرجل وإنما أيضا واجهت قضايا مُلحّة تتصل بالتعليم ودور المرأة في المجتمع، اختبرت بها ذاتها، وقدرتها على الصمود في المواجهة. واللافت أن الرواية النسوية السودانية تخلصت من تهمة اللصيقة بكتابة المرأة عموما، والتي تصفها بأنها "كتابة الجسد"، حيث تعدد القضايا الحيوية التي طرحتها المتون الروائية. تطمح هذه القراءة إلى تسليط الضوء – ولو قليلا – على الكتابة النسوية في السودان، وإظهار خصوصيتها التي وضعتها على جادة مدونة السرد العربي والعالمي كما فعلت بعض الكاتبات مثل ليلى أبوالعلا التي تكتب باللغة الإنكليزية.

غابت الرواية السودانية عن مدونة السّرد العربيّة لفترات طويلة، لأسباب لا مجال لحصرها هنا. وكذلك غابت كتابات المرأة السودانية كثيرا عن المشهد الإبداعي العربي. ولا نعرف هل كان هذا الغياب عن عمد أم لا! العجيب في الأمر أن معظم الدراسات النقدية التي تناولت الكتابة النسوية العربية، أسقطت منجز المرأة السودانية الكتابي.

تهميش وإقصاء

للتدليل على التعنت المشار إليه يكفي الإشارة إلى كتاب "100 عام من الرواية النسائية العربية 1899–1999" لبثينة شعبان. فقد تناولت فيه كتابات قطاع عريض من الكاتبات العربيات، لكن لم تتطرق – ولو بالإشارة – لأي تمثيلات لكتابات المرأة السودانية.

> مرحلة التحوّل فتبدأ من زمن التسعينات وصولا الى الألفية الثالثة. وفيها زاد التراكم الكمي، وتنوّعت أسئلة المتون الروائية وأشكالها الجمالية

وتكرّر الأمر في كتاب الناقد نزيه أبونضال، "تمرد الأنثى: في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا في الرواية النسوية العربية (1885 –2004)". فقد قدّم المؤلف تمثيلات للكتابة النسوية من كافة الأقطار العربية، مستثنيا السودان. وهذا الإغفال والتهميش يضعان تساؤلات من قبيل: لماذا أسقطت الرواية النسوية السودانية؟ أو هل الشرائط التي وضعت في الكتابين كمعوّل للاختيار لم تنطبق على الرواية النسوية السودانية؟ العجيب أن نزيه أبونضال في الببلوغرافيا التي ذيل بها كتابه أشار إلى خمس كاتبات من السودان دون أن يتطرق لنصوصهن بالتحليل. والكاتبات هن: آمال عباس العجيب (روايتان: عود الكبريت، الجواد والسيف المكسور، د.ت، وهذا للأسف خطأ كبير، حيث هذان العملان لا ينتميان لجنس الرواية، فالأصل أن آمال العجيب هي صحافية رائدة، وقد وصفها نجيب محفوظ بأنها السودانية الواعية، وما كتبته عبارة عن حكايات اجتماعية، نُشرت متفرقة في الصحف، ثم جمعت تحت إطار قصصي مجازًا) وبثينة خضر مكي (أغنية النار، د.ت) وبشرى هباني (مسرة 1989) (والحقيقة أن الدكتور بشرى هباني رجل وليس امرأة كما زعم نزيه أبونضال، وله العديد من القصص منها: الصديقان، وإعدام بحر، البحث، برميل القمامة، محاكمة دانيال بوت، وابن الشيخ، بالإضافة له مسلسل إذاعي بعنوان للقمر وجهان) وزينب بليل (الاختيار، 1984) وملكة الدار عبدالله (الفراغ العريض، 1970)، وملكة الفاضل عمر (الجدران القاسية، 1999).

بصفة عامة دخل الفن الروائي إلى السودان بفعل حركة التواصل مع مصر. والمتأمّل لمسيرة الرواية السودانية منذ مرحلة البدايات، يكتشف أولا، أن ثمة رابطا بين نشأة الصحافة والكتابة. فالصحافة كانت نافذة مهمة للكتابة في تلك الفترة المبكرة. وثانيا، أن نتاجات المرأة لم تنفصل أو حتى تأخرت عن نتاجات رديفها الرجل المبكرة. فثمة مَن يرى أن كتابات المرأة في السودان، كانت سبّاقة أو تواكبت مع كتابة الرجل وإن كانت تأخرت نسبيًا في النشر.

تعدّ رواية "الفراغ العريض" 1970، للكاتبة ملكة الدار محمد عبدالله (1920 – 1969)، من الروايات الرائدة على مستوى الكتابة فقد كتبت الرواية أوائل الخمسينات، وصدرت في عام 1970 متأخّرة عن زمن كتابتها قرابة العقدين. وهذا التاريخ السبّاق يؤكد شيئيْن؛ الأوّل أن المرأة بدأت مُبكرا تُدرك الانتقاص من ذاتها عبر أفعال ذكورية تحصرها في دور الخادمة، والتابعة... إلخ؛ ومن ثمّ اتجهت إلى التعبير عن الاحتجاج على هذه الممارسات الذكورية والاعتداد بذاتها، والدفاع عن قضاياها مبكرا، وبالاعتماد على صوتها الخاص.

لذا وعت المرأة لدورها في تسليط الضوء على قضايا الواقع الاجتماعي، وعلى قضايا المرأة خصوصا. وثانيا أن روح الكتابة والقضايا التي انشغلت بها الكاتبات في السودان لم تنفصل عن ذات القضايا التي كانت محور الكتابة في العالم العربي من مشرقه إلى مغربه. وهو ما يُعزِّزُ بأن السودان لم يكن مُنفصلا ثقافيا عن العالم العربي، بل كان متلاحما، حتى في القضايا الجوهرية التي تناولها الكُتّاب أو الكاتبات على حدّ السواء؛ كقضايا الهجرة، والرأي وحرية التعبير وكذلك الكتابة عن المهمشين في المجتمع، وإن كانت بصيغة سودانية محلية.

بدايات وانقطاعات

ومع هذه البداية المبكرة، إلا أنّ ثمّة فترات انقطاع في الكتابة النسوية، أشبه بحالة سبات طويل. وهو الأمر الذي يدفع بالتساؤل عن أسباب انقطاع كتابات المرأة، وخفوت صوتها الروائي – تحديدا – في فترة الخمسينات، باستثناء كتابات تنتمي إلى القصة القصيرة. كما هو ظاهر في كتابات القاصة آمال عباس العجيب، والقاصة آمنة أحمد المعروفة بآمنة بنت وهب، والقاصة سلمى أحمد البشير.

واستمرت الندرة في الكتابة النسوية – تحديدا– طيلة سنوات الخمسينات إلى الثمانينات من القرن الماضي، حيث حدثت طفرة عالية مقارنة بالعقود السّابقة، فظهرت كتابات روائية لأسماء كثيرة كـ: زينب بليل في "الاختيار" و"كش ملك" و"نبات الصبار"، وبثينة خضر مكي في "أغنية النار" و"صهيل النهر" و"حجول من شوك"، وملكة الفاضل في "جدران قاسية"، و"في مكان ما"، وكذلك نائلة فزع في "الموت في زمن العشق".

أما مرحلة التحوّل فتبدأ من زمن التسعينات وصولا الى الألفية الثالثة. وفيها زاد التراكم الكمي، وتنوّعت أسئلة المتون الروائية وأشكالها الجمالية. اللافت أن بعض الكتابات لم تتخلص من موضوعات البدايات وطرائق الكتابة الكلاسيكيّة أيضا. وهذا لا يقتصر على الرعيل الأوّل من الكاتبات، بل يمتد الأمر إلى جيل ما بعد الألفية كما في نموذج "الملكة وصبي الأفيون" 2019، لسارة عبدالمنعم.

ومن الكاتبات اللاتي يدرجهن النقاد في مرحلة التحول؛ عايدة عبدالوهاب في "ضحك من قلب الجنوب"، وغادة عمر الشيخ في "قطرات متناثرة"، وليلى أبوالعلا في "المئذنة" و"المترجمة" و"حارة المغنى"، و"منزل في مكان آخر"، ونفيسة الشرقاوي أم أحمد (حيث أصدرت مجموعات قصصية منها "شموع تحترق"، و"عادت الغربة"، و"تباشير"، و"همسات الوجدان"، و"كان الحديث همسا" و"خلجات")، وأميمة عبدالله في "ذاكرة مشلولة" و"أماديرا".

، وهبة عوض في "امرأة بين العقل والقلب"، ورانيا مأمون في "فلاش أخضر" و"ابن الشمس"، وسارة فضل في "رسائل من فيكتوريا"، وشامة ميرغني في "موانع الزمن وجوزيف ملاح البنات".

ومع الألفية الجديدة ظهرت أسماء مثل سارة حمزة الجاك والتي قدمت العديد من الأعمال تجمع بين القصة والرواية

لوحة أمل بشير

2014، و"توالي"، 2015 و"قافية الراوي"، 2015 و"كما روح"، 2016، و"إنه هو"، 2017. وإشراقة مصطفى حامد، وهي شاعرة وكاتبة ومترجمة لها العديد من الأعمال مثل "أنثى الأنهار.. من سيرة الجرح والملح والعزيمة"، 2015، و"الدانوب يعرفني.. الوجهُ الآخر لسيرة الأنهار"، 2017. وهناك ليلى صلاح في "الغابة السرية.. وقائع من حكاية الوجع والجنون"، وسوزان الكاشف "إيرات" و"توابيت عائمة" وإيمان المازري في "حياة" 2017 و"هويتي الأخرى" 2018.

جاءت كتابات المرأة على اختلاف زمنيتها، أشبه بمحاولات "للرد على الإقصاء والغبن الذي مُورس على المرأة في مجمل العلاقات النفسية والأخلاقية" كما تقول نجاة إدريس إسماعيل. فالكتابات أظهرت أن ثمة انتهاكا مَقيتا مورس على جسد المرأة. وجسّدت سارة حمزة الجاك في "خيانتئذ" لهذا عبر شخصية فضيلة عيسى عبدالرحمن، حيث تآمر الجميع عليها، بسبب نفوذ عائلة السيد عمر الإمام، فصدر حكم القاضي عليها بأن تُشنق في وضع مقلوب "رأسها إلى أسفل، وجسدها إلى أعلى، في وضع مقلوب بحيث أن يكون رأسها بين ثدييها المتدليين، وتكون جميعا بين ذراعيها المعلقتين، وتنفتح ساقاها كزاوية منفرجة، عارية بلا ثياب" (الرواية، ص 15). وتمثّل الانتهاك الأعظم للمرأة في الغبن وسلبها حقوقها لمجرد الاختلاف الأيديولوجي، كما في نموذج سماح بطلة "خيانتئذ"، التي تُمنع من استلام خطاب تعيينها كمساعدة مدرس في الجامعة لأنها من غير "الموالين للحزب الحاكم" وتنتمي إلى ذوي الآراء المناهضة للنظام، إلى جانب تسليط الضوء على هذه الانتهاكات التي تعرّضت لها المرأة.

كان ثمة اهتمام بقضايا السياسة وانعكاس تأخّر المسار الديمقراطي على الواقع السوداني بكل جوانبه، كما عبرت بثينة خضر مكيّ في "أغنية النار". فصورة المرأة التي قدمتها، لم تكن تلك المجضهة أو الكسيرة. وإنما المرأة الواعية بذاتها وباستقلالها، ورغبتها في البحث عن صوتها الخاص بالكتابة. بصفة عامة تشير الدكتورة سعاد مسكين في كتابها "خزانة شهر زاد – الأنواع السردية في ألف ليلة وليلة" إلى "حكاية الساردة الأنثى وتموقعها داخل البنية السردية

> رواية «الفراغ العريض» 1970، للكاتبة ملكة الدار محمد عبدالله (1920 – 1969)، من الروايات الرائدة على مستوى الكتابة فقد كتبت الرواية أوائل الخمسينات، وصدرت في عام 1970 متأخّرة عن زمن كتابتها قرابة العقدين

السودانية" وفي نفس الوقت أشارت إلى "أن السرد النسوي السوداني يحتاج مراجعة، ومع استثناء الاحتراف الكتابي المتمثل في تجربة "ليلى أبوالعلا".

الحلم بامرأة جديدة

ما القضايا التي ناقشتها الكتابة النّسوية السُّودانية؟ وهل كانت الكتابة النسوية تَسعى للحلم بامرأة جديدة، تلاحق حركة التغيرات في المجتمع، أم أن رهانها خاب بسبب تغلغل الذكورية في بنية المجتمع السوداني من جانب ووقوف السلطة بمفهومها الحقيقي وأيضا بمعناها الأيديولوجي من جانب آخر كحاجزين ضد تطلعاتها وآمالها؟

في الحقيقة الإجابة عن مثل هذه الأسئلة تتطلب قراءة وافية وتتبعا لكافة الكتابات النسوية على امتداد تاريخ الكتابة. وأيضا تتبع مراحل التحوّل والتغيير في بنية المجتمع، وانعكاساتها على الحراك الأدبي. وهذا الرصد سيكشف عن صورة المرأة كما جسّدتها المرويات النسوية من جانب وتحليل العلاقة بين الاطراد الكمي على النتاجات النسوية، والتمثّل لتقنيات جديدة على مستوى الكيف، من جانب ثان.

لوحة محمد عبدالرسول

مثل «صلوات خلاسية، وخيانتئذ، وكمبا والسوس» وتماست كتابتها مع قضايا الواقع الاجتماعي السّوداني، وهناك أيضا أن الصافي في أكثر من عمل "فُلك الغواية"، و"جميل نادوند"،

الأسود المتلألئ

إيلاف بدرالدين

❏ أن أبحثَ عن الألوان فذلك شيءٌ يرهقني. لكني حين أحملُ لوني الأسود وأرسم به فذلك يسعدني.

بدأ الأمر وأنا لا أملُّ يوماً لون الفحم على خدي وملابسي. أمضي خفيفاً وأعود ثقيلاً بغُبار فحمي. خطواتي المتعثرة، وطعم الدخان في حلقي، والسواد من حولي، بدرة الفحم التي كنت أحملها كانت كنزاً، لوّنت عالمي بالأسود ولم يكن لوناً حزيناً كما يظن الجميع.

كان اللونُ الذي رسمت به حروفي الأولى والوجوه الباسمة لفقري، ثم الأحلام المحفورة في دواخلي. الأسود يزيّنني دوما. أنا الأسود حين يشتد الظلام.

أنا جوال الفحم يتمايل فوق ظهري، فتتراقص الذرات السوداء، وتتناثر على جسدي فتحتضني، حتى أنها تحتضن رئتي ومجرى تنفسي، تماماً كأمي التي تنتظرني في المساء أحمل الجنيهات القليلة فتحتضني إن حملتها وإن أتيت دونها.

أنا الليل بقبعة سواده التي يُلبسُها للكون. وعيناي النجوم اللامعةُ والقمر بَصيرتي على ضعفي وقلةِ حيلتي.

السحاب الأسود أحببته، ذلك لأنه يحمل ماء الحياة لقلبي، ويحلُّ محل حنفيتنا الصامتة دوماً فيملأ قدح الماء في بيتنا، ويغسل بقَايا الفحم من على قميصي لأرتديه حين زيارتي لجدتي.

حملتُ كيساً كبيراً مليئا بالفحم، عائدا من مخزن الفحم في ليلة شتاء قارص والسعادة تُشعِلُ ضوءها الأسود في قلبي. أخيرا اقتربتُ من الدفءِ الذي سأمنحه لأشقائي.

لم أعلم حينها من يستحق الدفء! هل أصابعي التي لم يتجاوز عُمرها العشر سنوات، أم تلك الأنامل الناعمةُ والأظافر المطلية في الطرف الآخر للمدينة؟ في منعطف الطريق انزلقتُ بتدافع أفكاري السوداء فوقعت، وتناثرت الفحماتُ تنوح برداً. وقبل أن أجمعها أتاني صوتٌ من خلفي قائلاً

"أستاذ لو سمحتْ أسألك مجدداً ولا تردُّ علي، أي لون تختار لطلاء بيتك؟ سألتني الجالسة في مكتب التصميم والديكور، أجبت بثقة "أختار الأسود".

رمقتني بنظرة تحفها الريبة ثم قالت مبتسمة "يبدو أنك شخص غامض!"

أجبتها في سري قبل أن أنهض سعيدا "أنا لست بغامض، إنما أنا غائصٌ في بدرة فحمي التي حملتني إلى مجدي".

لوحة: محمد عبدالله عتيبي

المحموم

لوحة: محمد عبدالله عتيبي

مناهل فتحي
كاتبة من السودان

❏ مضت ثلاثة شهور منذ قدومي إلى روسيا، أمشي على شاطئ بحيرة بيكال (لؤلؤة سيبيريا) وأنا أحاول تدفئة نفسي بحشرها بين صفوف الطلاب، كنا في رحلة جامعية غرضها الاستمتاع باحتفالات أعياد الميلاد ورأس السنة، البرد جاد جدا في هذه البقعة المجنونة من الأرض، أتشبث بجوربيَّ السميكين وأحاول إيقاف أسناني عن الرقص في حين كانت (نتاليا) المرشدة السياحية للفرقة تسرد القصص عن بايكال، أعمق وأصفى وأقدم وأجمل بحيرة في العالم.

نتاليا فتاة عشرينية بوجه طفولي، كانت تتكلم بإنكليزية سريعة متقنة تتخللها بعض الكلمات الروسية، توزع ابتساماتها وصوتها الذي يستحق الإنصات وهي تقف على صخرة عالية وقد لفت كتفيها بالصوف تاركة نصفها السفلي ليلسعه البرد أو ليلسعنا.

كانت شمس ذلك اليوم خائفة، تتوارى خلف غيم كثيف وتبعث بأشعة خافتة تتواطأ مع الثلج لتملأ الفراغ بضباب كثيف، فجأة انزلقت قدم نتاليا فأطلقت صرخة عالية، وقبل أن تتمّ صرختها كنت أتلقف رأسها الذي كاد أن يصطدم بالأرض الحجرية، لا أدري كيف حدث هذا في جزء من الثانية على الرغم من أنني لم أكن الأقرب إليها إلا أنني قفزت لإنقاذها في الوقت المناسب.

هل أنت بخير يا آنستي؟

سألتها فأجابت بإيماءة وابتسامة ساحرتين ولكن الألم كان بادياً على وجهها، تدخلت الممرضة التي تصاحبنا وقامت بتدليك ساقي نتاليا العاريتين، أرادت الممرضة الاتصال بمسؤول السلامة للمكتب السياحي لكن نتاليا أكدت أنها بخير، أمسكت بكفها الجدار المدبب فأعطيتها يدي للكف الأخرى فانتصبت بقامتها الفارهة وهي ترش عليَّ عطرها.

شكرتني نتاليا ثم استأنفت نشاطها وكأن شيئا لم يكن، وأنا أملم ذبذبات صوتها من الأثير وأنسج منها موسيقاي الخاصة، كأني سمعتها تقول إن البحيرة تكونت من صخرة ضخمة سقطت من السماء، وكأنها روت أن عيسى عليه السلام زار البحيرة وحدد أن شمال البحيرة أرض مباركة وجنوبها أرض ملعونة وأن الذرة مازالت لا تنبت في الأرض الملعونة، ثم كأنها أضافت أنْ ليست هناك امرأة كالحاجة آمنة تطبخ عصيدة الذرة بالتقلية بطعم لا يقاوم! ولكن.. يبدو أن البرد قد عصف بتركيزي، لا أدري كيف أتيت بإرادتي إلى هذا الموت البارد الذي حجب عني جمال كل شيء.

كانت البحيرة لوح من ثلج ممتد كمرآة أرضية، الأشجار بيضاء وسحب الأنفاس تحجب الرؤيا.

أفقت وأنا في غرفتي والممرضة تحاول أن تقيس حرارتي بوضع المحرار تحت إبطي، كيف وصلت إلى هنا؟ كنت ممدّدا والخدر ينسحب من رأسي ويتمشّى إلى أقدامي.

اقتربت نتاليا مني ووضعت كفها على رأسي.

همد الله آسلاما

قالت وهي تبعث الدفء في عظامي فرُحت في غيبوبة أخرى.

لزمت غرفتي لأيام، وضعت قدمي داخل جوارب سميكة ورأسي داخل طاقية من الصوف وجسدي داخل كل ما جاد به موظفو الفندق من بطاطين.

تذكّرت والحمى تعصف برأسي، ما كنت قرأته للإيطالي كورتيسو ملبارته: (إن هناك أفكارا لا يمكن أن تذوب إلا في درجة حرارة عالية).

فتّشت عن أفكار يمكن أن تذيبها مثل هذه الحمى فلم أجد، ربما كانت أفكاري ذائبة أصلا وربما لم تكن لدي أفكار من الأساس. لديّ فقط تل من المناديل تعجز يداي أن تصلا بها إلى سلتها فأكوّمها بالقرب من رأسي.

لم أرد أن تراني هذه الروسية الآسرة وأنا في هذا القرف، يبدو أنها سهرت قربي لليلة كاملة وأنا أهذي، الحمد لله أنني وبلا شك كنت أهذي باللهجة السودانية التي لا تفهمها.

لن أنسى اليوم الذي حاولت فيه الوقوف للذهاب للحمام فشعرت بدوار، كانت نتاليا قد أذنت للممرضة بالذهاب ونامت مكانها جالسة، أحسّت بمحاولاتي الفاشلة للوقوف فمدت لي كفاً رقيقة بيضاء كالحليب، تأبّطت ذراعي وأنا أشفق على كتفها من خشونتي وثقلي أخاف أن أكسر ساعدها الرقيق الذي لفته حول صدري، لاحظت أن أطوالنا متقاربة، كم سيكون التوازي بيننا مثيراً لو احتضنتها، تمعنت في جسدها، لديها جغرافيا مدهشة التضاريس ومتعددة المناخات، كان ارتباكي عظيما بحيث لم يسعفني النطق وأظنها لاحظت ذلك وراق لها أن تضاعف ارتباكي وهي تلصق صدرها بصدري، تمنّيت ألا أصل إلى الحمام وألا أشفى، أحببت زكامي وحُمَّاي، ضعفي وحاجتي لاهتمامها، ولكنني حال خروجي من الحمام شكرتها وطمأنتها أنني بخير وطلبت منها أن تذهب لترتاح، أكدت عليّ ألا أتردد في الاتصال بها إن احتجت لشيء وتركتني حائراً، هائماً، أحتاج إليها احتياجا قاتلا ولا أجرؤ على الاتصال.

عندما تعافيت كنت قد انتزعت من نتاليا وعداً باصطحابي في رحلة صيفية إلى المكان نفسه.

حذاء أسود لامع

لوحة: عبدالوهاب محمد نور

وئام حمزة
كاتبة من السودان

❏ قدماي تؤلمانك. الضيق في صدري آلام بصدرك. كم أتمنى أن أمحوها عنك، كل آلامي. أتسبب لك في آلام كثيرة، لكن أكثرها وجعا، حين أغادر. أغادرك مرتين، مرة أحيا معك، ومرة دونك.. مرة أؤلمك، تصرخين، تستغيثين، ثم تنسين، حين تريني. رؤيتي لوقت طويل، كانت وحدها شفاك.

ومرة أغادر، لن تكون لديك القدرة على الصراخ والنواح، تنتظرين رؤيتي لتتذكر كم تحبينني! وأحيا وحدي، لن تضطري إلى حملي. يقطعون الحبل بيننا، وأظل أشد الوثاق نحوك، ينسون أجنحتي وتنكسر قدمي في محاولات البقاء. وأخرج يدفعني الحب إلى الخارج ويبقيني الحنين داخلك.

****

الشعور الذي لا يتذكره الجميع، يبحثون عنه في الاستعارات والخيالات، يمرون به جميعا، وننساه جميعا، أعرفه الآن، سأحاول تذكره دائما، شعوري بالأمان داخلك، شعوري ككائن محمول. سأتذكر هذا الشعور وسأشتاقه ما بقي من عمري، عندما يبدأ عداد العمر. أحتفظ منك بأشياء كثيرة، قامتك طويلة وصلبة كالنخيل، عيناك سوداوان واسعتان أرى نفسي فيهما بوضوح شديد وجمال فريد، ينقصني بعض منك، الشلوخ على وجهك، أوشام قبلية، لم تقبلي أن تعطيني مثلها، شعرت أن عليك حمايتي!

أذكر كيف كان الصبية يتسابقون لزيارة الأهرام المحيطة بنا، لا حراسة عليها. يدخلون ويمرقون، لا أحد يمنعنا، سواك! تخيفيننا بشياطين تسكنها، تحذرين من تربصهم لنا. أصبحنا نعرفهم، نعرف أشكالهم، نخافهم. لم نعد نرغب في زيارة المكان. وعندما كبرنا كان اليقين الذي زرعته فينا أقوى من كل العلوم.

****

لا أرى شيئا بعد، لكني أفهم ما ترينه لي. عيناي مغمضتان. وتغمضينهما لي أكثر، حماية، خوف ألا أقوى على مواجهة الحياة. تغمضينهما بيدك النحيلة، برائحة التبغ والحنة. لك عطرك الخاص، وعطري بعض عطرك. أودّ حمايتك أيضا أن أغمض عينيك، فالقادم ليس أجمل، تتغير البلاد كثيرا تنقسم إلى دويلات، لن تكفينا أموال أبي. أبي ذاته لن يكفي. يخرج للحرب يوما ولا يعود، لن يعود. يموت دفاعا عن شيء ما، شخص ما جعله ثمنا للقضية. وتكونين وحدك عمرا طويلا، تواصلين حملي دائما. وأظل أنشد لحظة انعتاق عن حضنك، هي لحظة اشتياق لوطني فيك. يكون لي أحباء غيرك، أصدقاء غيرك. تؤكدين أن لا أحد يحملني بقلبه مثلك، أظل أجرب، أنكسر كثيرا. حطامي يؤلمك. أجوب الأرض بحثا عن رزق، تظنينه خطأك، فلو كانت قدماك تحملان لحملتني أكثر. العالم الذي يتكون في داخلي، تخرجينه، تضعين شروطا وقوانين. لك قوانين مخيفة، ربما لك ذاكرة مثل ذاكرتي، تعرف مسبقا كل ما سيحدث، إذ حدث قبلا.

****

فعندما مات الجد حماد، رجعت من المدرسة مع رفقتي، قيل إنك في العزاء، ذهبت فلم أجدك، كنت تنتظرين عودتي إلى المنزل لتذهبي، سبقوني إلى الطعام فأكلت معهم، خالجني شعور غريب أن آكل طعاما شهيا وطيبا خارج بيتنا.

بيع الجسد أداة للهيمنة الذكوريّة

المرأة كفريسة في مجتمع ذكوري

مسرحية فرنسية تفكك دور المرأة الذي اخترعه الرجال

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ مازال فيلم كينج كونج منذ أول نسخة له عام 1933 يثير الجدل الثقافيّ والسياسيّ، بسبب ما يختزنه من متخيلات سينمائيّة تعكس تاريخ الاستعمار الأوروبيّ وسياسات الرجل الأبيض، وبعد أن صدرت نسخة المخرج الأميركي بيتر جاكسون من ذات الفيلم عام 2005، قامت الكاتبة والناشطة الفرنسيّة الحائزة على جائزة الغونكور فيرجيني ديسبانتيس بنشر مقال طويل بعنوان "نظرية كينج كونج"، والذي نقرأ فيه تحليلها للفيلم من وجهة نظر نسويّة، قارئة عبره سياسات الاغتصاب والدعارة والبنية الذكوريّة التي تُبيح الهيمنة الكاملة على الأنثى وتوظيفها في سبيل غواية "الآخر" سواء كان وحشا أو بشرا كما حصل في الفيلم.

يشهد مسرح الورشة في العاصمة باريس عرضا مسرحيا بعنوان "نظرية كينج كونج" للمخرجة فينيسا لاري التي استندت فيه على مقال ديسبانتيس سابق الذكر، ونشاهد فيه ثلاث ممثلات يحدثننا عن مأساة الدور المؤنث، و"الرجال البيض" الذين فرضوا هذا الدور وجعلوه مناسبا تماما لرغباتهم، وعملوا على خلق نظام عقاب لكل من تخالف هذا الدور. وهنا يبرز كينج كونج كمجاز عن كائن بلا جنس ولا دور اجتماعيّ يعيش ضمن جزيرة ذات علاقات اجتماعيّة مغايرة لتلك "الحضارية"، أمّا تعلقه بالفتاة الشقراء فأساسه عاطفيّ، لا جنسيّ، فهو ينتمي إلى ما قبل التقسيمات الثنائيّة للجندر، هذه الخاصيّة استغلها الرجل الأبيض لأسره وتحويله إلى حيوان في السيرك، لخلق الاختلاف بيه وبين "البشري"، وبناء ذكورته عبر توليد حكايات عن "اشتهائه" للمرأة البيضاء الشقراء الغاوية.

يبدأ العرض بتساؤل تطرحه الممثلة عن رغبة بعض النساء بالغواية، وجعل أنفسهن متاحات للرجال، ولا نتحدث هنا عن الاتصال المباشر فقط، بل عن الحضور في الأماكن العامة بين الغرباء، وتبني كلام وثياب وتصرفات من أجل الحصول على "الرجل"، لا على أساس عاطفيّ، بل في محاولة لكسب قوّته المالية والاقتصاديّة التي يختزنها عملها، وكأنها تغوي الدور لا الإنسان، لتحدثنا بعدها الممثلة عن نفسها، بوصفها تلك التي لن يتزوجها أحد، فهي نقيضة كل رغبات الرجال.

نكتشف لاحقا أن الممثلات الثلاث يؤدين أدوارا مختلفة، ففي البداية المرأة الغاوية، ثم الرافضة للغواية، وذلك لفضح تقنيات التملك التي يفرضها الدور الذي صممه الرجال للنساء، لينتقلن بعدها للحديث عن الثورة الجنسية والتحرر النسويّ الذي لم يُغير من البنية الذكورية وسمح لها بأن تمارس عنفها دون أي مساءلة، وهنا تبدأ الممثلات بتأدية أدوار المغتصبات، في انتقاد للاغتصاب بوصفه مؤسسة سياسية ذكورية تضمن نجاة الرجل، فالمرأة هي التي تخضع للفحوص الطبيّة، كما عليها إثبات عدم رغبتها بالجنس وعدم محاولتها "جذب" المُغتصب، كذلك نشاهد انتقادا للاتفاق على الصمت المتعلق بالاغتصاب وعدم الرغبة بالحديث عنه، والأثر الذي يتركه على المرأة، والذي يتجلى مسرحيا في الأداء، وفي الدماء التي تلطخ الممثلات الثلاث، لننتقل بعدها إلى انتقاد المتخيل الذي زرعه الرجال في رؤوس النساء، والذي يشير إلى أن هناك احتمالا بالاغتصاب في حال أرادت المرأة أن تمشي وحيدة في الشارع، وكأن هناك طاقة ذكورية في الفضاء العام لا بدّ من التخلص منها في جسد المرأة مهما كان الثمن.

> يبدأ العرض بتساؤل تطرحه الممثلة عن رغبة بعض النساء بالغواية، وجعل أنفسهن متاحات للرجال، ولا نتحدث هنا عن الاتصال المباشر فقط، بل عن الحضور في الأماكن العامة بين الغرباء، وتبني كلام وثياب وتصرفات من أجل الحصول على «الرجل»، لا على أساس عاطفيّ، بل في محاولة لكسب قوّته المالية والاقتصاديّة

تنتقل بعدها الممثلات إلى أدوار بائعات الهوى في انتقاد شديد للدعارة والشروط القاسية لممارستها، ولا نقصد بها الحاجة الفرديّة للمال، بل الممارسة ذاتها مع الزبون، باعتبار الدعارة فعلا مشابها للاغتصاب، وعبرها يتملّك الرجل كامل جسد الأنثى، ليصبح مطابقا لمتخيله عن الرغبة، وكأن جسد المرأة ماكينة مخصصة لإمتاع الذكور، و"غرض" لا يشعر ولا يمتلك أي كرامة إنسانيّة، وهذا ما نتلمسه من حكايات الزبائن التي يروينها وكيفية ممارستهم لهذا الفعل ومعتقداتهم عنه، فبعض "الرجال" يراه خيانة وآخر يراه تحررا والبعض يرى فيها مجرد وسيلة ميكانيكيّة للتخلص من الشهوة.

تتضاءل قسوة العرض حين الحديث عن البورنوغرافيا مع العلم أنها معادل فج عن الرغبات الذكوريّة، إذ تسخر الممثلات من هذه الصناعة، عبر تبنيّ أداء رديء للممثلات الإباحيات، ويشرن إلى أنه ضمن هذه الصناعة تؤدي النساء بصورة متخيّلة، لا تطابق رغبات المرأة الجنسيّة، وكأننا أمام شكل آخر من السيطرة على الجسد المؤنث، والذي يتحقق عبر خلق متخيّل يقضي على التسلسل المنطقي للواقع، فالإباحيّة تخاطب الرغبة مباشرة دون كلام أو مقدمات أو حتى غواية، وهنا يبرز استخدام الكاميرا في العرض وإنتاج الصور على شاشة على الخشبة، كوسيلة لمحاكاة الصورة المتخيّلة ذاتها، وانتقاد التحديقة الساذجة التي تخلقها الصور البورنوغرافيّة.

هذه التحديقة الساذجة والمتحيزة تحضر أيضا في السياسات الطبيّة التي تسعى لإخفاء متعة الأنثى ومحاربة الاستمناء، في سبيل منعها من لمس ذاتها واكتشاف رغبتها، كون في ذلك تقليل من "طهرانيتها" من وجهة نظر الرجال، هذه الطهرانيّة التي استغلتها المؤسسة الذكوريّة وخلقت أدوارا للنساء لجعلهنّ "لائقات" وربات منزل مبتسمات دوما.

الأهم أن العرض يدعو إلى مساءلة الدور الذكوري نفسه والأشكال التي تهدده، إذ يشرن إلى أن "الرجولة" تتطلب من النساء ألا يكنّ مثيرات للجدل يطرحن أسئلة عن النظام القائم، بل عليهن أن يكنّ ثرثارات وسطحيات، أي ألا يكون لكلامهن أي أثر في الواقع، فهن مجرد أدوات للغواية، وأي تغيير في ذلك يهدد الذكورة في عمقها بوصفها الوحيدة صاحبة الأثر في العالم.

بالرغم من الغنى الفكري الذي يحتويه العرض والتساؤلات المعاصرة التي يطرحها وتبدل أدوار المؤديات، إلا أنه لا يستفيد من "المسرح" كفن، بل نرى الكثير من الاعتماد على النص الأصلي واللغة الشعرية والذكاء والحذلقة دون أي معادلات بصريّة تذكر، بل أن المؤديات يبدأن في ثلث العرض الثاني بقراءة مقاطع من النص الأصلي لنظرية كينج كونج، دون أي تعليق عليها، سوى صورة كينج كونج في الخلفيّة، بوصفه معادلا عن كائن سابق على الدور الاجتماعيّ.

الإباحيّة معادل كاريكاتوري لرغبات الرجال

من مقعده المتحرك يرصد شرور العالم

طه الزهار أمام قاتل أبيه السرفيس

«تراب الماس» والقتل في زمن الإحباط واليأس

الفساد السياسي والانتقام الشخصي وتطهير المجتمع

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ أتيحت لي الفرصة أخيرا لمشاهدة نسخة جيدة من الفيلم المصري "تراب الماس" للمخرج مروان حامد، الذي أعتبر أحد أهم ما عرض من أفلام في مصر في عام 2018.

لا شك في الطموح الفني الكبير الذي يتبدى في الفيلم، أولا على أيدي مروان حامد مع شريكه أحمد مراد الذي كتب السيناريو عن روايته، من ناحية طرقهما موضوعا يبدو للوهلة الأولى قاسيا قاتما، ثم استخدام التعليق السياسي النقدي الرصين بشكل غير مباشر، أي عكس المألوف في أفلام النقد السياسي في السينما المصرية.

ويبدو الطموح ثانيا في تلاعب السيناريو بالسرد، الذي يتخذ نسقا متعرجا، يروح ويجيء، ينتقل حينا بين الماضي والحاضر، ويعتمد حينا آخر على استدعاء الأحداث التي عاشتها الشخصية الرئيسية في الفيلم، وهي كما أرى، ليست شخصية الصيدلي الشاب "طه"، بل شخصية والده "حسين الزهار" التي يقوم بأدائها باقتدار وتفوق وسيطرة مدهشة، الممثل أحمد كمال. وفي ظني أن أكثر عناصر الفيلم بروزا وقوة بدا في اختيار الممثلين، باستثناء الممثل اللبناني عادل كرم الذي قام بدور رجل الأعمال الملياردير المثلي الجنس "هاني برجاس" الذي لا يتورع عن اللجوء إلى القتل تجنبا للفضيحة، فقد بدا تائها غريبا عن الدور، عاجزا عن التكيف مع الشخصية، خاصة وأنه غير مدرب بدرجة كافية على الأداء باللهجة المصرية.

التطهير بالعنف

وعلى نحو ما، يذكرنا "تراب الماس" بفيلم "سائق التاكسي" (1974) لسكورسيزي، فهو ليس فقط عن الانتقام الفردي، بل -أساسا- عن "تطهير" المجتمع بالمعنى الأخلاقي، فكما كان ترافيس بيكل بطل "سائق التاكسي" العائد من فيتنام يستخدم العنف لتطهير المجتمع من الفساد الأخلاقي، يدبر حسين الزهار عمليات متعددة لتطهير البلد ممن يعتبرهم مسؤولين عن الفساد الذي يتمثل في استغلال النفوذ (عقيد الشرطة "وليد سلطان")، تجارة المخدرات (الضابط مع "سليمان اللورد")، الشذوذ الجنسي (هاني برجاس)، وتجارة الجنس لحساب الطبقة الراقية (القوادة "بشرى")، مع لمسة جريئة دون شك، من نقد الفساد السياسي كما تشير شخصية عضو البرلمان "محروس برجاس" الذي تخصص في "تفصيل القوانين" لإرضاء السلطة في كل العصور.

شخصية محروس برجاس التي يؤديها عزت العلايلي، ليس من الممكن أن تظل فاعلة في الواقع وفي خدمة السلطة كما نرى حتى 2018، إلا أن يكون الرجل قد تجاوز الثامنة والتسعين من عمره مثلا، فنحن نشاهد صورا له مع الملك فاروق ثم محمد نجيب وعبدالناصر.. وغيرهم، لكن ربما كان وجوده رمزيا. أما موقف الفيلم من الصراع السياسي بين نجيب وعبدالناصر فيتضح منذ المشاهد الأولى في الفيلم التي يسترجع خلالها الزهار وقائع ما جرى في مصر بعد يوليو 1952، والصراع بين نجيب وعبدالناصر، الذي ينتهي بعزل نجيب والاتجاه إلى "الدولة الشمولية".

يتحسر الفيلم أيضا على مجتمع التعدد العرقي والثقافي في مصر قبل 1952 ووجود الأقليات كالأقلية اليهودية التي يمثلها في الفيلم تاجر المجوهرات "ليتو" (بيومي فؤاد)، وكان يرتبط بصداقة وطيدة مع "حنفي الزهار" (سامي مغاوري)، جد طه ووالد حسين، وهو "اليهودي الطيب" الذي يقف إلى جانب حسين بعد وفاة والده، يتولاه بالرعاية ويسند إليه عملا في دكانه، بل وينفق على استكمال تعليمه.

ورغم تعاطف الفيلم الواضح مع اليهود المصريين إلا أنه يدينهم ويصمهم بالخيانة الوطنية عندما يكتشف حسين (الطفل) أن ليتو جاسوس يعمل لحساب إسرائيل في 1956، فيقتله باستخدام "تراب الماس" السام بعد خلطه بالشاي، وهي الطريقة التي تعلمها من ليتو نفسه عندما تخلص من قط ابنته الجميلة "تونا" (تارا عماد) بعدما أصيب بالسعار. ومع ذلك يستمر حسين في حبه لتونا حتى بعد أن تتطوع في جيش الاحتلال الصهيوني ثم تأتي لزيارة مصر وتلتقي به بعد معاهدة السلام في أواخر السبعينات.

دوافع شخصية

تبدو دوافع حسين الزهار للتخلص من الفاسدين في نطاق الدائرة التي يراقبها من نافذة غرفته من فوق مقعده المتحرك، دوافع شخصية، نتجت عن شعوره بالغضب والإحباط، فقد فشل في الالتحاق بالكلية الحربية (لغياب الوساطة)، وعندما تطوع في الجيش شارك في حرب 1967 وعاش الهزيمة المريرة وعاد الى حارة اليهود سيرا على قدميه (خذله القادة).

وهو يتجه لدراسة التاريخ ويصبح نموذجا للمثقف الذي يتطلع الى أن تصبح مصر دولة ديمقراطية حديثة، لكنه يصاب بالشلل بسبب إهمال طبي دون الحصول على أي تعويض، فيفقد وظيفته، وتهجره زوجته وتترك له ابنهما طه الذي يتعلم ويصبح صيدليا، لكن حسين يشاهد ذات ليلة ما لم يكن مسموحا له بمشاهدته. وسوف نبقى حتى النهاية، قبل أن نعرف الحقيقة، وهنا يستخدم الفيلم ببراعة التواء الحبكة ليوحي لنا بالحقيقة دون أن تكون هي الحقيقة. ولكن عندما تتبين الحقيقة تأتي أقل من توقعاتنا. فرؤية ضابط شرطة فاسد يمارس فساده ليس بالأمر الجلل الذي يستوجب قتل حسين.

الضابط الفاسد

من أكثر شخصيات الفيلم قوة وانسجاما مع أحداثه، شخصية الضابط المنحرف وليد سلطان (ماجد الكدواني) فهو يبدو في البداية طيب القلب، لطيفا، مجاملا، ثم يكشف تدريجيا عن وجهه القبيح كشخص يتصف بالجشع والخبث والقسوة، وحتى بعد أن يتم وقفه عن العمل بعد أن ثبت أنه كان يراود سيدة على نفسها مقابل نقل زوجها الضابط من مكان عمله إلى القاهرة، يحاول وليد أن يستخدم طه ويوظفه من أجل تحقيق أطماعه عن طريق الوعيد والتهديد وهو ما يفعله أيضا مع القوادة بشرى (شيرين رضا).. لكنه لا يمارس التعذيب والقهر وخطف المعارضين السياسيين أو قتلهم وإخفاء جثثهم أو تلفيق التهم لهم وتقديم شهادات مزورة أمام القضاء. لذلك ينحصر الفساد في الفيلم في الانحرافات الفردية لا في النظام السياسي عموما. ومع ذلك يقول الفيلم إن الحالات الفردية لم تعد فردية بل شملت قطاعات واسعة في المجتمع، من النخبة ومن القاع.

لا يبدو أن ثمة أهمية لوجود شخصية المذيع التلفزيوني الانتهازي "شريف مراد" (أياد نصار) الذي يغتصب بالقوة والعنف زميلته "ساره" (منة شلبي) بعد أن تكتشف خيانته لها، رغم أنه سبق أن مارس معها الجنس كما صورها على أحد شرائطه مثل غيرها، ويبدو من العسير أن نصدق ما يحاول الفيلم إقناعنا به فيما بعد، أن ساره أقنعت شريف بأنها غفرت له اعتداءه الوحشي عليها وعادت إلى حبه، فقط لكي تنتقم منه بالطريقة التي علمها إياها طه، أي بوضع حفنة من تراب الماس في كأس الشاي!

مادة تراب الماس اختلسها حسين الزهار من اليهودي ليتو، وطعمها لا يمكن الإحساس به في الشاي، وهي تسبب الأعراض الرهيبة التي نراها في الفيلم ثم الموت خلال أسابيع معدودة، مع ملاحظة أن اليهودي ليتو هو أول من استخدمها في الفيلم ومنه تعلم حسين الزهار. أما طه فيستعين بمنشار كهربائي لتقطيع جثة "السرفيس" (محمد ممدوح) أو "البلطجي" القاتل الشرير الذي كان يستخدمه الضابط في تصفية وترويع الآخرين، لكنه يضع الجثة في حامض الكبريتيك داخل البانيو، قبل أن يقوم بتقطيعها، ثم ينقلها بعد ذلك في حقيبة كبيرة إلى المقابر، فإن كان قد تم تذويبها في الحامض فلماذا ينقلها!

تتردد في الفيلم أكثر من مرة، فكرة تطهير المجتمع من الأشرار (بعيدا عن القانون)، أي بالطريق الفردي كما يفعل حسين الزهار، أو حتى على لسان الضابط وهو يقول لطه ذات مرة، مبررا تجاوزاته للقانون "إلى حين أن يصبح هناك قانون". ويتكرر ظهور الغراب الأسود كرمز للموت القادم، ويتكرر الحلم الذي يتنبأ بالموت ويرويه الزهار لترويع ضحاياه قبل أن يتركهم بعد وضع السم لهم. لكن إذا كان حسين الزهار قد فعل ما فعله مؤمنا بأنه "صاحب رسالة"، فابنه طه يستكمل دور والده فقط بدافع الانتقام الشخصي ممن تسببوا في قتله. فهو يقتل البلطجي السرفيس ثم الضابط، ويدخر حياة هاني برجاس الذي يعيش ليستمر في الفساد. ولا يدين الفيلم الحل الفردي، بل يتوقف عند مقولة تتردد أيضا أكثر من مرة وهي أنه "أحيانا يمكن معالجة خطأ كبير بخطأ صغير" وإن كان ينتهي بفكرة "ضرورة أن يراقب الصغار الكبار"، إضافة الى القصة التي ترويها العمة "فايقة" (صابرين) لطه عن "القاتل العادل" الذي ينتهي بالموت على أيدي من كان يقتل لأجلهم.

أسلوب الإخراج

هناك اهتمام واضح في الفيلم بالتكوين والإضاءة وحركة الكاميرا، وعناصر الصورة عموما، على نحو يضفي جمالا خاصا وغموضا ساحرا على الفيلم خاصة في نصفه الأول، وتُظهر مواقع التصوير التي اختيرت بعناية فائقة التناقضات الطبقية بين مجتمعات النخبة التي تحتكر الثروة والنفوذ، وبين الفئات المحرومة، كما يعكس ديكور وإضاءة شقة الزهار جوا كابوسيا خانقا، فالمكان ينضح برائحة القدم وعلامات تعاقب الزمن بما في ذلك واجهة العمارة التي يقيم فيها، وفي الداخل تنتشر الكتب القديمة والصحف، وتشي الإضاءة الخافتة التي تصطبغ باللون الأصفر والبني، بقتامة الشخصية وسريتها، وتدعم موسيقى هشام نزيه هذا الإحساس كما تعكس في باقي أجزاء الفيلم أجواء القلق والتوتر والصراع الذي يدور داخل شخصية طه. ويستخدم مروان حامد زوايا التصوير الغريبة كما في اللقطة المصورة من أعلى للحمام من زاوية قائمة تقريبا بعد وضع جثة السرفيس في الحامض. ويأتي بعد ذلك مباشرة الانتقال المنطقي من تلك اللقطة الخانقة مع تصاعد الأبخرة الخانقة داخل الحمام، إلى لقطة عامة من بعيد لطه وهو يقف في نافذة الغرفة يتطلع إلى الخارج وهو يستنشق الهواء النقي بينما تتقدم العدسة نحوه تدريجيا.

السرد المتعرج الذي ينتقل بين الأزمنة يبرز حضور شخصية حسين الزهار وسيطرته على مجمل أحداث الفيلم رغم موته في نهاية المشهد الأول. وينجح مروان حامد في التغلب على الطابع الأدبي للسرد الذي نسمعه بصوت الزهار تارة، وبصوت الضابط تارة أخرى، في استعادة الأحداث من وجهة نظر كل منهما، أولا عن طريق مذكرات الزهار المكتوبة التي تمر على أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها مصر، وثانيا من خلال ما يرويه الضابط لطه، فقد استخدم مروان بالتعاون مع المونتير، تداعي الصور واللقطات بطريقة شبه تسجيلية، مع تعدد زوايا التصوير (تصوير مشاهد تدور في المقابر له طابع خاص يكتسي بالرهبة). كما ينجح مع المونتير (أحمد حافظ)، في خلق إيقاع متزن، متدفق، متوازن، وبفضل مدير التصوير محمد المرسي يأتي الفيلم في صورة شديدة الجمال والصدق معا سواء في التكوين أو حركة الكاميرا (الحركة البطيئة من اليسار لليمين أو حركة المتابعة أو الكاميرا المهتزة، التي توحي بالدوار والترنح) مع دقة شديدة في اختيار العناصر التكميلية للصورة (الصور التي تمر عليها الكاميرا على الجدران والاكسسوارات داخل شقة ليتو اليهودي وشقة الزهار ومكتب محروس برجاس). وينجح مدير التصوير في خلق علاقة بصرية جيدة بين الشخصيات والأماكن.

يطغى التصوير الخارجي سواء على المشاهد المصورة بالأبيض والأسود والتي تستدعي الماضي، في الخمسينات، خاصة مشاهد حارة اليهود، والبيوت والأزقة الضيقة وأجواء الفجر.. وغير ذلك، أو على المشاهد التي تعكس الزحام والضجيج في الأحياء العشوائية عندما ذهب طه ليختفي بعد أن تمكن من وضع السم للضابط. وبين الحدثين نرى في مشهد "فوتومونتاج" بديع صامت يوجز الكثير من الأحداث، الضابط مع أتباعه من "البلطجية"، يقومون بتفتيش شقة طه ويبحثون عنه دون جدوى، ثم نرصد تدهور الحالة الصحية للضابط إلى أن نقرأ خبر وفاته منشورا في الصحف، ثم العزاء الذي يحضره طه.

كان يمكن اختصار بعض المشاهد لكي يصبح إيقاع الفيلم أكثر دقة، مثل مشهد قتل الصبي الشاذ "كريم" في السجن، واستبعاد مشهد إصابة طه بنوبة صرع خاصة أنه لا يضيف شيئا من الناحية الدرامية، واختصار رد فعل طه بعد أن يعلم بموت والده فيغادر الفراش ويسير في ردهة المستشفى وهو يجر خلفه جهاز نقل المحلول، ينادي على أبيه وهو يتطلع يمينا ويسارا، ويبحث عنه، ثم يصرخ وينهار. وكان يمكن الاكتفاء بتصوير رد فعل طه في لقطة واحدة. لكن هذه المغالاة في تصوير المشاعر من العلامات الراسخة في الفيلم المصري.

ورغم أي ملاحظات سلبية على الفيلم، يبقى أحد الأعمال المهمة في مسيرة مخرجه ومحاولة لاختراق الطابع التقليدي العتيق في السينما المصرية، وتجربة تجمع بين العمق والغموض والقابلية الجماهيرية.

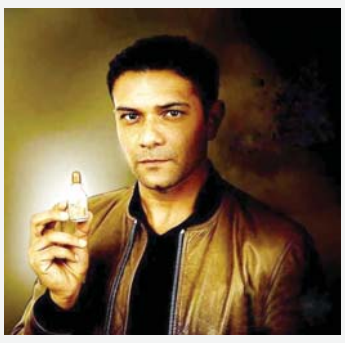

> مادة «تراب الماس» اختلسها حسين الزهار من اليهودي ليتو، وطعمها لا يمكن الإحساس به في الشاي، وهي تسبب الأعراض الرهيبة التي نراها في الفيلم ثم الموت خلال أسابيع معدودة

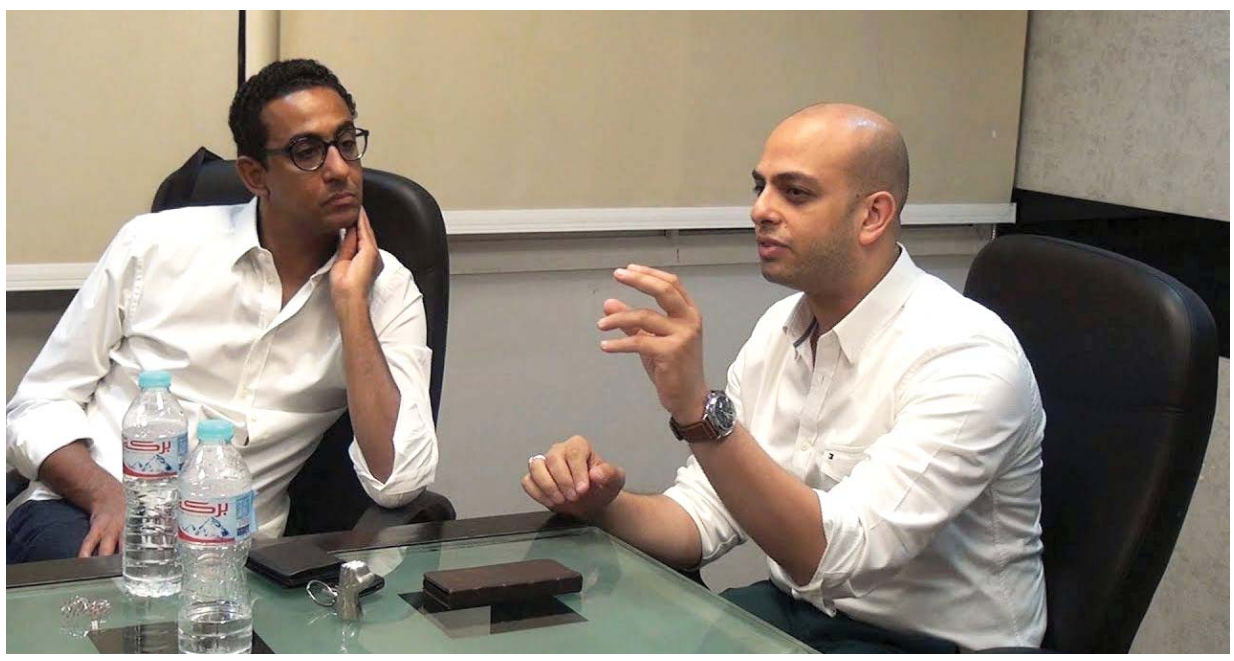

المخرج مروان حامد مع مؤلف القصة والسيناريو أحمد مراد

السياحة النيلية تدعو عشاقها للاستمتاع بدفء مدينة الشمس في الشتاء

مصر تمنح زائريها جولة لا تنسى بأغلب معاملها الأثرية

يدعو نهر النيل في فصل الشتاء عشاق السياحة الثقافية لاكتشاف المزيد من كنوز الفراعنة على شاطئ مدينة الشمس التي عرفت باسم طيبة خلال العصور الفرعونية، وظلت عاصمة للحضارة الحارسة لشريان الحياة في مصر، إلى أن تغير اسمها إلى الأقصر، وعلى شواطئها تنطلق رحلات الاستمتاع بدفء الشمس في فصل الشتاء.

محمد حماد

❑ **الأقصر (مصر)** – إذا كنت من محبي الاستجمام والبحث عن الدفء في فصل الشتاء الذي بدأت ثلوجه تضرب الكثير من أرجاء المعمورة، فأنت في ضيافة الفراعنة الذين اكتشفوا البعض من كنوز الأرض، وانطلقت من الأقصر أو مدينة الشمس الكثير من معجزاتهم وباتت حديث العالم.

تتسلل على ضفاف نهر النيل الهادئ أشعة الشمس وقت الشروق، وتمنحك دفئا يصعب أن تنساه، في الوقت الذي تكون مجازة فيه بالساعات بل والأيام في بعض المدن.

فطنت القاهرة مؤخرا لأهمية السياحة النيلية، وبدأت في إعادة الحياة لهذا المقصد الذي ظل منسيا، ويشهد الآن إقبالا من محبيه، داخليا وخارجيا، استعدادا لقضاء أوقات ممتعة خلال رحلات الاستجمام الشتوية.

إيهاب عبدالعال

الرحلة النيلية من الأقصر إلى أسوان تستغرق 15 يوما وتشمل زيارة جميع المقاصد السياحية

وما أن تطأ قدماك الفنادق العائمة على سطح نهر النيل، ويطلق عليها "ذهبيات" وتشعر بنسمات الهواء الصافية للتواجد في قلب شريان الحياة النابض، وسط دغدغة المياه بجسد المراكب، استعدادا لقضاء ثلاث أو أربع ليال، وقد تمتد إلى أسبوع وفق البرنامج الذي تختاره، وهي تتحرك جنوبا أو شمالا، تشعر كأنك دخلت مرحلة انفصلت فيها عن صخب الحياة في مصر.

وتنطلق "الذهبيات" من الأقصر في رحلة ساحرة تمكن السائح من مشاهدة الجبال المتواجدة على جانبي شريان الحياة في مصر، ثم تنتقل للزراعات الرائعة التي ترمز لعودة الحياة والتي امتهنها المصريون وتوارثتها الأجيال.

يحكي تلك المتعة لـ"العرب" ألكسندر غيورافلف، وهو من مدينة مورمانسك الروسية، والتي لا ترى الشمس سوى ستة أسابيع في العام، ويطلق على ليلها خلال تلك الفترة "وايت نايت" أو الليل الأبيض.

قال غيورافلف "عندما حضرت للعمل بالقاهرة لبعض الوقت، كان حلمي أن أزور مدينة الشمس، وفي أول عطلة سافرت من القاهرة إلى الأقصر وقصدت ذهبيات النيل، وقبل أن ننطلق إلى أسوان بدأنا في جولة على الضفة الشرقية لنهر النيل".

وأضاف "بدأنا بزيارة معبد الكرنك، وشعرت أمامه أنني فعلا في حضرة الفراعنة، وتلمست فيه مراحل تطور الفن القديم في العمارة الفرعونية".

ولا يمكن أن تغادره دون الاستمتاع بعروض الصوت والضوء الساحرة في المساء، وتقدم شرحا وافيا عن المعبد، وكذلك طريق الكباش على جانبي طريق الوصول لمدخل الكرنك، وهي تماثيل أشبه بتمثال أبوالهول، ويعتبر هذا الطريق من أشهر المزارات السياحية.

ولا تكتمل المتعة في البر الشرقي إلا بزيارة معبد الأقصر والذي شيد لعبادة الإله آمون رع، وهو الإله الذي عبده الفراعنة وتم تشييده في عهد ملوك الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وأمر امنحتب الثالث بإنشاء معبد الأقصر ليؤكد نسبه للإله آمون وأحقيته في العرش.

وتنتقل بعد ذلك إلى البر الغربي من النيل، والذي يرمز لحياة الخلود واختاره الفراعنة، حيث تغرب الشمس عنده، لذلك قاموا ببناء مقابرهم هناك، والتي تعج بالكنوز والأسرار.

ويروي غيورافلف لـ"العرب" "فن العمارة في البر الغربي، وتحديدا معبد الملكة العظيمة حتشبسوت لا يمكن أن يفارق ذاكرتك، ومقبرة توت عنخ آمون وغيرها من مقابر الأسر الفرعونية الحاكمة".

وبعد زيارة تلك المعالم تنطلق ذهبيات النيل العائمة إلى أسوان وتشعر وكأنها تشق طريقها نحو عصور الحضارة الفرعونية بعد رحلتي البر الشرقي والغربي.

وفي الطريق إلى أسوان تكتمل متعتك مع المبيت ليلة في الذهبيات النيلية في حضرة معبد كوم أمبو الذي تم إنشاؤه في عهد البطالمة على يد بطليموس السادس لعبادة الإله سوبيك وحورس، ولم تنته زخرفة المعبد إلا في العصر الروماني، وكان يعبد فيه اثنان من الآلهة في آن واحد، وتتميز رؤوس الأعمدة بزخرفة خاصة على شكل زهرة اللوتس.

وتتوج الرحلة بزيارة معبد أدفو، والذي يعود إلى العصر البطلمي، وهو من المعابد التي تكاد تكون كاملة دون سرقة. ويكتمل الاستجمام بقسط من الراحة في جزيرة فيلة، وهي جزيرة في وسط نهر النيل، وكانت حصنا من الحصون القوية في جنوب مصر، فهي تفصل نهر النيل إلى قناتين متقابلتين في محافظة أسوان، وأصبحت من أشهر المزارات السياحية.

وكان يوجد فيها معبد فيلة الذي تم تفكيكه وتجميعه مرة أخرى على جزيرة "إغيليكا" بعد بناء السد العالي في عهد الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر.

رحلة تجمع الشمال بالجنوب والشتاء بالصيف

الاستمتاع بجولة بحرية محاطة بطبيعة خلابة

وتتواصل الرحلة إلى عمق مدينة أسوان في جنوب مصر، وهناك معبد أبوسمبل وهو من أفضل المواقع الأثرية، ويضم اثنين من الصخور الضخمة، في غرب بحيرة ناصر على مسافة 290 كيلومترا جنوب غرب محافظة أسوان، وتطلق منظمة اليونيسكو اسم آثار النوبة على المنطقة من أبوسمبل إلى فيلة.

ويفضل السياح من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا واليابان والصين وهولندا وروسيا السياحة النيلية، وتسعى الحكومة المصرية لتنظيم رحلات مباشرة تبدأ من القاهرة إلى أسوان عبر نهر النيل، بدلا من بدء الرحلة من الأقصر إلى أسوان.

وقال إيهاب عبدالعال عضو غرفة شركات السياحة، لـ"العرب"، إن الرحلة النيلية من الأقصر إلى أسوان تستغرق 15 يوما، ويمكن زيارة جميع المقاصد السياحية في محافظات مصر التي تقع على نهر النيل.

وأوضح عبدالعال أن عدد الفنادق العائمة في مصر يصل لنحو 290 فندقا، يعمل منها فقط 20 فندقا في الأقصر بسبب تعثر السياحة النيلية مؤخرا، ما أدى إلى تهالك الكثير من الفنادق وحاجتها إلى تجديدات تتطلب مبالغ كبيرة تفوق قدرة أصحاب الذهبيات.

وأكد سطوحي مصطفى رئيس جمعية مستثمري أسوان، أن حركة السياحة النيلية تشهد انتعاشة حاليا، ويتجاوز حجم الإشغالات الفندقية نحو 70 بالمئة.

وأشار مصطفى لـ"العرب" إلى أن سعر الرحلة النيلية من أسوان إلى الأقصر والعكس يتوقف على درجة ونوع الفندق أو المركب وهو يتراوح بين 60 دولارا إلى 120 دولارا.

وتندرج السياحة النيلية تحت مظلة السياحة الثقافية، لكن الاهتمام خلال الفترات الماضية منح أولوية للسياحة الشاطئية، والتي تمثل نحو 85 بالمئة من حجم السياحة المصرية.

ولفت باسم حلقة نقيب السياحيين، لـ"العرب"، إلى أن ازدهار السياحة النيلية يتطلب التأمين الكافي على ضفاف النيل، وإقامة مراسي حديثة في المدن المطلة عليه، ومواجهة ظاهرة "شحوط" المراكب (الفنادق العائمة)، وهي اصطدام المراكب بقاع النيل في وقت انخفاض منسوب المياه.

وأضاف أنه من ضمن المعوقات أيضا، ارتفاع الرسوم التي تحصل عليها وزارة الري، حيث يدفع الفندق الواحد نحو 55 دولارا في اليوم، سواء كان يعمل أو متوقفا.

وأعلنت وزارة النقل الانتهاء من إعداد خرائط إلكترونية مرتبطة بالأقمار الصناعية، لترشد الفنادق العائمة للسير في المناطق العميقة من خلال جهاز تتبع في كل فندق، ما يقضي على الظاهرة.

ومرجح أن يضاف الاهتمام بالسياحة النيلية إلى الأنواع الأخرى من السياحة التي بدأت تدب فيها الحياة بمصر.

عين العالم على العاصمة التونسية كوجهة مميزة في 2019

❑ **تونس** – تضمن ترتيب أفضل الوجهات السياحية الذي ينشر كل عام من قبل صحيفة نيويورك تايمز الأميركية، هذا العام العاصمة التونسية.

ونصحت الصحيفة الباحثين عن وجهات سياحية مميزة بأن تكون هذه المدينة التي احتلت المركز السابع والعشرين من مجموع إثنتين وخمسين مدينة حول العالم، مقصدهم لسنة 2019.

وأشارت إلى مجموعة من المعالم الأثرية والحضارية التي تتمتع بها تونس: مثل قرطاج والمدينة العتيقة ومساجدها العريقة، بالإضافة إلى جمال شارع الحبيب بورقيبة وقيمته الرمزية ومواقعها السياحية وعلى رأسها سيدي بوسعيد.

وتقع مدينة تونس شمال الجمهورية التونسية، وتتميز بموقعها البري والبحري الممتاز، فهي تقع على حافة بحيرة تونس المطلة على البحر المتوسط، فجغرافيا هذه المدينة تخول لها أن تتبوأ مكانة متميزة على خارطة السياحة.

كما أن العاصمة تزخر بتنوع سياحي كبير، فهي تتمتع بمواقع ومؤهلات تنعش بها سياحة المؤتمرات والسياحة الثقافية والترفيهية والعلاجية.

وكان لافتتاح مدينة الثقافة العام الماضي، والتي جمعت العالم في مدة وجيزة من مختلف محبي الفنون والثقافة بكل أصنافها، فضل في لفت الأنظار أكثر للعاصمة التونسية.

وتستقبل تونس العاصمة على مدار السنة زوارها من مختلف الجنسيات ضمن برامج سياحية بعضها تفرضه روزنامة مهرجانات دولية كمهرجان قرطاج الدولي، وهو من أشهر المهرجانات بتونس يجمع بين الموسيقى الشرقية والغربية، وأخرى غير مرتبطة بوقت تمنح السائح حرية التجول بين مواقع شيدت عبر تعاقب حضاري كبير.

ولا يمكن للسياح مثلا أن يفوتوا على أنفسهم فرصة الاستمتاع بزيارة سيدي بوسعيد (ضاحية سياحية تقع 20 كم في شمال شرق تونس العاصمة)، في كل فصول السنة وتجربة سياحة اليخوت التي تشتهر بها، وأيضا زيارة قصر البارون درلنجاي الذي أصبح اليوم مقرا لمركز الموسيقى العربية والمتوسطية، ويحتوي هذا القصر الذي شيده أحد الأثرياء الأوروبيين كتعبير عن حبه لمدينة سيدي بوسعيد على متحف به العديد من الآلات الموسيقية التونسية.

إلى جانب تعدد الفضاءات الترفيهية مثل الكازينوهات التي تقدم الألعاب والعروض الفنية والمكملات الهامة للتنشيط الموضوعة لخدمة الزبائن من أفراد ومجموعات وعائلات.

ومهما كانت الفترة التي يختارها السائح لقضائها في تونس فمن المؤكد أنه سيكون موزعا نهارا بين زيارة المتاحف ومن بينها متحف باردو الشهير الذي يقع بقصر يرجع بناؤه إلى عهد البايات خلال القرن التاسع عشر ويضم أكبر مجموعة من الفسيفساء الرومانية في العالم، أو قاعة عرض أو القيام برحلة، وأثناء الليل سيحلو له التنقل بين النوادي والملاهي أو حضور سهرة فنية مع الموسيقى الشرقية أو الغربية، كما يمكنه التمتع بما توفره المطاعم من مأكولات شهية.

ويمكن للسائح أيضا التجول بشوارع المدن وبأحيائها التجارية العصرية أو بالمدن العتيقة لاقتناء ما يحلو له من مواد ومنتوجات تذكارية.

وشهدت تونس العاصمة أيضا ارتفاعا ملحوظا في زيادة الطلب على سياحة المؤتمرات بفضل الزيادة في عدد الفنادق الفاخرة، بالإضافة إلى توفير تونس كل الشروط لنجاح المؤتمرات والتظاهرات الدولية مثل القاعات والتجهيزات.

ويتوقع وزير السياحة التونسي، روني الطرابلسي، أن تستقطب تونس العام الحالي 9 ملايين سائح، في ظل تطور الأسواق السياحية والحجوزات نحو تونس. وتابع "سنركز العمل على استقطاب السياح في الفترة الشتوية نحو المناطق الصحراوية".

تونس تستعيد عافيتها تدريجيا

الرغبة في قيادة السيارة أقوى من تركها للقيادة الذاتية

سباق الشركات يتجاهل رغبة التحكم الغريزية التي قد تبقي القيادة الآلية ترفا فائضا عن الحاجة

سلام سرحان
صحافي عراقي

❑ تنهمك كبرى شركات صناعة السيارات وعمالقة التكنولوجيا، في سباق محموم منذ سنوات، في تطوير تكنولوجيا القيادة الذاتية، وهي تحاول رسم آفاق ساحرة عن متعة ركوب سيارات دون عجلة قيادة تنقل المسافرين إلى حيث يشاؤون في أقصى درجات الراحة والرفاهية.

لكن يبدو أن تلك الشركات تتجاهل حقيقة أن أعدادا هائلة من البشر يعشقون قيادة السيارات، وقد يكون من الصعب اقتناعهم بالتخلي عن تلك المتعة وتسليم قيادة السيارة إلى التكنولوجيا الذاتية.

وتشير الدراسات النفسية إلى أن رغبة الإنسان بالتحكم في المعدات التي تؤثر على حركته وشعوره بالأمان من الهواجس الإنسانية العميقة، وهي تكاد تكون غريزية وتولد لديه شعورا مريحا.

ولو تأملنا تجاربنا الشخصية سنجد أن معظم الأشخاص الذين يجيدون سياقة السيارات، يرغبون في تولي قيادتها لو أتيح لهم ذلك، حين يكونون مسافرين في سيارة يقودها شخص آخر.

ورغم استثمار مئات مليارات الدولارات لا تزال القيادة الذاتية للسيارات في مهدها وبعيدة جدا عن الاستخدام الواسع رغم التجارب الكثيرة التي أجرتها الشركات، بل وطرحها للاستخدام في بعض بقاع العالم مثل سنغافورة والولايات المتحدة.

ورغم أن التجارب أكدت أنها يمكن أن تكون أكثر أمانا من القيادة البشرية، إلا أن الحوادث التي وقعت في تلك التجارب والتي كان بعضها مميتا، فجّرت الكثير من فقاعات وبريق مستقبل القيادة الآلية.

وقللت الكثير من التقارير من تأثير دخول تكنولوجيا غوغل حيّز الاستخدام الفعلي من خلال شركة "ويمو وان" في مدينة فينكس في ولاية أريزونا الأميركية، حيث تم تشغيلها كسيارات تاكسي، خاصة أنها لا تزال بحاجة إلى إشراف سائق مستعد للتدخل عند الضرورة، أي أن مستوى الثقة فيها لا يزال محدودا.

ويستبعد تقرير نشرته صحيفة الغارديان عن توقعات الانعطافات التكنولوجية في العام الجديد، أن يُحدث استخدام السيارات ذاتية القيادة أي تغيير يذكر في المنظور القريب وربما في البعيد أيضا.

وتشير الصحيفة إلى وجود مدرستين في تقدير التقدم الذي أحرزته تكنولوجيا السيارات ذاتية القيادة. وتوضح أن الأولى تقول إن هذه التقنية اكتملت بنسبة 99.9 بالمئة وأنها ستكون جاهزة تماما خلال وقت قريب. ويعني ذلك أن السيارات سيصبح بإمكانها أن تقود نفسها بأمان في أي موقف.

ويرى أنصار هذا الفريق أن تحقق ذلك سيحدث تغييرات كبيرة وسريعة في واقع الحياة ويؤدي إلى بدء اختفاء وظائف قيادة السيارات، التي تعد أكبر مصدر لفرص العمل في العالم. كما سيؤدي إلى إعادة تشكيل خارطة المدن حين يصبح السفر على الطرق أكثر أمانا يوما بعد يوم.

وترى المدرسة الأخرى أن إكمال نسبة 0.1 بالمئة المتبقية لإحكام كفاءة تلك التكنولوجيا هو أصعب من كل ما تم إحرازه حتى الآن. ويقول أنصارها إن القيادة الذاتية سوف تحتاج إلى سنوات طويلة لقطع الخطوة الصغيرة الأخيرة.

ويعتقدون أن تلك التقنية ستبقى لسنوات في المنطقة الرمادية وستعمل بما يكفي لإدامة التجارب مع وجود سائق للتحوط والتدخل عند الطوارئ لتستمر الاختبارات والتمويل، لكنها لن تصبح جيدة بما يكفي لتتحول إلى منتج تجاري ذي جدوى اقتصادية واضحة.

وتقول صحيفة الغارديان إن كلا الرأيين المتباعدين قد يكونان على حق. فالسيارة الجيّدة بنسبة 99.9 بالمئة يمكن أن تكون جيدة بما يكفي لتشغيلها كسيارة تاكسي مثلما حدث في تجربة ويمو، وهي شركة منافسة لخدمة تطبيق أوبر لنقل الركاب.

ويبدو أن المثير في هذه التجربة يقتصر على كونها مثيرة للاهتمام والفضول كتجربة جديدة، فهي على سبيل المثال ليست أرخص من خدمات سيارات الأجرة الأخرى إضافة إلى أنها لا تزال تعاني من خلل وارتباكات في تقديم الخدمة بسبب الحذر الزائد حين تصل إلى تقاطعات الطرق.

> تكنولوجيا القيادة الذاتية ربما اكتملت بنسبة 99.9 بالمئة لكنها قد تحتاج لسنوات طويلة لقطع الخطوة الصغيرة الأخيرة

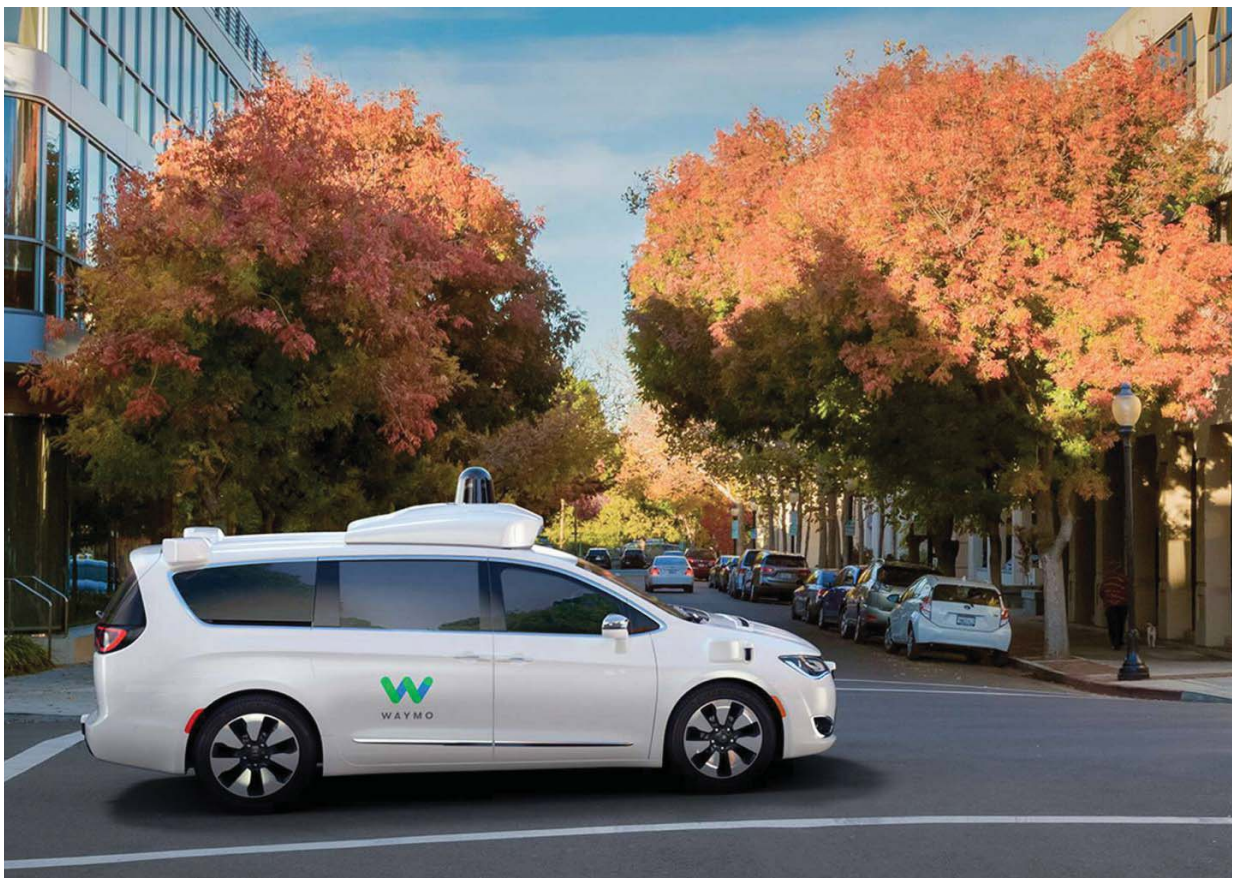

طرح السيارات الآلية لا يعني أنها ستقتطع حصة كبيرة من حركة السيارات في الشوارع

وقد شهد العالم في السنوات الماضية الكثير من الابتكارات التكنولوجية التي بدت مبهرة عند الإعلان عنها لأول مرة لأنها لم تجد طريقها إلى الاستخدام اليومي المتكرر وتراجع بريقها بعد وقت قصير.

وعلى سبيل المثال تعاني مبيعات الهواتف الذكية من التراجع في السنوات الأخيرة، رغم أنها تضيف كل عام مزايا جديدة، يبدو لأول وهلة أنها ستخطف اهتمام المستخدمين، لكنهم سرعان ما يكتشفون أنهم ليسوا بحاجة إليها وأن أجهزتهم القديمة تؤدي الوظائف الأساسية التي يحتاجونها في الحياة اليومية. ويتساءل اليوم كثيرون عن العواقب المستقبلية للإفراط في تبني الحلول التكنولوجية، وبضمنها التي اخترقت حياتنا بالفعل مثل الإفراط في استخدام الهواتف الذكية، الذي أصبح يصنف أحيانا كظاهرة سلبية على حياة الأفراد وخاصة الأطفال.

بل إن بعض الدراسات أصبحت تحذّر من اختلالات كبيرة في حياة الشعوب قد تؤدي إلى زعزعة الأمن والاستقرار.

ويرى بعض المحللين أن شركات السيارات تبدو مجبرة على دخول سباق تطوير تكنولوجيا القيادة الذاتية، دون وجود أفق واضح لتحويلها إلى منتج تجاري قابل للتسويق خلال وقت قريب، وذلك بسبب خشيتها من أن تجد نفسها متخلفة عن الركب في حال نجاح تلك التكنولوجيا خاصة في ظل المنافسة الشرسة في القطاع.

وتشير خلاصة الآراء المتقاطعة بشأن القيادة الذاتية للسيارات إلى أنها قد تحدث تغييرا في طبيعة الحياة ولكن ذلك قد يستغرق وقتا طويلا وربما طويلا جدا لتقتطع حصة مؤثرة من أعداد السيارات في الشوارع.

وقد تتعرض لارتدادات كبيرة حين تعصف بها غريزة التحكم البشرية وحب الكثيرين لسياقة السيارات، فتتحول إلى ترف فائض عن الحاجة بعد تبديد الشركات لمئات المليارات وربما تريليونات الدولارات دون القبض على الجدوى التجارية.

ثورة مايكرو أل.إي.دي تفتح آفاقا بلا حدود لصناعة الشاشات

مرونة غير مسبوقة في مساحات الشاشات لتغطية الجدران والسطوح حسب الطلب

فوجئت الأوساط التكنولوجية بانقلاب كبير في سباق تطوير الشاشات الفائقة الوضوح بعودة تكنولوجيا أل.إي.دي بحلة جديدة لمنافسة شاشة أوليد (أو.أل.إي.دي) التي اعتقد الخبراء قبل عامين أنها وضعت سقفا يصعب اختراقه في دقة الوضوح وعرض الألوان.

❑ **لاس فيغاس (الولايات المتحدة)** - فجّرت شركة سامسونغ مفاجأة من العيار الثقيل بالكشف عن ابتكار تقنية جديدة في صناعة الشاشات، قالت إنه سيحدث ثورة في مجال أجهزة التلفزيون وشاشات الأجهزة الإلكترونية.

وأطلقت سامسونغ على التقنية الجديدة اسم "مايكرو أل.إي.دي" والتي عرضتها خلال مشاركتها في معرض الإلكترونيات الاستهلاكية (سي.إي.أس 2019) في مدينة لاس فيغاس الأميركية.

وتتضح أهمية الابتكار الجديد في بجائزة "أفضل ابتكار في المعرض، والذي يعد من أكبر المعارض والمنصات العالمية، التي تتسابق الشركات والمبتكرون لعرض أحدث إبداعاتهم فيه".

وقالت الشركة الكورية الجنوبية إن الابتكار يعتمد تقنية جديدة تختلف عن شاشة أل.إي.دي السابقة، حيث ستتكون الشاشات من وحدات أصغر يمكن ربطها معا لتعطي مرونة أكبر في تشكيل أحجام مختلفة من شاشات التلفزيون والأجهزة الإلكترونية.

وأضافت سامسونغ في منشور على موقعها الإلكتروني أن تقنية مايكرو أل.إي.دي الثورية الجديدة، سمحت لها بصناعة تلفزيون فريد وأطلقت عليه اسم الجدار "ذي وول" والذي تبلغ مساحته 219 بوصة.

واستقطب الجهاز الهائل الحجم اهتمام الجمهور والخبراء والمتخصصين. كما عرضت شاشة جديدة قياس 75 بوصة وعددا آخر من الشاشات بأحجام وأشكال مختلفة.

وسرعان ما أكد الخبراء أن تقنية مايكرو أل.إي.دي الجديدة سوف تكون منافسة قوية لتقنية أوليد، التي كان يعتقد على مدى العامين الماضيين أنها وضعت سقفا مرتفعا يصعب اختراقه في دقة الوضوح وعرض الألوان.

وأشاروا إلى كونها قابلة للتصميم بأحجام غير مختلفة لم تكن مألوفة في الماضي لتناسب مساحات الغرف وحسب رغبة الزبائن، إلى جانب كونها أفضل دقة وضوح وتباين في الألوان بسبب كونها مؤلفة من صمامات ثنائية باعثة للضوء متناهية في الصغر.

وقالت سامسونغ إنها تمكنت بفضل التقنية الجديدة من تقديم جهاز تلفزيون بقياس 75 بوصة يدعم تقنية 4 كي، إلى جانب وحدات صغيرة يمكن ربطها بالأعداد التي يرغب بها المستخدم.

ويمكن من خلال ذلك تكوين أي حجم للشاشات وبنسب الأبعاد المطلوبة سواء كانت 16:9 أو 21:9 أو حتى العرض البانورامي الفائق بنسبة 32:9.

ويسمح كون وحدات شاشات مايكرو أل.إي.دي عديمة الحواف بتقديم شاشات هائلة المساحة من خلال جمع شاشات متجاورة تنسجم في وظيفة واحدة لتبدو وكأنها شاشة واحدة. ويقول موقع "وات واي فاي" المتخصص في تقييم المنتجات التكنولوجية، إن تقنية مايكرو أل.إي.دي تشبه تقنية أوليد، لكن شاشات أوليد تعتمد الصمامات العضوية.

لكن التقنية الجديدة تعتمد صمامات أل.إي.دي غير العضوية لكن بأحجام أصغر كثيرا من السابق وبمعدل 3 صمامات في كل بيكسل. ويعني ذلك أنها تضم عددا أكبر من الصمامات التي يمكن إضاءة وإطفاء كل منها بشكل منفصل، الأمر الذي يتيح درجة أعلى من وضوح الصورة والألوان.

وكانت هذه التكنولوجيا قد عرضت لأول مرة في معرض لاس فيغاس للإلكترونيات الاستهلاكية في العام الماضي، لكن سامسونغ لم تقدم منتجات عملية قابلة للتسويق.

لكن العام الحالي شهر عرض العديد من الشاشات الجاهزة لدخول الأسواق وتغيير خارطة الطلب على الأجهزة الإلكترونية.

ويتوقع محللون أن يعطي الابتكار شركة سامسونغ، التي تعد من أكبر منتجي الشاشات والتلفزيونات، زخما جديدا قد يدفعها بعيدا في الصدارة، لحين ظهور تقنية منافسة، وهو أمر غير مستبعد في ظل الوتيرة المتسارعة للابتكارات التكنولوجية.

> أهمية شاشات مايكرو أل.إي.دي تتضح في فوزها بجائزة أفضل ابتكار في معرض لاس فيغاس للإلكترونيات

مساحات غير محدودة من الشاشات حسب الحاجة

تمارين تقوية المعدة لا تكفي وحدها للتخلص من دهون البطن

اختلال الهرمونات مسؤول عن مناطق توزيع الدهون

كشف خبراء التغذية واللياقة البدنية أن ممارسة مجموعة من التمارين المخصصة لتقوية المعدة لا تكفي لوحدها لإذابة الدهون العالقة فيها وهي تساعد فقط في زيادة مرونة عضلات البطن، بينما تظل هناك طبقة من الدهون عالقة لا يمكن التخلص منها إلا باتباع بعض الخطوات الأخرى.

❑ **لوس أنجلس** – أثبتت الدراسات أن اختلال هرموني الأستروجين والتستوستيرون مرتبط بمناطق توزيع الدهون داخل الجسم وأن العمل على إعادة التوازن الهرموني وتناول الأطعمة الصحية وممارسة الرياضة، بشكل منظم، عوامل أساسية للحصول على بطن قوية وخالية من الدهون.

وعرضت خبيرة اللياقة البدنية جيليان مايكلز بعض النصائح والإرشادات للتخلص من دهون البطن، وشددت على ضرورة التركيز على اتباع نظام غذائي صحي وممارسة الرياضة المناسبة.

وأشارت المدربة الشخصية الأميركية إلى أن الكثير من السيدات يفضلن إجراء تمرين الطحن أو تمرين المعدة للتخلص من دهون البطن، إلا أن هذه التمارين وحدها لا تكفي، فعلى الرغم من أن هذه التمارين تعمل على تقوية عضلات البطن، إلا أنها لا تكفي وحدها للحصول على قوام ممشوق.

وأكدت جيليان مايكلز على ضرورة إجراء التمارين الرياضية التي تعمل على حرق السعرات الحرارية، وبالتالي يتم إذابة الدهون الموجودة فوق العضلات، علاوة على التركيز على عدة نطاقات للعضلات بالجسم في نفس الوقت.

وإلى جانب التمارين الرياضية المناسبة نصحت الخبيرة الأميركية بتجنب الضغط والإجهاد والتوتر العصبي مع الحرص على أخذ قسط كافٍ من النوم واتباع نظام غذائي صحي.

وأضافت جيليان مايكلز أن توازن الهرمونات في الجسم يلعب دورا مهما للتخلص من دهون البطن، حيث يجب الحفاظ على مستوى الصحيح لهرمون الإستروجين، لأنه يساعد على التخلص من الدهون. علاوة على أن الهرمونات تحدد الموضع الذي تتجمع فيه الدهون، حيث تظهر الدهون لدى الأشخاص، الذين يعانون من ارتفاع مستوى التستوستيرون، في منطقة البطن.

ووجد باحثون من جامعة سانفورد بالولايات المتحدة الأميركية أن اختلاف مناطق تراكم الدهون في الجسم هو أمر وراثي. كما تبيّن في دراسات أخرى أن الجينات تلعب دوراً هاماً للغاية في ما يتعلق بعلاقة كل فرد بالشبع. فالأشخاص الذين، بسبب خلفيتهم الجينية، يميلون إلى الأكل أكثر من غيرهم، يعانون من تراكم الدهون في منطقة البطن أكثر من غيرها.

> المدربون يوصون بضرورة إجراء التمارين الرياضية التي تعمل على حرق السعرات الحرارية، وبالتالي يتم إذابة الدهون الموجودة فوق العضلات

وقد حدد موقع "هيلث لاين" الأميركي، بعض الخطوات التي تساعد في التخلص من دهون البطن، وفقاً لأحدث الأبحاث والدراسات التي أجريت في هذا الشأن ومنها:

– تجنب السكريات: السكريات غير صحية البتة، وتُظهر الدراسات أن لها تأثيرات سلبية على حرق السعرات الحرارية في الجسم، إذ يتكون السكر من الفركتوز والغلوكوز. ويتم تمثيل الفركتوز غذائياً عبر الكبد، وعند زيادته في الدم يتحوّل إلى دهون تتراكم في البطن والكبد، ما يؤدي إلى مقاومة إفراز الأنسولين، وبالتالي زيادة السكر في الدم، ومشاكل أخرى تتعلق بالتمثيل الغذائي للطعام. أما بالنسبة إلى المشروبات المحلاة، فهي أشد خطورة من السكريات الصلبة؛ لأنها تزيد من خطر الإصابة بالسمنة بنسبة 60 بالمئة، خاصة لدى الأطفال. وبالنسبة إلى السكريات الموجودة في الفاكهة فهي أنفعها، لأنها تخفف الآثار السلبية للفركتوز، إذ أن الكمية التي نحصل عليها من الفاكهة قليلة جداً، مقارنة بالسكريات المكررة.

– زيادة تناول البروتين: البروتين من أهم الأطعمة التي يجب تناولها عند بدء أي حمية غذائية، لأن تناوله يساعد على تجنّب زيادة الوزن، إذ يقلّل من السعرات الحرارية المستهلكة يومياً، لنحو 441 سعرة. وعليه، فإن الأطباء ينصحون بتناول البيض والأسماك والبقوليات والمكسرات واللحوم والألبان كأفضل مصادر للبروتين. كما يُنصح بطهي الطعام بزيت جوز الهند لأنه قليل السعرات الحرارية.

– تقليل الكربوهيدرات: عند تقليل الكربوهيدرات أو منعها يفقد الفرد شهيته، وبالتالي ينخفض وزنه، إذ يقلل من وزن الماء في الجسم ويظهر الفرق سريعاً على الميزان. وطبقاً للبحوث العلمية، فإن الحمية الغذائية منخفضة الكربوهيدرات تستهدف دهون البطن والكبد، وينصح فيها الأطباء بتناول 50 غراماً منها يومياً. ويتواجد هذا العنصر الغذائي بكثرة في الخضراوات الغنية بالنشا، مثل البطاطا والذرة والحبوب ومنتجاتها كالخبز. كما يوجد أيضاً في جميع الحلويات والمخبوزات المُصنعة.

– زيادة الألياف الغذائية: الألياف الغذائية مادة غير قابلة للهضم، لكن تناولها يساعد بنسبة كبيرة على إنقاص الوزن، إذ يزيد من الشعور بالشبع لفترات طويلة، لأنها تتواجد في القناة الهضمية لوقت أطول وبالتالي فهي تبطئ من حركة الطعام في الجهاز الهضمي، وتزيد من امتصاص العناصر الغذائية الموجودة في الطعام. ووجدت الدراسات أنه عند تناول 10 غرامات من الألياف القابلة للذوبان يومياً، فإن السعرات الحرارية تنخفض بنسبة 10 بالمئة، لذلك، هي تساعد على فقدان الوزن على مدى 4 أشهر، بمقدار 2 كيلوغرام. وفي دراسة أخرى استمرت 5 سنوات، تم التوصل إلى وجود علاقة بين تناول 10 غرامات من الألياف القابلة للذوبان بتقليل دهون البطن بنسبة 3.7 بالمئة. أما مصادر الألياف الجيدة فهي: الخضروات الورقية والفاكهة والبقوليات والحبوب الكاملة، فضلاً عن وجود مكملات غذائية في شكل كبسولات تحتوي على الألياف الغذائية.

– ممارسة الرياضة بانتظام: هذه الخطوة تعدّ من أفضل العادات التي يتبعها الفرد لتحقيق صحة أفضل وتجنب الإصابة بالأمراض والسمنة. وأثبتت الدراسات أن ممارسة الرياضة بانتظام مثل المشي والركض والسباحة لمدة 6 أسابيع تقلل من دهون البطن، وتمنع زيادتها مرة أخرى.

وينصح خبراء موقع "تسينتروم دير غيسوندهايت" الألماني بالمشي أو القيام بنشاطات رياضية ولمدة لا تقل عن 30 دقيقة يومياً لتجنب زيادة في الوزن. وعند القيام بنشاطات رياضية تتجاوز 60 دقيقة يومياً، سيبدأ الجسم بحرق الدهون ومن ثم يقلّ الوزن.

كما يقول كريس سلينتز، اختصاصي في الطب الرياضي بالمركز الطبي بجامعة ديوك بمدينة دورهام بولاية نورث كارولينا "إذا كنت تعاني من زيادة الوزن أو البدانة إلى حد ما وتريد أن تتخلص من الدهون سواء كانت دهون البطن أو الأحشاء أو الكبد فإن تمارين الأيروبيك أفضل من تمارين المقاومة". ونشرت دراسته في المجلة الأميركية المتخصصة في علم وظائف الأعضاء والغدد الصماء والأيض.

قام سلينتز وفريقه بتقسيم الرجال والنساء الذين تتراوح أعمارهم بين الـ18 والسبعين إلى 3 مجموعات، المجموعة الأولى هي مجموعة تمارين الأيروبيك وتضم الذين يمارسون المشي على جهاز للجري (دواسة كهربائية) موضوع على سطح منحدر. وحددت لهم مهمات خلال مدة أسبوع، تعادل الركض لمسافة 12 ميلا (19 كلم تقريبا) بحيث يصل معدل ضربات القلب لديهم إلى نسبة 80 في المئة من الحد الأقصى لضربات القلب. والمجموعة الثانية فهي مجموعة تمارين المقاومة التي تمارس ثلاثة أنماط من التمارين على أجهزة رفع الأثقال من 8 إلى 12 مرة لثلاث مرات أسبوعيا. وجمعت المجموعة الثالثة بين هذين النوعين من التمرينات. واستمرت الدراسة على مدى 8 أشهر.

توازن الهرمونات يلعب دورا مهما في التخلص من دهون البطن

وكانت المجموعة التي مارست تمارين الأيروبيك هي المجموعة التي تخلصت من أكبر قدر من دهون المعدة. كذلك كانت المجموعة الثالثة التي جمعت بين التمرينين معا أكثر مجموعة تخلصت من كمية كبيرة من دهون البطن حيث كان معدل التخلّص منها أكبر من معدل المجموعة التي مارست تمارين الأيروبيك فقط لكن معدل تخلّصها من دهون المعدة أقلّ من معدل المجموعة التي مارست تمارين الأيروبيك فقط.

وكان أقلّ معدل تخلّص من دهون البطن من نصيب المجموعة التي مارست تمارين المقاومة فقط. كما فقدت قدرا من دهون ما تحت الجلد لكنها اكتسبت قليلا من دهون المعدة.

> الكثيرات يفضلن إجراء تمرين الطحن أو تمرين المعدة للتخلص من دهون البطن، إلا أن هذه التمارين وحدها لا تكفي

وذكر سلينتز أن تمارين الأيروبيك أفضل تمارين للتخلص من دهون البطن لأنها تساعد في حرق المزيد من السعرات الحرارية بصورة تفوق تمارين المقاومة.

– معرفة نوعيات الطعام في كل وجبة: إن اتباع الحميات الغذائية مهم لإنقاص الوزن، لكن يجب عدم تقليل العناصر المهمة في الوجبات، بحيث تكون متوازنة. وأكدت الدراسات أن الحصول على وجبات صحية، وحساب السعرات الحرارية فيها، ومقارنتها بتلك التي يجب على الفرد الحصول عليها يومياً، يحقق المعادلة في الحفاظ على التوازن الصحي وعدم زيادة الوزن. كما حذرت دراسة أميركية من مخاطر قلة الأكل وتناول كميات أقل من الوحدات الحرارية، فجأة، لاعتبارها تساهم في زيادة الدهون المكدسة في البطن في المدى البعيد. وأضافت الدراسة أن التقليل من محصول الوحدات الحرارية يزيد خطر التعرض لأمراض القلب والشرايين. علماً بأن هذه الدراسة تشير إلى أن هذه المشاكل تحصل لدى التقليل من كمية الوحدات الحرارية بشكل مفرط كما يحصل لدى اتباع حميات صارمة.

وخلال الفترة الأولى من اتباع حمية صارمة، لوحظ لدى المشاركين في الدراسة انخفاض في الوزن، لكن مع ظهور آثار جانبية عديدة، كتراجع معدل العضلات وارتفاع معدل ضغط الدم وتسارع في دقات القلب، وغيرها من المشكلات التي زالت بمجرد العودة إلى نظام غذائي متوازن.

تجدر الإشارة إلى أنّ دراسة دولية سابقة كانت قد توصلت إلى أن زيادة الدهون في منطقة البطن لدى الرجال والنساء، مرتبطة بارتفاع معدلات ضغط الدم الذي يقود إلى مضاعفات صحية خطيرة. وكانت دراسة أخرى قد كشفت أن زيادة الدهون في منطقة البطن لدى كبار السن، ترتبط بخطر الإصابة بضعف الإدراك، وانخفاض الوظائف المعرفية. ويقود ضغط الدم المرتفع إلى مضاعفات صحية خطيرة أبرزها الأزمات القلبية والذبحة الصدرية والسكتات الدماغية، والإصابة بقصور في عمل الكلى، بالإضافة لتسمم الحمل، والإصابة بالعمى نتيجة تلف أنسجة العين.

الرياضة رحلة بلا مساحيق

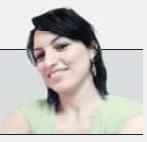

سمية قيزاني
صحافية تونسية

❑ تحرص الكثير من النساء والفتيات على استخدام مساحيق التجميل، حتى عند التأهب للذهاب إلى قاعات الرياضة. فيستمتعن بالتقاط الصور، أثناء التدريبات، وهن يجهلن إلى أي حد يبلغ ضرر تلك العادة.

تساعد ممارسة التمارين الرياضية الجسم على التخلّص من السموم عبر عملية التعرق. وعند بذل الجهد ترتفع حرارة الجلد وتتسع المسام لإفراز أكبر قدر ممكن من العرق الذي يسرع التبريد والعودة إلى درجة حرارة الجسم الطبيعية. لإنجاح كل هذه العملية، يوصي مدربو اللياقة بالحفاظ على البشرة نظيفة وخالية من أي موانع للتعرق. لكن هوس النساء بمساحيق التجميل يعرقل هذا المسار.

فقد أفاد تقرير، نشر بموقع الصحيفة الفرنسية لوفيغارو، أن مساحيق التجميل تمنع الجلد من التعرق بشكل سليم، وقد تتسبب بذلك، في ظهور البثور.

وتوضح إليزابيت باريول، أخصائية الأمراض الجلدية بأنه نتيجة للجهد البدني، تتسع المسام وتسمح بدخول المكوّنات الكيميائية الموجودة في مساحيق التجميل إلى الجلد.

أما الدكتورة هايدي وولدورف، طبيبة أمراض جلدية في نيويورك، فتشدد على أن المكياج والرياضة لا يجتمعان، لجهة أن الجلد يتفاعل بشكل سيء جدا مع مزيج المكياج والعرق.

كما تتفق الدكتورة بريتي دانيال، المديرة الطبية في عيادة أطباء لندن، مع كل من وولدورف وباريول وتؤكد أن العرق والزيوت التي تفرزها البشرة بصورة طبيعية يمكن أن يسدا المسامات، فيزيد ذلك من نموّ الجراثيم والبثور، ما يجعل الأمر يبدو أكثر سوءا. وانسداد هذه المسامات بأي شيء فوق البشرة مثل مكياج من الليلة الماضية أو جزئيات ملوّثة من الجو، قد يؤدي إلى طفح جلدي.

وقد نبه تقرير نشر بموقع "نت دكتور" البريطاني، إلى أنّ الوضع قد يصل إلى "الدخنية" وهي عبارة عن بثور صغيرة مثيرة للحكة تظهر على البشرة، نتيجة لعدم السماح بتنفس البشرة.

ولتفادي ذلك توصي الطبيبة دانيال بإزالة أي مكياج على الوجه قبل الشروع في التدريبات، مفضلة استخدام مطهر مخصّص للبشرة على قطعة من القطن وتنظيف الوجه بها كما لفتت إلى أنه من الأفضل الاستحمام أو غسل الوجه بعد ممارسة الرياضة للتخلص من أي عرق أو أوساخ، واستخدام قناع الطين ومقشر ومرطب للبشرة.

لكن رغم كل التحذيرات، يصعب إقناع المهووسات بالمكياج بالتخلّي عن كل مستحضرات التجميل خلال حصة الرياضة. وتصبح المهمة أكثر مشقة عند استحسان الفتيات لما تقوله نجماتهن المفضلات عن "ضرورة" استخدام المكياج طوال الوقت. وهو ما أفصحت عنه النجمة الأميركية كيم كارداشيان وخبيرة تجميل النجوم، شاروت تيلبوري، عندما تحدثتا عن "فوائد" النوم بمساحيق التجميل.

وفي النهاية، ربما يتعيّن استيعاب أن الرياضة رحلة استمتاع ليست كباقي الرحلات التي تتطلّب التزين والتجمل والتسريح والتصنع. هي جولة تجمل أجسادنا وتخلصها من شوائبها وسمومها وآلامها. ولقد أكدت الكثير من الدراسات أن للتدرب المنتظم قدرة كبيرة على نحت جسد جميل وسليم ومتوازن وبشرة نضرة وحيوية. وإلى اليوم، لم ينجح أي دواء في إطالة أعمار الناس وحمايتهم من الأمراض مثل ما تفعل الرياضة، حيث أثبت الباحث جورج مامن، من جامعة تورونتو الكندية، في دراسة نشرت له حديثا، أن ممارسة التمارين الرياضية باعتدال تمنع حصول نوبات الاكتئاب على المدى الطويل. تعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها لأنها تركز على الدور الذي تؤديه الرياضة في الحفاظ على الصحة النفسية ومنع ظهور الاكتئاب في مراحل متقدمة من الحياة. وقد أتت هذه الدراسة في وقت، كان يبحث فيه الأطباء عن بديل للأدوية المكافحة للاكتئاب، وأثبتت أن التمارين الرياضية تستطيع تخفيف أعراض المرض، إلى حد كبير. وهو ما أكدته دراسة أخرى، أجرتها جامعة بيرن السويسرية، عندما توصل القائمون عليها إلى أنّ التمارين الرياضية لها نفس تأثير الأدوية المضادة للكآبة. كما اتضح أن التدرب باستمرار وسيلة فعّالة لتقليل حدة الاكتئاب، وهي بمثابة مكمل أو بديل عن الدواء في حالة الإصابة بالمرض.

هروب رياضيين شباب في المنافسات الدولية.. فقدان أمل أم خيانة ثقة

مستقبل الأبطال المحترفين ذوي الإنجازات لا يختلف عن السواد الأعظم للشباب المغاربة

أصبح هروب اللاعبين الشباب المغاربة خلال المشاركة في المنافسات الدولية أو المعسكرات التدريبية الخارجية، ظاهرة مقلقة تهدد مستقبل الرياضة في هذه الدول وخصوصا المغرب، لكن الحد من هذه الظاهرة غير ممكن دون ضمان مستقبل الرياضيين الذين يشتكون من أوضاع مالية واجتماعية سيئة رغم أنهم مازالوا في فترة الشباب والعطاء.

رويدة رفاعي
صحافية سورية

ترتبط النجومية الرياضية والمشاركة في المنافسات العالمية في أي ميدان من ميادين الرياضة، بأذهان الشباب بالمال والشهرة والمجد، وتحقيق حلم لا يستطيع الملايين الوصول إليه، لكن هذه الصورة أبعد ما تكون عن الواقع بالنظر إلى عدد الأبطال الرياضيين المغاربة الذين لجؤوا إلى الهروب خلال البطولات الدولية أو المعسكرات التدريبية الخارجية.

مسألة هروب الرياضيين تحولت في السنوات الأخيرة إلى ظاهرة شائعة ومألوفة في أفريقيا عموما ومنها الدول المغاربية؛ حيث يفضل العشرات من الأبطال المغامرة بالهجرة غير النظامية إلى خارج البلاد فرادى أو جماعات، ويتصدر اللائحة الطويلة أسماء معروفة لرياضيين من كلا الجنسين.

ويجد بعض الرياضيين الفرصة سانحة لاستغلال البطولات الدولية في الهروب بطريقة غير قانونية في ظل الأوضاع المالية السيئة.

ولا تقتصر الظاهرة على المغرب، حيث هربت لاعبة من بعثة الجزائر المشاركة في دورة الألعاب المتوسطية في إسبانيا، العام الماضي، وفي 2017 عادت البعثة الإيرانية التي تضم مسؤولين من اتحاد اللعبة ورياضيين محترفين، من فنلندا إلى العاصمة طهران من دون المتزلج علي رضا مقديد، بعد المشاركة في بطولة العالم للتزلج.

وكان اللاعبون العراقيون علي عباس وعلي منصور وعلي خضير قد غادروا الفندق الذي ينزل به المنتخب العراقي بسيدني قبل ساعات من موعد عودتهم إلى العراق من تصفيات الآسيوية المؤهلة لدورة الألعاب الأولمبية في بكين 2008.

> تهميش الأبطال المغاربة وعدم تقديرهم ماليا يجعلهم ينتظرون أول فرصة للهروب خارج الوطن بحثا عن فرص جديدة

وتعدّ إسبانيا ملاذ الرياضيين المغاربة للهروب، والأمثلة تعد ولا تحصى في هذا المضمار، ففي 2005، عندما كان المغرب يشارك في ألعاب البحر الأبيض المتوسط بإسبانيا، قرر حميد بن حمو، بطل ألعاب القوى الهروب من القرية الأولمبية (منطقة تواجد الوفود المشاركة بالبطولة). وبعدها بساعات اختفى 4 أبطال من بعثة "الكاراتيه"، من بينهم فتاتان.

ويضاف إلى ذلك، العديد من الحالات الأخرى لهروب الرياضيين في إسبانيا، والحادثة الصادمة كانت بفرار ثلاثة ملاكمين من معسكر المنتخب المغربي في عام 2015، عند الاستعداد لبطولة أفريقيا التي كانت ستحتضنها آنذاك الدار البيضاء في أغسطس من نفس السنة والمؤهلة للألعاب الأولمبية بريو دي جانيرو 2016.

أجور متدنية

قال أحد الملاكمين من داخل معسكر أسود الملاكمة أن ظروفا صعبة يعيشها الملاكمون المغاربة دفعتهم إلى الهروب، موضحا أن الأجر الشهري للملاكم الواحد ضئيل للغاية 3000 درهم مغربي (الدولار الأميركي يساوي 10 دراهم) ولم يحصلوا عليه منذ مدة.

وأضاف أن مصروف جيب العناصر المتواجدة بشيفلد لم يتعد 450 درهما لقضاء فترة 10 أيام، مبرزا أن العناصر التي اتخذت قرار الفرار من المعسكر الإعدادي تعدّ من أهم الأسماء المعوّل عليها لحجز بطاقات التأهل إلى أولمبياد ريو 2016.

وفي يناير 2018، وبينما كان المنتخب المغربي لكرة اليد، يستعد للبطولة الأفريقية، في إحدى المدن الإسبانية، تفاجأ الجميع، بغياب كل من هشام بوركيب، لاعب مولودية مراكش، ويوسف الطماح، لاعب نادي وداد السمارة، ليتأكد هروبهما، ويعود المنتخب من دونهما.

فرصة للفوز أو الهرب

وفي يونيو الماضي، قالت اللجنة الأولمبية المغربية في بيان لها إن ثلاثة من الرياضيين المشاركين في دورة ألعاب البحر المتوسط في إسبانيا اختفوا عن الأنظار مما شكل صدمة للبعثة.

وغادر لاعب التايكوندو إبراهيم بورقية بطل المغرب في وزن أقل من 68 كيلوغراما القرية المتوسطية دون إذن مدربه أو أعضاء البعثة المغربية تاركا جواز سفره وأمتعته. وسبقه المصارعان المغربيان أيوب حنين وأنور طانغو قبل خمسة أيام بعد تسلم جواز السفر إذ كان من المقرر أن يخضعا لفحص طبي قبل الاختفاء.

وأشارت اللجنة الأولمبية المغربية إلى أن هذا التصرف "أثار استياء جميع أفراد البعثة المغربية في دورة الألعاب المتوسطية لأنه يمس من صورة المغرب".

وبرر أيوب وأنور مغادرة القرية المتوسطية عبر فيديو انتشر على مواقع التواصل الاجتماعي، "بغياب الاهتمام المالي" وعدم الاستفادة من التدريبات في المركز الدولي للمصارعة بمدينة الجديدة.

من جهته، أكد فؤاد مسكوت رئيس الجمعية الملكية المغربية للمصارعة أن "ظاهرة 'الحريك' التي تتم من حين لآخر في بعض التظاهرات الدولية التي تشارك فيها البلاد، لا تخص فقط الرياضيين المغاربة، بل تتعلق أيضاً بلاعبين محسوبين على منتخبات عدد من البلدان العربية".

واعتبر مسكوت أن " قرار الهروب من القرية الأولمبية بإسبانيا، الذي اتخذه ثلاثة أبطال مغاربة في رياضة المصارعة والتايكواندو، قرار غير بريء، حيث لم يستبعد احتمال وجود تنسيق مسبق بين هؤلاء الرياضيين وبعض الجهات التي سهلت عليهم عملية الهروب".

وتكررت وقائع الاختفاء مع ثلاثة من الرياضيين التونسيين بنفس المنافسات. حيث صرح سامي القصريني مدير رياضة النخبة وممثل وزارة شؤون الشباب والرياضة في تونس، أن عدد الرياضيين التونسيين الذين لجؤوا إلى الهجرة غير الشرعية انطلاقا من الأراضي الاسبانية بلغ ثلاثة عناصر.

وأوضح القصريني الذي رافق البعثة إلى إسبانيا، أن البعثة التونسية تفاجأت بتعمد لاعب الجمباز وسيم الحريزي الفرار وهو بصدد القيام بالعمليات الإحمائية حيث استشار مدربه للذهاب لقضاء حاجة بشرية ليغيب بعد ذلك عن الأنظار. وفي أغسطس، أقدمت مريم بوحيد لاعبة المنتخب الوطني المغربي النسوي لكرة القدم، على الهروب ومُغادرة بعثة الفريق الوطني في إسبانيا، بعد إسدال الستار على المشاركة في دوري كوتيف ألكوديا الدولي.

وتوّجهت بعثة الفريق الوطني إلى المطار للعودة للمغرب، وفور وصولها لم تعثر على بوحيد التي اختفت عن الأنظار، ما تسبب في حالة من الهلع وسط أعضاء البعثة.

وفتحت الجمعية المسؤولة تحقيقاً حول كيفية حصول اللاعبة على جواز سفرها، كما تم إخبار السفارة المغربية بإسبانيا بذلك، بينما انقسم الناشطون على مواقع التواصل الاجتماعية بين مشجّع للفكرة ومعارض لها.

وأثارت هذه الحوادث التي يطلق عليها المغاربة اسم "الحريك" في صفوف الرياضيين المغاربة على هامش مشاركتهم في منافسات دولية، استياء عميقا لدى الجمعيات الرياضية المعنية بظاهرة هروب لاعبي منتخباتها الوطنية من معسكرات التدريب الدولي، كما فتحت باب النقاش حول واقع الرياضة في المغرب ومدى قدرته على تحقيق طموح اللاعبين على الصعيد المادي والاجتماعي، لثنيهم عن اللجوء لأندية غربية تضمن لهم ظروف أفضل.

ولم يعد قلق القائمين على الشأن الرياضي المغربي مقتصرا فقط على تحقيق النتائج الإيجابية في مختلف المنافسات والتظاهرات الدولية، التي تقام خارج المغرب، بل أصبحت تتعداها لمخاوف من هروب اللاعبين جماعيا أو فرديا.

ولا يقتصر هروب الرياضيين فقط على الألعاب الأقل شعبية، كالمصارعة والملاكمة وفنون الحرب، التي تعاني ضعف الإمكانيات، وضعف المردود المالي بالنسبة إلى رياضييها في المغرب، بل باتت تشمل أيضا لاعبي ولاعبات كرة القدم والمنتخبات الوطنية.

وقال الملاكم أشرف خروبي (بطل أفريقيا في الوزن الخفيف)، إن غياب الاهتمام والدعم المادي هما العاملان الأساسيان، اللذان يدفعان اللاعبين إلى اقتناص فرصة المشاركة في فعاليات دولية، من أجل الهجرة غير النظامية نحو الخارج.

وأضاف "تهميش الأبطال المغاربة وعدم تقديرهم ماليًا يجعلهم ينتظرون أول فرصة للهروب خارج الوطن، خاصة في أوروبا، بحثًا عن فرص جديدة، أو عيش كريم".

واعتبر أن "حلم الهجرة أصبح أكبر من حلم الاحتراف الرياضي، وذلك عندما يغيب الاهتمام بالرياضيين، ولا يعكف المسؤولون على مساعدتهم على المستوى الاجتماعي". ولم يُبد خروبي تفاؤلا بالحد من الظاهرة في ظل الظروف الراهنة وقال "لن يتم الحد من هروب الرياضيين إلا إذا قام المسؤولون بتوفير جميع شروط وظروف الممارسة لتأهيلهم للاحتراف، والمشاركة في بطولات تعود عليهم بالنفع المادي".

واقع محبط للرياضيين

وأيّد محمد داوود، المسؤول في الاتحاد المغربي للتايكواندو، ما صرّح به بطل الملاكمة، واعتبر أن انتشار ظاهرة الهروب وسط الرياضيين المغاربة يعتبر أمرا عاديا؛ نتيجة للظروف الاجتماعية الصعبة التي يعاني منها حوالي 90 بالمئة من نجوم الرياضة في البلاد.

وأضاف "يجب التفكير منذ الآن في صيغ لمنح مكانة اعتبارية للأبطال؛ فلا يمكن أن يخوض البطل 200 يوم، في معسكر إعدادي، ويشارك في تظاهرات دولية، ويفوز بأربع بطولات أفريقية متتالية، وتطالبه باجتياز مباريات التوظيف شأنه شأن باقي المتبارين".

وأكد على أنّ "الرياضي كالجندي يقاتل ويغامر من أجل الوطن؛ لذلك علينا أن نمنحه مكانة خاصة وأن نعطيه الأمل في المستقبل".

لا تختلف آراء المشجعين والجمهور عن آراء اللاعبين والمحترفين حول حالة الإحباط التي يعيشها قطاع الرياضة إجمالا في دول المغرب العربي، ويبرر الكثير منهم هروب الرياضيين في قوارب الموت، رغم الحوادث الكثيرة التي دفع خلالها رياضيون حياتهم ثمنا للمحاولة وكان آخرهم البطل المغربي في رياضة الكيك بوكسينغ، أيوب مبروك.

وبعد ما يقارب الشهرين من وفاته في رحلة للهجرة السرية من المغرب نحو إسبانيا، أعادت السلطات الإسبانية جثة مبروك إلى بلاده، إلى جانب جثة مهاجر سرّي آخر قضى في الرحلة ذاتها.

واعتبر متابعون أن أيوب مبروك، عنوان فاجعة انقلاب قارب للهجرة السرية كان يقل أكثر من عشرين شابا مغربيا.

ولا يتجاوز عمر مبروك 21 سنة، وحاصل على بطولة المغرب في رياضة الملاكمة لثلاث مرات، وكان مثله الأعلى بدر هاري الذي أصبح من أشهر الملاكمين في العالم، قبل أن يقرّر بشكل مفاجئ وسري الهجرة إلى أوروبا عبر "قوارب الموت".

وقصّت عائلة مبروك تفاصيل رحلة تقفّي أثره بعد هجرته سرا، حيث تعرفت عليه أمه عبر صورة جثته، التي تناقلتها وسائل الإعلام الإسبانية، قبل أن يغمى عليها وتنقل إلى المستشفى، دون أن تستوعب حجم الكارثة.

وكانت "رحلة الموت"، التي انقلب خلالها قارب المهاجرين السريين المغاربة في السواحل الإسبانية، قد عرفت بفاجعة "لوس كانوس"، حيث كشفت وسائل إعلام إسبانية صورا لضحاياها، ما مكّن عائلات "الهاربين" من التعرّف على جثث أبنائها.

وعلق الشاب محمد الطالبي على هذا الواقع قائلا، "ماذا تنتظر من شباب مهمشين من قبل المسؤولين، يرون مستقبلهم الفاشل في بلدهم أمام أعينهم، فرغم ما حققوه من بطولات وإنجازات، إلا أن المستقبل مظلم وتذهب تضحياتهم أدراج الرياح مع تقدّمهم قليلا بالعمر".

وأضاف في تصريح لـ"العرب"، "روح هذا الشاب وأمثاله من الأبطال في رقبة المسؤولين الفاسدين الذين قتلوا روح المبادرة عند الشباب، يجهضون آمالهم ويزرعون الإحباط ويكرّسون البؤس والكآبة لقتل روح المبادرة فيهم".

ويعتبر المدافعون عن فكرة هروب الرياضيين أنّ من بين أسوأ ما يعيشه الشباب هو افتقادهم لحياة كريمة، والرياضي الذي يضحي بمسيرته هو واحد من الذين يعيشون مقابل ضمان هذه الحياة الكريمة، ويتمنون أن يلقوا رعاية وعناية خاصة من المسؤولين عنهم رياضيا، حتى إن البعض قرر أن يتخلّى عن جنسيته بسبب فقدانه لمتطلباته سواء كانت مادية أو معنوية.

ويرى عبدالجبار شكري الباحث في علم النفس والاجتماع، أن مبررات الهروب "الحريك" في صفوف الأبطال الرياضيين، ترتبط بثلاثة عوامل أساسية، هي البحث عن تحقيق الاكتفاء الذاتي المادي والبحث عن المعاملة الجيدة والراحة النفسية وبلوغ الطموح الذي يتطلع له الرياضيون على مستوى الممارسة الاحترافية.

> هروب الرياضيين الشباب لا يقتصر على الألعاب الأقل شعبية، كالمصارعة والملاكمة وفنون الحرب، بل باتت تشمل أيضا كرة القدم والمنتخبات الوطنية

جمال المرأة يشعل معركة مزايدات عنصرية في الجزائر

خديجة بن حمو تعيد إسقاط السمروات من مقاييس الجمال إلى الواجهة

صابر بليدي
كاتب جزائري

الأمر لا يتعلق بعرق أو موضة بل يتعلق بتصورات عن الجمال

❏ انتقادات ونظرات استياء كثيرة طالت الشابة خديجة بن حمو بعد فوزها بلقب ملكة جمال الجزائر لسنة 2019، والسبب أنها سمراء البشرة.

احتدم الجدل عبر هاشتاغ "ملكة جمال الجزائر"، الذي قسم المغردين إلى فريقين، اعتبر أحدهما بن حمو غير جديرة بلقب "ملكة الجمال" وطالب بإعادة تنظيم المسابقة، فيما استنكر الفريق الآخر الانتقادات التي طالت الشابة واعتبرها دليلا على نظرة المجتمع الدونية تجاه سكان الجنوب وذوي البشرة السمراء.

ورغم أن ملكة جمال الجزائر قد قدمت درسا مهما في وقت أصبحت فيه عمليات التجميل هي القاعدة العامة في المجتمعات. فبدلا من تغيير شكلها ليتماشى مع المقاييس المادية للجمال، خيرت الإبقاء على شكلها لتغير مقاييس النظرة المادية لجمال المرأة، لكن يبدو أنه من الصعب أن يغلب الطبع التطبّع.

ويكشف هذا الحدث عن خلفيات اجتماعية ما زالت ضاربة بجذورها في عمق الثقافة الجزائرية، رغم أن النساء الجزائريات يعتقدن أنهن اجتزن الكثير من العقبات في حياتهن اليومية، ومنحن سبيلا للتعامل مع أجسادهن بشكل جديد.

ويمكن للتصورات الاجتماعية عن الجمال أن تجعل البعض من النساء يواجهن التمييز واتجاهات فكرية سلبية في مجتمعاتهن، بالإضافة إلى تعرضهن للاضطهاد المعنوي وأعمال العنف في بعض الأحيان.

اختلالات فنية وقيمية

بدا ذلك جليا في كمّ الشتائم والخطابات التقريعية التي تعرضت لها حمو على منصات التواصل الاجتماعي ليس سوى لأنها حصلت على تاج رَآه البعض لا يليق بها لأن بشرتها سمراء، خاصة لأن المجتمع تعوّد على رؤية صورة نمطية معينة من الجمال الجسدي تقريبا في الحياة العامة، ولم يستطع أن يستوعب التغيير الذي أحدثته الفتاة الجنوبية، ما كشف عن نظرة عنصرية متأصلة في جميع الثقافات العربية والغربية.

إلا أنها ما زالت أكثر حدّة في المجتمعات العربية لأن الجمال يرتبط دائما بالمرأة البيضاء الممتلئة، وفي مناطق مثل الجزائر يحمل أيضا سمات قبائلية، فالمرأة القبائلية تعرف بأنها الأجمل وليس هناك "سمر" في القبائل، فالأسمر أو السمراء يعني أنه من أصول أفريقية (عبيد)، هذا كله يحدد ردة الفعل التي قد تظهر دون وعي، هي ردة فعل العقل المجتمعي الباطني أساسا، فهذا الجدل أبان عن اختلالات فنية وقيمية في المجتمع الجزائري، تنم عن ذهنية لم تستوعب خروج اللقب من نمط ومدن معينة، وعن بوادر أزمة اجتماعية خطيرة تجلت في خطاب عنصري وتمييزي بين شباب البلد الواحد، وفي صراع جهوي بين مناطق الوطن الواحد.

وغذّت المنشورات والتعاليق المشحونة بعبارات العنصرية والتمييز والتعالي، شبكات التواصل الاجتماعي، بعد ذهاب اللقب ولأول مرة في تاريخه إلى شابة من محافظة أدرار في عمق الصحراء الجزائرية، الأمر الذي أثار نعرات جهوية طفت في صفحات كثيرة على منصات التواصل الاجتماعي.

واستغل ناشطون إسلاميون الموقف للدخول على خط السجال، ليتشعب بين رافض لتتويج بن حمو بسبب افتقادها لمعايير الجمال ولبشرتها السمراء، وبين مدافعين عنها كونها أول فتاة من الجنوب تتمكن من المنافسة واختراق دوائر ظلت محتكرة من طرف سكان ومدن الشمال.

وصرح الناشط المستقل محاد قاسمي، من مدينة ورقلة الجنوبية، في اتصال لـ"العرب"، بأنه بغض النظر على الصراع الأيديولوجي، ومن مع إقامة هذا النوع من المسابقات أو ضدها، فإن الفتاة خديجة نجحت في تحقيق اختراق كبير جدا لفعاليات ظلت محتكرة من طرف جهات جغرافية معينة، وسيحسب لها كونها تمثل منطقة معينة من البلاد، تبقى في نظر قطاع معتبر من النخب المثقفة والسياسية والإعلامية مصنفة في إطار معين، وأن نجاحها في هذه التظاهرة سيسهم في إعادة ترتيب بعض الأحكام النمطية بما فيها الجمال النسوي".

ولفت قاسمي إلى أن رفض تتويج بن حمو بالمسابقة وليد ميولات عاطفية تمييزية ليست لها علاقة بمعايير المسابقة أو الجمال، بل وليدة نظرة عميقة تجاه البشرة السمراء.

وأضاف "هذا الجدل المحتدم حول التشكيك في جدارة فتاة من أدرار بلقب ملكة جمال البلاد، يؤكد صدق الرسالة التي حملناها منذ سنوات لإعادة ترتيب الكثير من المسائل بين الشمال والجنوب، تتويج خديجة بهذا اللقب يعتبر إضافة نضالية لجدارة وكفاءة أهل الجنوب في مختلف المجالات، وسيكون حافزا لتحقيق اختراقات أخرى".

وشدد على أن اجتهاد بن حمو هو سلوك نضالي لتعديل نظرة قديمة ومساهمة في مصالحة مجتمعية بين الجميع وتمتين لأواصر الوحدة الوطنية.

أوجه كثيرة للجمال

تتعرض مسابقات ملكات الجمال منذ السبعينات من القرن الماضي إلى انتقادات كثيرة من قبل الحركات النسوية، التي تنظر إلى هذه المسابقات على أنها تمتهن المرأة وتحط من كرامتها، بسبب عدم تشجيعها على التنوع في صورة جسدها، وفرضها لائحة صارمة تحوّل أجساد المتباريات إلى نسخة طبق الأصل من قالب الجمال الذي تروّج له دون مراعاة لشخصياتهن الحقيقية وأدوارهن المتعددة في المجتمع.

وترى الإعلامية المتخصصة في الشؤون الفنية مريم والي أن "لجنة التحكيم أنصفت الجمال الصحراوي، وتتويج بن حمو بلقب ملكة جمال الموسم 2019، أعتقد أنه كان منطقيا قياسا بالمعايير الشخصية والجمالية، فالفتاة أظهرت جاذبية كبيرة وروحا خفيفة، فضلا عن تمتعها بملامح أنثوية وبعض التفاصيل الناعمة، إلى جانب الجسم الرشيق والخصر النحيل ونعومة الصوت والوجه البشوش والابتسامة الدائمة، وهي خصائص تؤهلها لافتك اللقب بجدارة.

وأضافت والي في حديثها لـ"العرب"، "الانتقادات التي أعقبت التتويج أماطت اللثام عن أحكام نمطية وتراكمات اجتماعية أضرّت بالأبعاد الفنية والقيمية، إذ تعود الكثيرون على اللون الأبيض والشعر الأصفر في اعتلاء منصات الجمال، بينما الجمال يحتفظ بأسراره في الكثير من التفاصيل والألوان الأخرى".

وتأسفت المتحدثة لما أسمته بـ"موجة الجدل والانتقادات اللاذعة بسبب البشرة السمراء، بينما غابت الموضوعية واحترام الأذواق، وحتى العفوية والجهود الذاتية للمنظمين الذين لم يعتمدوا التقنيات المحترفة ومخابر التجميل بسبب شح الإمكانيات، لم يتم أخذها بعين الاعتبار من طرف هؤلاء، ورغم ذلك جاء الترتيب منطقيا وكانت المتوجات قريبات جدا من الجمال الحقيقي غير المصطنع" .

ولفتت والي في خاتمة حديثها لـ"العرب" داحضة ما ذهب إليه علماء النفس بأن "ما هو جميل؛ فهو جيد بالضرورة"، إلى أن تتويج بن حمو بهذا اللقب فتح الباب لاكتشاف الجمال الظاهري والباطني للمرأة الصحراوية، وأن الفتاة ستكون سفيرة لإعادة ترتيب بعض المفاهيم والقيم في المجتمع الجزائري.

ملكة الظلام

شددت بن حمو ردا على منتقديها على أن "معايير اختيار ملكة الجمال تتجاوز الشكل الخارجي لتشمل الأخلاق والثقافة"، ويشار إلى أنها ستتفرغ أيضا للتحضير من أجل المشاركة في مسابقة ملكة جمال العالم.

وهذه الخطوة تأكد أن الفتاة السمراء ستخوض معركة جديدة خارج حدود بلادها تتجاوز إشكاليات الجهويات إلى محاولة التحرر من القيود الاجتماعية التي حادت بالمرأة العربية عن مسارها في معركتها الأزلية لافتكاك مكانتها الحقيقة في مجتمعاتها، إلى محاربة قوالب جاهزة تحاصرُ وجهها وجسدها وتفرض معايير جمالية تنفث من ثناياها سموم العنصرية والتمييز.

ولم تكن ملكة جمال الجزائر تعلم أنها على موعد مع العنصرية بدل الفرح بالتتويج، على الرغم من أنها ليست الشابة الأولى التي تحمل اللقب من صاحبات البشرة السمراء، فعدد من الشابات خضن صراعا عنيفا من أجل تحدي معايير الجمال المعروفة التي شغلت فيها البشرة البيضاء المركز الأول لعقود طويلة على مستوى إقليمي وعالمي.

وكانت أول امرأة سمراء البشرة تتوج بلقب ملكة جمال بريطانيا 2018 قالت "لقد أدركت أنني لم أفز بهذه الجائزة بصفتي دي-آن كنتيش روجرز فقط، ولكن بصفتي امرأة سوداء أيضا".

والمفارقة أن تتويج امرأة بريطانية داكنة البشرة وصف بأنه إنجاز عظيم، لكن لما توجت امرأة جزائرية بنفس اللقب عد ذلك كارثة عظمى.

واتخذت ناكويم غاتوشي من جنوب السودان وهي ملقبة بـ"ملكة الظلام" من موقع إنستغرام منصة لحث نظيراتها من صاحبات البشرة السمراء على كسر حاجز معايير صنعت على مقاس ذوات البشرة البيضاء، ونصحتهن بأن يحببن لون بشرتهن.

وجعلت غاتوشي من لون بشرتها شديد السواد يتماهى مع بقية الألوان من ثياب ومساحيق بشكل ساحر أعطى لصورها جاذبية وجمالا، والأهم متابعين، فصفحتها على هذا الموقع تحظى بعدد كبير منهم، على الرغم من نظراتهم الاستعلائية وكبرياء عنصريتهم المتأصلة.

> هناك الكثير من المهووسين بإقصاء كل مختلف غير معترفين بأن للجمال أوجها كثيرة وأن مكانة المرأة وقيمتها لا تحدد فقط وفق جمال شكلها الخارجي وبشرتها ناصعة البياض

وانتقدت في السنوات الأخيرة متسابقات من ذوي البشرة السمراء على نحو متزايد معايير الجمال بالمقاييس الأوروبية التي تفضل البشرة الفاتحة وانسيابية نسيج الشعر.

وتحدثت ملكة جمال الولايات المتحدة السابقة، ديشاونا بابر، عن التنوع الذي واجهته في المسابقات، وقالت إن ثمة حاجة تدعو إلى "تنوع مظهر ونسيج الشعر".

معركة بن حمو لم تبدأ بعد، فهي لئن اجتازت 20 جولة للفوز باللقب على مستوى محلي، فإنها ستواجه الكثير من المهووسين بإقصاء كل مختلف، غير معترفين بأن للجمال أوجها كثيرة، وأن مكانة المرأة وقيمتها لا تحدد فقط وفق جمال شكلها الخارجي وبشرتها ناصعة البياض، بل بالنظر إلى مجموعة من المعايير الأخرى وعلى رأسها ما تتحلى به من مؤهلات جمال خِلقية وخُلقية.

عائق في طريق النجاح

يبدو أن جمال المرأة الخلقي وليس الخلقي ما زال يمثل عائقا في طريق نجاحها واقتحامها لمجالات الحياة العامة، وفق ما يرى أستاذ علم الاجتماع رحاب مختار، الذي أكد أن الأحكام النمطية حول الجمال قد ترسبت في المخيال الاجتماعي الجزائري، كقيمة فنية وإبداعية، توحي بهيمنة الأمزجة الشخصية والميولات الذاتية حول تفاصيل معينة، بينما الأحكام الجمالية تخضع لمعايير معينة.

وأضاف مختار في حديثه لـ"العرب"، أن "مثل هذه التظاهرات تخضع لمقاييس معينة ومهما كانت حداثة التجربة في البلاد، فإن هناك حدا معينا من الأبجديات الأولية في العملية، ولأن المسألة تخضع لطابع نسبي، فإن تتويج الفتاة السمراء بهذا اللقب، يمكن ألا يرضي الجميع وهذا أمر طبيعي".

ولفت في خاتمة حديثه إلى أن الجدل القائم ينم عن ظاهرة اجتماعية لا يراد الاعتراف بها، وهي السلوكات والممارسات العنصرية والجهوية، التي طفحت إلى السطح بشكل مفاجئ عبر منصات شبكات التواصل الاجتماعي.

> خديجة بن حمو لم تكن تعلم أنها على موعد مع العنصرية بدل الفرح بالتتويج ملكة على عرش الجمال الجزائري

الجميلة والعنصرية

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

❏ ملأ فوز الشابة الجزائرية خديجة بن حمو دنيا السوشيال ميديا وشغل الناس في الجزائر وفي أنحاء مختلفة من العالم، وبدل أن يحوّلها التتويج بتاج الجمال إلى ملكة جمال حوّلها إلى هدف للهجوم على الإنترنت وأثار حولها جدلا واسعا، ومن جديد تطالعنا الحبكة المتقنة للسوشيال ميديا والمواقع الاجتماعية في تأجيج الرأي العام وتوجيهه وفق ما يخدم أجندات بعينها.

هذه المنصات سلاح ذو حدين صارت مكشوفة للعيان تحارب من جهة العنصرية وتصبغ أغلب الصفحات على شبكاتها العنكبوتية بصنوف التنديد بالسلوكيات والأفعال المدينة للعنصريين، لكنها في الآن ذاته تقع في فخ شرهها للأخبار المثيرة التي تجرّ روادها إلى النقد والثلب والسقوط من علياء مثالياتها الزائفة.

اعتلاء بن حمو عرش ملكة الجمال في الجزائر أزاح النقاب عن إرث عربي ضارب بجذوره في عمق الثقافة العربية بقطع النظر عن خصوصية العلاقات داخل المجتمع الجزائري، فعلاقة الجنوب بالشمال قضية محلية بامتياز لا يمكن الارتكاز عليها في تحليل ردود الفعل القاسية على الشابة السمراء.

الزوبعة التي انفجرت في وجه الفتاة العشرينية ضد شكلها الخارجي أحيت أمجاد أسلافها العرب الذين أحبوا اللون الأبيض الذي تخالطه صفرة وتغنّى شعراؤهم به في أشعارهم، لا للسمراء ملكة متوجة على عرش الجمال يعيد إلى الأذهان بعضا من كلمات امرؤ القيس "كبكر المقاناة البياض بصفرة.. غذاها نمير الماء غير المحلل"، لكن تغزلهم باللون الأبيض لم يعكس جمالا صارخا تتحلى به حبيباتهم، إذ يقول نخبة من الدارسين إن بعض محبوبات شعراء الجاهلية، لم يكنّ يتمتعن بجمال خارجي كبير.

كما أن العرب القدامى كانوا يركزون إلى جانب التغزل بالصفات الجسدية على أخرى معنوية شكلت جملة من المرادفات للخجل.. الحياء والخفر، وكذا العفة والفطنة، فالميل للناحية الشكلية لم يمنعهم عن إحداث صور نموذجية توازن بين الشكل والمضمون.

لم يكن ذنب بن حمو أن المشرفين على مسابقات ملكات الجمال في السنوات الأخيرة عادوا إلى هذا الإرث وبدأوا بالتركيز على شخصيات المتسابقات وثقافتهن ومستواهن العلمي، كسرا لصور نمطية ربطت شروط اعتلاء العرش بمقاييس جمال مخصوصة تهتم بالشكل الخارجي.

هذه الهالة الخارجية لا تساوي شيئا دون التسلح بحزمة من الشهائد العلمية والتشبع حتى النخاع بمشارب اللغات والعلوم وحمل مشعل كاريزما تتلون بشتى القراءات لثقافات مختلفة تستمد جذورها من الأخذ من كل شيء بطرف، ودون ذلك يسقط قناع الجمال أمام أول تمثيل فعلي للملكة في أول مناسبة دولية يتم استدعاؤها إليها.

انتزاع خديجة للقب وسط عدد من المرشحات اللاتي تتحلى من المؤكد بعضهن بجمال ظاهري صارخ جعلها في قفص الاتهام وجريرتها أنها غير جميلة! تجاوزت كل الجميلات إذن، ولم تتعثر إلا في جهل منتقديها.

كيف غاب عن الفيسبوكيين المتابعين لأشعار نزار قباني حين حرر بعضهم ردود أفعال حملت في طياتها عبارات مسيئة اتصفت بالعنصرية قوله "مكياج المرأة يجب أن يكُون مكياجا ثقافيًا لأحبّها، أنا لا أستَطيع أن أحتمِل امرأة جميلة وغبيّة".

الملكة السمراء اختارت في التصفيات أن تقف بكل شموخ دون أقنعة من المساحيق بشعر أشعث، وإن بدت في صور انتشرت مع تقارير على مواقع إلكترونية بشعر "مبسوط" ومكياج خفيف جميلة، لكن ما أهلها فعلا هو جمال داخلي زينه علمها وثقافتها، لتحين مع تعديل قصة "الجميلة والعنصرية"، وتكتب فيها فصول جديدة لثرثرة رقمية تمقت العنصرية وتباركها!

معاناة الأسرة من الإدمان زادت بتنوع المواد المحفزة عليه

البحث عن بدائل للاندماج الاجتماعي يوقع كثيرين تحت طائلة الإدمان

توسعت دائرة المواد المسببة للإدمان لتتجاوز المواد الكحولية والتدخين والمخدرات وتشمل السكريات ووسائل التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية والتسوق إلى درجة أصبح فيها أغلب أفراد المجتمع والأسرة الواحدة ضحايا للإدمان. ويلفت العلماء إلى أن الانفتاح في عالم التسويق والترويج وكثرة العوامل المحفزة والمثيرة للرغبة الشديدة إلى جانب فقدان الروابط الاجتماعية لقوتها التي تعطي معنى للحياة تقف وراء زيادة أعداد المدمنين في العالم.

خاضعات للرغبة في التسوق

❑ لندن – أصبح الكثير من الأشخاص في قبضة مجموعة واسعة من المواد المؤدّية إلى الإدمان، من السكريات إلى وسائل التواصل الاجتماعي والتسوق وغيرها وأصبحت التأثيرات السلبية للإدمان بارزة ومعروفة لدى غالبية الناس سواء على المستوى الشخصي من النواحي الجسدية والنفسية والعقلية والسلوكية أو على مستوى العلاقات الأسرية والاجتماعية.

وقدمت مفوضة الأطفال في المملكة المتحدة آن لونغ فيلد تقريرا حول تأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي على الشباب في أوائل العام 2018. وقالت فيه إنّ "بعض الأطفال أصبحوا مدمنين تقريبا على 'الإعجابات' كشكل من أشكال الإنجاز الاجتماعي". ولاحظت المفوضة في تقريرها أن الوصول إلى المواد المسببة للإدمان أصبح سهلا ومتاحا هذه الأيام، من السكريات والإنترنت إلى القمار والمخدرات، حيث أصبحت متوفرة أكثر مما كانت عليه في الماضي. هذا يعني أن المزيد من الناس أصبحوا تحت طائلة الإدمان.

وكانت المجتمعات تنظر إلى الإدمان على أنه اضطراب مرتبط بمواد يتم استهلاكها، مثل الكحول والمخدرات لكن عندما أصبحت لائحة المواد المسببة للإدمان أكثر اتساعا، لتشمل الحلويات والتسوّق ووسائل التواصل الاجتماعي تغيرت هذه النظرة، ومع هذا التطوّر، افتتحت هذه السنة أول عيادة لمعالجة إدمان الإنترنت في المملكة المتحدة، في إطار الخدمة الصحية الوطنية. وأدرجت منظمة الصحة العالمية إدمان الألعاب الإلكترونية ضمن لائحة أنواع الإدمان الرئيسية.

> الآباء يتعاملون مع أطفالهم المراهقين الذين يدمنون على وسائل التواصل الاجتماعي كما أنهم مدمنون على المخدرات

من الصعب التغاضي عن حقيقة أن العديد من عوامل الإثارة المحفزة على الإدمان متوفرة اليوم عبر لمسة لإحدى الشاشات الإلكترونية. وقد وجدت مؤسسة أديونشن الخيرية ضد الإدمان في دراساتها أن الآباء يتعاملون مع أطفالهم المراهقين الذين يدمنون على وسائل التواصل الاجتماعي كما أنهم مدمنون على المخدرات.

كما ظهرت لدى الآباء نسبة مماثلة من المعاناة عند مقارنة المخاوف المتعلقة بالألعاب الإلكترونية بتلك المرتبطة بالمخدرات.

ولا يتفق الجميع حول تحديد الاضطرابات السلوكية التي يمكن اعتبارها من مؤشرات الإدمان رغم تطابق معظم المعايير القياسية لتشخيص الإدمان. ويقول مايكل لينسكي، أستاذ متخصص في الإدمان بكلية كينجز كوليدج في لندن لصحيفة الغاردين البريطانية "إذا أصبح المراهق سريع الانفعال عند اختصار جلسة اللعب مثلا، فهناك نقاش حول ما إذا كان هذا نوعا من الإدمان".

واعتبرت أبحاث في مجال علم الأعصاب أن جميع أنواع الإدمان تتعلق بإفراز نفس المادة الكيميائية في الدماغ، وهي الدوبامين، التي تقود إلى الرغبة الشديدة التي لا يمكن كبتها. وقد أصبح العالم، في القرن الحادي والعشرين، يشهد مصادر كثيرة للمحفزات، خاصة من خلال حملات التسويق التي تعمل على أنظمة الدوبامين وجعلها "أكثر حساسية".

ويؤكد لينسكي، هذا الاستنتاج قائلا "لقد ازداد عدد المواد التي يدمن الناس عليها. فبالنسبة لجيل والدي، كانت الخيارات الوحيدة هي التبغ والكحول. الآن نجد المزيد من الأدوية المسببة للإدمان بسبب تركيبتها، إلى جانب تشجيع الاستخدام المطول لأشياء أخرى مثل الإنترنت".

وينظر إلى العديد من هذه الأنواع من الإدمان على أنها سلوكية أكثر منها جسدية، ولكن العواقب يمكن أن تكون خطيرة في الجانبين. ويعتبر القمار أطول إدمان سلوكي ثابت، وقد تم الاعتراف به طبيا منذ العام 2013 لأن معدلات الانتحار بين المقامرين المدمنين مرتفعة. وتقول الخبيرة الاستشارية في الطب النفسي هنرييتا جونز، "أرى الطلاب المقامرين الذين ينقطعون عن الجامعة لأنهم لا يستطيعون التوفيق بين إدمانهم وحياتهم الجامعية. وأرى أشخاصا مدمنين على التسوق يعانون من ديون كثيرة لأنهم لم يستطيعوا منع أنفسهم من شراء ثلاثة فساتين مختلفة مثلا. وفي النهاية تعاني عائلاتهم معهم".

وتضيف جونز إنّ الإدمان قد ينتقل أحيانا نحو مجالات أخرى، على سبيل المثال، "لقد رأيت مريضا يعاني من اضطراب نحو الألعاب، ثم تحول إلى إنفاق المال على الملابس. يمكنك تحويل السلوك الإدماني بطريقة أو بأخرى، وهذه حالة مرضية لا نعرف عنها الكثير في الوقت الحالي".

ووصف تيري روبنسون، الأستاذ في علم النفس وعلم الأعصاب في جامعة ميشيغان، مع زميله كينت بيردج، الدوبامين بأنه مادة كيميائية عصبية مسؤولة عن الرغبة الشديدة. ويعتقد أن مناقشة دلالات الإدمان أمر غير مفيد. ويوضح بيردج "سواء كان الأمر يتعلق بالعقاقير أو القمار أو أي شيء آخر، فأنت تنظر إلى اضطرابات بالتحكم في الدوافع حيث يواجه الأشخاص صعوبة في الامتناع عن الاستخدام المكثف لبعض المواد. هناك بالتأكيد أوجه تشابه من حيث الآليات النفسية والبيولوجية العصبية المعنية. أصبحت بيئتنا الحديثة محشوة بمحفزات لكن لا يقدّر الناس قوة الإشارات في توليد حالات تحفيزية".

من جانبه يوافق لينسكي، مضيفا أن "بعضا من التسويق وتصميم ماكينات القمار يعد خطوة متقدمة في ابتكار طرق لجذب المستخدمين وتعزيز الدوبامين لديهم". وزرّ "الإعجاب"، في وسائل التواصل الاجتماعي، هو مثال مشابه لذلك.

وتوجد نظرية أخرى حول عوامل تنويع السلوكيات المسببة للإدمان تنبع من سلسلة من التجارب التي أجريت في كندا في أواخر السبعينات من القرن الماضي والمعروفة باسم "رات بارك"، أين وجد عالم النفس بروس أليكساندر أن الفئران المعزولة في أقفاص فارغة مع خيار شرب مياه بسيطة أو مخدرة، أصبحت مدمنة على الهيروين بسهولة. أي أن السياق يقود إلى الإدمان، وليس الدواء وحده.

ويقول بروس إنّ "العالم الحديث يكسر جميع أنواع التقاليد والأديان التي جعلت الحياة متكاملة ومليئة في الماضي. علينا أن نعيد تركيبة المجتمع، مع التأكد من وجود اتصالات كافية للبشر مع بعضهم البعض حتى لا يحتاجوا إلى إيجاد بدائل للحياة في الإدمان". ويضيف أنّ المنظمات في المملكة المتحدة تبحث سبلا لتوحيد المدمنين في مجموعات وتزرعها في المجتمعات المحلية، لمساعدة هؤلاء الأفراد على إيجاد حياة ذات معنى.

ويعتبر الباحثون أن أفضل الحلول لعلاج الإدمان السلوكي تكون باستخدام العلاج السلوكي المعرفي للمساعدة في تجنب التحفيزات (على سبيل المثال، اتخاذ مسار مختلف إلى المنزل حتى لا تمر بمتاجر الملابس)، ومكافأة السلوك الجيد، وإعادة التأكيد والتذكير على ما يخسره الناس بسبب الإدمان. وقد ساعد التأمل بعض الأفراد على الحد من تعاطي المخدرات. وفي الواقع، وجد بعض المدمنين هذه الطريقة أكثر فعالية من العلاج السلوكي المعرفي.

بين والد عربي وطفله.. حديث المواربة

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

❑ "ما هذا الصدر المدهش؟".. كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل حين خرجت هذه العبارة من فم الوالد أمام طفله مثل هفوة في الزحام وهو يمسك بالريموت كونترول، ويقلّب بإبهامه المتشنّج ليستقرّ فجأة عند إحدى المحطّات "الجريئة" في غفلة من زوجته الغافية.. و"نوم الظالمين عبادة" كما يقول المثل الشعبي.

استدرك الأب هول زلّة لسانه وإبهامه أمام طفله الذي رفع بدوره رأسه مشرئبا ومستفسرا "بابا ماذا يعني الصدر المدهش؟ كيف تكون الصدور مدهشة دون غيرها.. قل لي بالله عليك يا أبي".

وهنا أدار والد الطفل بسرعة الخائف نحو محطّة "بريئة" كانت تعرض –وبالمصادفة– برنامجا عن عالم الحيوان ثمّ أجاب بارتجال لا يخلو من الارتباك "لا بابا إنّما كنت أقول متعجبا ما هذا الصقر المدهش.. انظر إلى جمال وشموخ هذا الصقر". لم ينه الأب حديثه في "جماليات الصقر" حتى انهال الطفل على والده المتحذلق بوابل من الأسئلة "ما فصيلة الصقور، أين تعيش، كم تعمّر، وممّ تقتات، كيف تتناسل، كم تنجب من الفراخ، كيف يعلّمونها الصيد؟" وهلمّ جرّا من تلك الأسئلة التي لا يمكن أن يتصدّى لها عتاة المتخصّصين في عالم الحيوان.

وهنا رفع الوالد الراية البيضاء مستسلما، وأوقف تيّار الأسئلة الجارفة بقوله "بابا، أنا كنت أقول: شو هالصدر! وليس شو هالصقر.. هيا التحق بسريرك غدا لديك دروس صباحية".

هكذا استجار الأب من لظى ورطته بنار المصارحة فكفى نفسه مشقّة المواجهة مع أسئلة طفل مربكة، يشك في عفويتها، ولكن، أين تتوقف حدود المصارحة لتبدأ هوامش المواربة؟

هذه الطرفة تلخّص مقولة أزلية مفادها أنّ حبال الكذب قصيرة وطرق الالتواء متوّهة بالضرورة.

أمّا الأسئلة التي تختفي وراءها فهي كثيرة وفي عهدة علماء الاجتماع والنفس وأخصّائيي التربية. لماذا عبّر الزوج عن إعجابه بهذه اللهفة في غفلة من زوجته وحضور ابنه، ولماذا اضطرّ للمواربة والكذب ثمّ التراجع عبر حجّة غير مقنعة؟ ولماذا لم يأو هذا الطفل "الغليظ" إلى فراشه حتى هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ وهل أنّ سؤاله كان بريئا؟ بل لماذا لم يعجبه من المحطّات غير هذه المحطّة؟

لكنّ السؤال الأهمّ هو لماذا تناقل الناس هذه الطرفة وتداولوها في عالمنا العربي دون غيره، ذلك أننا مازلنا نعتبر الجسد خطيئة والمجاهرة ورطة، والكذب تقية والمواربة حبل نجاة، أمّا المصارحة والمكاشفة فقد يكونان طريقا نحو ما لا يحمد عقباه.

ما زال الكثير من نقّادنا الكواسر يمتعضون من اعتماد الأسلوب المباشر في الأعمال الإبداعيّة، وكأنّها عيب فنيّ يجب إخفاؤه والاستعاضة عليه بالمواربة ومسك الأذن اليسرى باليد اليمنى.

ما أسهل أن تخفي وتتخفّى وما أصعب أن تعرّي وتتعرّى، ما أهون علينا أن نكتب قصيدة في الحب وما أشقّ أن نعيش الحب.

مازالت الكاميرا العربيّة ترتدي النقاب، وما زال الكتّاب يمسكون شخصياتهم بالقفازات. مازال المسرح العربي يختفي خلف أكثر من ستار وما زال القلم العربي يلبس بدلة السموكن ويكتب عن أطباق المناسف بالشوكة والسكين ويغمس ريشته في حبر ورديّ كاذب. بلغة أخرى، مازال المتلقّي العربي لا يستسيغ من اللكمات إلا تلك التي تأتيه من خلف قفاز حريري.

لماذا نسمّي الأشياء بغير مسمّياتها فتصبح الهزيمة نكبة، والنكبة نكسة والنكسة هفوة.. والصراع الطبقي عتابا طبقيا. لم تصبح المجتمعات المتقدّمة على ما هي عليه الآن ولم تتلوّن أكشاك جرائدها إلا بعد أن نزعت عنها عباءة التردّد والمواربة وكلّ الاستعارات اللفظيّة.. واختارت المباشرة البليغة وعدم استبدال كلمة "صدر" بـ"صقر".

حين تصبح المباشرة خيارا فنيّا وحياتيّا، هذا يعني أنّك قد نزعت عنك ثوب الخوف والتوجّس وجعلت من منشر غسيلك المتعدّد الصفوف حبلا واحدا تنشر فوقه كلّ الملابس الناصعة والمتّسخة.. وفوق ذلك كله، يفعل جيرانك مثل ما فعلت، فلا ينهون، عندئذ، عن منكر ثم يأتون بمثله.

يبدو أننا نحتاج إلى حوار طويل وشاق مع أنفسنا قبل إجراء نقاش قصير وبسيط مع أطفالنا.

طبق اليوم

خبيزة بالفلفل المجفف

*** المكونات:**
- حزمة كبيرة من الخبيزة.
- بصلة كبيرة.
- حبات من الثوم.
- بهارات مشكلة وفلفل أسود وملح.
- ملعقتان من الطماطم المعلبة.
- حبتين أو ثلاث فلفل أحمر مجفف حسب الذوق.
- كوب زيت زيتون.
- عصير ليمون حامض.
- حبة ليمون مقطعة لشرائح للتزيين.

*** طريقة الإعداد:**
- تنقى الخبيزة جيدا من الأوراق الصفراء والشوائب.
- تغسل الخبيزة المنقاة أكثر من مرة ثم تفرم فرما متوسطا.
- توضع الخبيزة في إناء وتغمر بالماء مع قليل من الملح ثم تترك على النار لتغلي حوالي خمس دقائق.
- تنزل من فوق النار ويتم تجفيفها جيدا.
- في إناء الطبخ يقلى البصل المفروم مع الزيت والطماطم جيدا.
- تضاف إلى البصل والطماطم كمية الخبيزة مع التحريك المتواصل.
- يقطع الفلفل المجفف إلى شرائح متوسطة ثم يضاف إلى الخليط فوق النار.
- تضاف بقية البهارات والثوم المفروم.
- تضاف إلى الخليط كمية قليلة من الماء الساخن لتمتزج الخبيزة مع بقية المكونات.
- يغطى الإناء ويترك على نار هادئة إلى أن تستوي الخبيزة.
- بعد أن تجف من الماء وتستوي يتم سكب الخبيزة المطهوة في صحون وتقديمها مع قطع من الليمون.
- تطبخ الخبيزة بطرق مختلفة وهذه الطريقة معتمدة أكثر في المطبخ المغربي، حيث يقبل الناس على تناول الخبيزة في فصل الشتاء كونها تعتبر من المواد الغذائية التي تمنح الجسم الطاقة والحيوية. كم تعرف بفوائدها الكثيرة في مقاومة نزلات البرد.

نصائح

العناية الصحيحة تحفظ رونق الكشمير

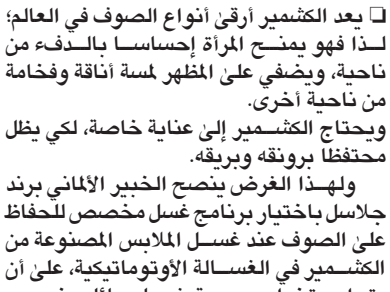

❑ يعد الكشمير أرقى أنواع الصوف في العالم؛ لذا فهو يمنح المرأة إحساسا بالدفء من ناحية، ويضفي على المظهر لمسة أناقة وفخامة من ناحية أخرى.

ويحتاج الكشمير إلى عناية خاصة، لكي يظل محتفظا برونقه وبريقه.

ولهذا الغرض ينصح الخبير الألماني برند جلاسل باختيار برنامج غسل مخصص للحفاظ على الصوف عند غسل الملابس المصنوعة من الكشمير في الغسالة الأوتوماتيكية، على أن يتم استخدام مسحوق غسيل سائل مخصص للصوف.

ويشير الخبير الألماني إلى ضرورة مراعاة الابتعاد عن مُنعِّم الملابس، كونه يترك آثارا على الكشمير ويؤثر على شعيراته.

وأضاف عضو الرابطة الألمانية في مواد العناية بالجسم ومساحيق الغسيل أنه بعد الغسل يتم تجفيف الكشمير بوضعه في المجفف في وضع الهواء البارد.

وبدلا من ذلك يمكن تجفيف الكشمير في الهواء المتجدد، وذلك بوضعه على منشفة مفرودة وتقليبه على الجهتين بانتظام.

ولا يجوز تعليق الكشمير بغرض تجفيفه، كي لا تتعرض الشعيرات الدقيقة للضرر.

وكي يستعيد الكشمير رونقه مجددا، يمكن كيّه بواسطة مكواة بخار، مع مراعاة وجود مسافة أمان كافية عند توجيه البخار إلى الكشمير.

ويمكن الاعتناء بالكشمير بصفة متواصلة وتنظيفه من الشوائب باستمرار دون غسله من خلال الفرشاة المخصصة له أو غيرها من المحافظة عليه.

«الميركاتو» الشتوي في مصر ساخن جدا

ملايين بيراميدز تجبر الأهلي والزمالك على فتح خزائنهما والاستعانة برجال الأعمال

يعتبر موسم الانتقالات الشتوية في الدوري المصري، هو الأكثر سخونة على الإطلاق، لا سيما أن لغة المال حسمت الكثير من الصفقات، وعزز ذلك ظهور نادي بيراميدز (الأسيوطي سابقا)، في ثوب جديد هذا الموسم، بعد أن انتقلت ملكيته إلى رجل الأعمال السعودي تركي آل الشيخ، الذي ضخ مبالغ مالية كبيرة، تخطت 9 ملايين دولار، لتدعيم الصفوف بعناصر قوية للمنافسة على اللقب، وهو ما ورّط ناديي الأهلي والزمالك في نفقات تفوق قدراتهما المادية.

الشحات صفقة طال انتظارها

عماد أنور
صحافي مصري

القاهرة – لم يعد صراع الصفقات في الدوري المصري قاصرا على قطبي الكرة الأهلي والزمالك، كونهما الأفضل ماديا، والأعلى من حيث القاعدة الجماهيرية، وعرف العقدان الأخيران صراعا شرسا بين القطبين على صفقات تبرم بمبالغ مالية مقبولة إلى حد ما، ويحدث ذلك مع منافسة على استحياء من بعض الأندية الجماهيرية الأخرى، كانت تتهافت على شراء المستبعدين من الأهلي والزمالك.

إلا أن الأرقام التي يشهدها "الميركاتو" الشتوي في مصر، الذي فتح أبوابه مع بداية يناير الجاري، أظهرت ارتفاعا جنونيا في أسعار اللاعبين، فاقت الجنون الذي حدث مع بداية الموسم الكروي في صيف العام الماضي، ويعود السبب إلى دخول نادي بيراميدز في صراع الصفقات، فضلا عن تدخل مالكه تركي آل الشيخ، لتدعيم صفقات النادي الأهلي، قبل أن يدب الخلاف بينه وبين مجلس إدارة النادي، برئاسة محمود الخطيب.

بعدها حوّل تركي وجهته، وبدأ في تدعيم صفقات الغريم التقليدي للأهلي، وهو نادي الزمالك، وباتت أقل صفقة في الأندية الثلاثة تتخطى مئات الآلاف من الدولارات، أما عن الملايين فحدث ولا حرج.

تراجع وأطماع

جاء ظهور فريق النادي الأهلي بمستوى متواضع هذا الموسم، وخروجه من نهائي دوري الأبطال والبطولة العربية، ليزيدا من أطماع منافسيه على اللقب، وعلى رأسهم فريقا ناديي الزمالك وبيراميدز، لا سيما وأن الأخير تمكن من زحزحة أقدام بطل الموسم الماضي، من المنافسة على اللقب، بعد أن فاز عليه بهدفين مقابل هدف، الجمعة، في إحدى المباريات المؤجلة بالدوري الممتاز.

وساهم تراجع أداء الأهلي أيضا في سخونة الصفقات، لا سيما وأن الفريق في ظل ارتفاع أسعار الصفقات، وجد نفسه متورطا لمسايرة السوق، الذي يدار بطريقة إما الدفع وإما ضياع الصفقة لصالح من يدفع أكثر، خصوصا وأن بعض اللاعبين لم يعد لديهم نفس الشغف بالانتقال إلى الأهلي، كونه واحدا من أكبر الأندية في القارة الأفريقية والوطن العربي، وفضّلوا الأموال عن حجم النادي.

> اللاعب حسين الشحات يعتبر حالة استثنائية في الانتماء، في وقت يتسابق فيه اللاعبون على جمع الأموال خلال مشوارهم الكروي، بداعي تأمين مستقبلهم

ويعتبر اللاعب حسين الشحات حالة استثنائية في الانتماء، في وقت يتسابق فيه اللاعبون على جمع الأموال خلال مشوارهم الكروي بداعي تأمين مستقبلهم، دون أن ينظر أغلبهم إلى حجم وقيمة النادي الذي يرتدون قميصه، على عكس ما كان يحدث في الماضي، بعدم النظر إلى الجانب المادي.

وأسر الشحات لاعب العين الإماراتي السابق، قلوب جماهير الأهلي قبل أن يرتدي قميص النادي، بعد تمسكه بالانتقال إلى بطل الدوري المصري للموسم المقبل، وتنازله عن باقي مستحقاته لدى العين، فضلا عن تنازله عن نسبته في إعادة بيعه، وانتقل اللاعب إلى الأهلي في صفقة مدتها 4 مواسم ونصف الموسم مقابل 5 ملايين دولا، تحملت خزينة الأهلي مليون ونصف المليون دولار فقط، فيما تحمل أحد رجال الأعمال الإماراتيين بقية المبلغ. واحتلت صفقة الشحات حيزا كبيرا من تعليقات الجماهير على مواقع التواصل الاجتماعي، وجاء إتمامها بعد أيام من انتقال لاعب الأهلي السابق عبدالله السعيد، ليفتح الباب أمام المقارنات بين اللاعبين الاثنين، خصوصا وأن السعيد قام بتوقيع عقود انتقاله إلى الزمالك، الغريم التقليدي للأهلي، دون علم الأخير، ما صنع خصومة بينه وبين عشاق الأهلي، الذين رفعوا شعار "من يشتري نادينا نحمله فوق الأعناق".

وحظيت صفقة الشحات باهتمام بالغ من وسائل الإعلام الرياضية في مصر، وذلك قبل أن تتم بصورة رسمية بنحو شهر كامل، نظرا لتمسك مسؤولي العين بتواجد اللاعب، فضلا عن المغالاة في القيمة المادية، لكن عندما لمس مسؤولو الأهلي رغبة الشحات في الانتقال إلى النادي، كثفوا المفاوضات لإتمام الصفقة، بينما أثارت صفقة انتقال عبدالله السعيد إلى بيراميدز جدلا واسعا، وفتحت الباب أمام هجوم محبي الأهلي على اللاعب، خصوصا أن انتقاله جاء في نفس يوم مباراة فاز فيها فريقه على الأهلي بنتيجة (2–1) بالدوري المصري، واعتبرت الجماهير أن السعيد فضّل الأموال عن البقاء في النادي الأهلي الذي صنع مجده وشعبيته.

وفتحت الأندية خزائنها للتعاقد مع أفضل اللاعبين، سواء بالدوري المحلي أو من الخارج، وكان السعيد وعمرو مرعي لاعب النجم الساحلي التونسي، بطلي آخر الصفقات الساخنة، بعد انضمامهما إلى نادي بيراميدز، ويحصل السعيد على 15 مليون جنيه (ما يقارب 850 ألف دولار)، في الستة أشهر المتبقية من الموسم الجاري، على أن يتضاعف المبلغ بداية من الموسم المقبل.

صفقة جدلية

المثير في صفقة السعيد هو دخول نادي الزمالك طرفا فيها، ولم يلتزم مسؤولوه الصمت، وخرج نجل رئيس النادي أمير مرتضى، وهو المشرف على فريق الكرة في الزمالك، وكتب تغريدة غريبة قال فيها "ألف مبروك للاعب الزمالك السابق الانتقال إلى بيراميدز"، قاصدا عبدالله السعيد في تغريدته، لا سيما وأن اللاعب وقّع عقود انتقاله للنادي خلال فترة الانتقالات الصيفية في يوليو من العام الماضي، قبل أن يتدخل الأهلي لإفساد الصفقة واستعادة لاعبه.

فيما خرج رئيس الزمالك نفسه ليؤكد ارتداء السعيد قميص ناديه مع مطلع الموسم المقبل، ليزيد الشبهات حول اتفاق مسبق بين الزمالك وتركي آل الشيخ، بأن يكون نادي أهلي جدة هو مجرد محطة تعيد اللاعب إلى الزمالك بعد أن تهدأ الأمور، وهذا ما وضعته إدارة الأهلي في الحسبان، واشترطت وجود بند في العقد يسمح للأهلي بالحصول على مبلغ مليوني دولار، حال انتقال اللاعب إلى أي ناد في مصر، وهو البند الذي دفع الأهلي إلى تقديم شكوى ضد اللاعب في اتحاد الكرة المصري.

وأبرم النادي نفسه أكبر صفقة في تاريخ الدوري المصري، عندما تعاقد مع الإكوادوري جون سيفونتي، مقابل 5 ملايين دولار، كما تعاقد بيراميدز مع البوركيني إيريك تراوري، مقابل 3 ملايين يورو، فضلا عن عمرو مرعي مقابل 850 ألف دولار.

أما النادي الأهلي فبلغت صفقاته نحو 65 مليون جنيه (ما يعادل 3 ملايين ونص المليون دولار)، وتعاقد النادي مع اللاعب الأنغولي غيرالدو دي كوستا بـ600 ألف دولار، بالرغم من عدم إمكانية الاستعانة بخدمات اللاعب في دوري أبطال أفريقيا، وهي الصفقة التي ستكلفه الاستغناء عن المدافع ساليف كوليبالي، الذي انضم إلى الفريق الصيف الماضي.

وأعاد الأهلي لاعبه السابق رمضان صبحي، من الدوري الإنكليزي مقابل مليون دولار، وتعاقد مع لاعب وادي دجلة محمد محمود مقابل 20 مليون جنيه (نحو مليون ومئة ألف دولار)، وذلك بهدف تطوير مركز وسط الملعب، خصوصا بعد أن برز اللاعب خلال الموسم الحالي، ما أهله للانضمام إلى منتخب مصر، ومن أجل دعم مركز المدافع الأيسر تعاقد الأهلي مع محمود وحيد لاعب وادي دجلة، مقابل 15 مليون جنيه (نحو 850 ألف دولار).

ومن أجل ترميم خط الدفاع، تعاقد الأهلي مع اللاعب ياسر إبراهيم، قادما من فريق نادي سموحة الإسكندري، لمدة 4 مواسم ونصف الموسم بقيمة مليون ومئتي ألف دولار، وبالتالي لم تعد نغمة أن النادي يحدد سقفا ماديا لصفقاته الجديدة تفلح مع الصراع الضاري الذي يتحكم فيه المال، وحتى وإن حدد أي ناد سقفا لصفقاته، فإنه يبحث عن رجل أعمال لدفع القيمة المتبقية خوفا من ضياع الصفقة.

ورغم الصراع الكبير بين الأهلي وبيراميدز لإبرام الصفقات، لم يعلن الزمالك سوى عن صفقة وحيدة، وهي للمهاجم المغربي خالد بوطيب، القادم من مالاتيا سبور التركي، في عقد مدته ثلاثة مواسم ونصف الموسم، ولا يزال مجلس إدارة النادي يجري مشاورات مع المدير الفني للفريق كريستيان غروس، لحسم ملف الصفقات الجديدة.

وفضح موقع "ترانسفير ماركت" الخاص بسوق انتقالات اللاعبين، نادي الزمالك في تعاقده مع اللاعب المغربي، وكشف أن المسيرة الاحترافية له تؤكد انضمامه بالمجان إلى أي ناد منذ عام 2007 وحتى العام الماضي، ويعتبر الاستثناء الوحيد هو انضمامه إلى الزمالك، والذي جاء مقابل مليون ونصف مليون دولار.

ولعب بوطيب لفريق أوزيسبونتدوغارد الفرنسي عام 2007 في صفقة انتقال حر، ثم انتقل إلى بانيولبونت الفرنسي عام 2010 في صفقة انتقال حر أيضا، وعاد في الموسم التالي إلى نادي أوزيسبونتدوغارد من دون مقابل. ودفع هذا الصراع الأندية الصغيرة والمتوسطة إلى المبالغة في تحديد أسعار لاعبيها، خصوصا المطلوبين من الأهلي أو الزمالك أو بيراميدز، فمثلا قال رئيس نادي سموحة فرج عامر إنه لن يتخلى عن لاعبه ياسر إبراهيم بأقل من 100 مليون جنيه (أكثر من 5 ملايين دولار)، وذلك عندما علم بصراع الأهلي والزمالك على ضم اللاعب، وهو ما تفعله أندية الدرجة الثانية.

صراع ثلاثي

بالتالي وفقا للآراء الفنية والتي تربط بين قوة عناصر الفريق والفوز بالبطولات، فإن الصراع على لقب الدوري المصري بات محصورا بين ثلاثة أندية، هي الأهلي والزمالك وبيراميدز، لا سيما مع التعاقدات الأخيرة التي أبرمها الأهلي، والتي عززت غالبية صفوفه بالرغم من أنه لا يزال في حاجة ماسة إلى ترميم دفاعاته، فيما نجح الزمالك في بناء فريق قوي قبل انطلاق الموسم الجاري، وكذلك فعل نادي بيراميدز أيضا.

> الأندية فتحت خزائنها للتعاقد مع أفضل اللاعبين، وكان السعيد وعمرو مرعي لاعب النجم الساحلي التونسي، بطلي آخر الصفقات الساخنة، بعد انضمامهما إلى نادي بيراميدز

في المقابل تقف أندية أخرى وتقوم بدور المشاهد فقط، والسبب أن خزائنها غير عامرة بالملايين من الجنيهات، وتعتمد في تدعيم صفوفها على اللاعبين الذين تستغني عنهم الأندية الكبرى، مثلما انتقل الظهير الأيسر صبري رحيل من الأهلي إلى الاتحاد الإسكندري قبل عدة أيام، وهنا تتوافق مصلحة اللاعب والنادي معا، فالأول يسعى للهروب من دكة البدلاء مع فريقه، بينما ينتظر النادي فرصة الحصول على توقيع لاعب ارتدى قميص ناد كبير في حجم الأهلي أو الزمالك.

كما يبحث اللاعب المستبعد عن تعاقد جيد، حتى وإن لم يصل المقابل المادي إلى نفس قيمة ما كان يتقاضاه مع ناديه السابق، وبالنظر إلى مثل هذه الصفقات التي تبلغ مليوني جنيه في الموسم الواحد على الأكثر (ما يزيد عن 100 ألف دولار بقليل)، فإنها مبالغ لا تذكر إذا تمت مقارنتها بلعبة الصفقات الضخمة التي تتبناها الأندية الكبرى.

كل ما يحدث لا يتوافق مع طبيعة ومستوى الدوري المصري، الذي لا يوجد فيه لاعب واحد يساوي أكثر من مليوني جنيه، وفقا لقوة المسابقة وانتظامها وجماهيريتها، كما أن ذلك أيضا يتنافى مع ما ينادي به الاتحاد الدولي للعبة "فيفا"، بعدم المغالاة في أسعار اللاعبين، وقد وجّه الفيفا تنبيها إلى نادي باريس سان جرمان الفرنسي، عندما أبرم صفقة للتعاقد مع البرازيلي نيمار، بلغت قيمتها 222 مليون دولار.

السعودية إلى الدور الثاني والأمل لا يزال قائما للبنان

العراق يرافق إيران إلى دور الـ16 من بطولة كأس آسيا

تمكن المنتخب السعودي من ضمان تأهله إلى دور الستة عشر في بطولة كأس آسيا 2019، السبت، إثر تغلبه على نظيره اللبناني بنتيجة (2-صفر) لحساب المجموعة الخامسة، كما لحق المنتخب العراقي لكرة القدم بالمنتخب الإيراني المتأهل بدوره إلى الدور الثاني، إثر فوزه (3-صفر) على نظيره اليمني، السبت، أيضا في الجولة الثانية من مباريات المجموعة الرابعة بالدور الأول للبطولة.

❑ **أبوظبي** – حجز المنتخب السعودي مقعده في دور الـ16 من بطولة كأس آسيا 2019، بعد تغلبه على نظيره اللبناني ضمن منافسات المجموعة الخامسة، واستطاع "الأخضر" السعودي تحقيق فوز مريح بنتيجة (2 -صفر) على لبنان، ليرفع رصيده إلى 6 نقاط ويصبح سادس المتأهلين للأدوار الإقصائية بعد العراق والأردن وإيران وكوريا الجنوبية والصين.

وافتتح المهاجم فهد المولد التسجيل للسعودية في الدقيقة 12 مستغلا خطأ دفاعيا، وأضاف لاعب الوسط حسين المقهوي الهدف الثاني في الدقيقة 67.

وتعرض لبنان لخسارته الثانية على التوالي، بعد هزيمته الأولى أمام قطر بنفس النتيجة، مما يعني أن المنتخب اللبناني سيتوجب عليه الانتصار على كوريا الشمالية في المباراة الأخيرة، للإبقاء على آماله بالتأهل كأحد أفضل الفرق ذات المركز الثالث.

ورافق منتخب العراق نظيره الإيراني إلى دور الـ16 من بطولة كأس آسيا 2019 لكرة القدم، بعد فوزه على اليمن (3 -صفر) السبت ضمن الجولة الثانية من منافسات المجموعة الرابعة.

وسجل مهند علي كاظم في الدقيقة 11، وبشار رسن في الدقيقة 19، وعلاء عباس في الدقيقة 90+1 أهداف العراق.

وحقق العراق فوزه الثاني بعد الأول على فيتنام (3-2) ليرفع رصيده إلى 6 نقاط بفارق الأهداف عن إيران المتصدرة والتي ضمنت تأهلها السبت أيضا بفوزها على فيتنام (2 -صفر).

أما اليمن فبقي في المركز الأخير من دون رصيد بعدما تعرض لخسارته الثانية بعد الأولى أمام إيران (صفر- 5).

وكانت منتخبات الأردن والصين وكوريا الجنوبية قد ضمنت تأهلها في النسخة الأولى التي يشارك فيها 24 منتخبا.

وشهدت المباراة إشراك السلوفيني ستريشكو كاتانيتش مدرب العراق للاعبين من مواليد عام 2000 ويعدان الأصغر في البطولة، هما مهند علي كاظم الذي بدأ أساسيا، ومحمد داوود الذي شارك في الدقيقة 88.

وافتتح العراق التسجيل بطريقة رائعة عبر الموهوب مهند علي الذي وصلته الكرة بالخطأ من لاعب اليمن حسين الغازي بعدما كان يحاول التمرير إلى زميله أحمد الحيفي، لتصل إلى لاعب الشرطة الذي راوغ عدة مدافعين دفعة واحدة ثم سدد بذكاء في شباك حارس المرمى سعود السوادي في الدقيقة 11.

وهو الهدف الثاني لمهند في البطولة، بعد الأول أمام فيتنام الذي أصبح بفضله أحد أصغر اللاعبين الذين يسجلون في البطولة بعمر 18 سنة و8 أشهر.

وسرعان ما أضاف بشار رسن الهدف الثاني بعد تسديدة قوية ارتطمت بالمدافع مدير عبدربه ثم القائم وتابعت طريقها إلى الشباك في الدقيقة 19.

وعلى عكس البداية القوية هدأ اللعب بعد ذلك، وندرت الفرص الخطرة حتى الدقيقة 64 عندما مرر رسن كرة متقنة إلى مهند علي الذي سدد وأصاب القائم، ثم كانت لمهند فاصل مراوغة وسدد بعدها كرة قوية علت العارضة وسط تشجيع الجمهور العراقي الكبير للاعب الموهوب في الدقيقة 69.

وعمل كاتانيتش على إجراء تغييرات والدفع بوجوه شابة بعدما أشرك علاء عباس (21 عاما) مكان مهند علي في الدقيقة 71، ومحمد داوود مكان حسين علي في الدقيقة 88.

وساهم البديلان في تسجيل الهدف الثالث للعراق بعدما مرر محمد داوود عرضية هيأها أحمد ياسين إلى علاء عباس سددها قوية بعيدا عن متناول السوادي في الدقيقة 90+1.

وكان منتخب إيران قد حجز بطاقة العبور إلى دور الـ16 من بطولة كأس آسيا 2019 لكرة القدم في الإمارات بعد فوزه على فيتنام (2 -صفر)، السبت أيضا في افتتاح الجولة الثانية من منافسات المجموعة الرابعة.

وسجل سردار أزمون مهاجم روبين قازان الروسي الهدفين في الدقيقتين 38 و69، رافعا رصيده إلى ثلاثة أهداف في البطولة بعد الأول في مرمى اليمن، ليتصدر ترتيب الهدافين.

ويتأهل إلى دور الـ16 بطل ووصيف كل من المجموعات الست إضافة إلى أفضل أربعة منتخبات حلت في المركز الثالث.

وبنقاطها الست، ضمنت إيران، حتى إذا لم تناسبها جميع السيناريوهات، الحلول بين أفضل أربعة منتخبات تحتل المركز الثالث، نظرا لعدم قدرة ثالث المجموعتين الأولى والثانية على بلوغ حاجز النقاط الست.

وعلى ملعب آل نهيان في أبوظبي، وجدت إيران حاملة اللقب ثلاث مرات أعوام 1968 و1972 و1976، صعوبة قبل فك طلاسم منتخب فيتنام الذي مال بتوجيهات مدربه الكوري الجنوبي بارك هانغ-سيو، إلى التكتل الدفاعي والاعتماد على الهجمات المرتدة.

ورغم سيطرة منتخب إيران الذي يحتل المركز 29 عالميا والأول آسيويا في تصنيف الاتحاد الدولي (فيفا)، إلا أن الخطورة غابت عن طلعاته، إلى أن جاءت الدقيقة 16 حين أنقذ حارس فيتنام دانغ فان لام فرصة لاحت لسامان قدوس الذي وجد نفسه في موقع سانح للتسديد، لكن لام حرمه من هز الشباك.

وكانت لمنتخب إيران، الذي ظهر بمستوى جيد في مونديال روسيا 2018، فرصة أخرى إثر رأسية من حسين كنعاني إلا أن الكرة لم تجد طريقها إلى المرمى في الدقيقة 17، قبل أن يتلقى مهدي طارمي لاعب الغرافة القطري بطاقة صفراء بداعي الخشونة على فان هاو دوان في الدقيقة 18.

العراق يعبر

وفي الدقيقة 38 ترجم التفوق الإيراني إلى هدف إثر تمريرة عرضية من قدوس لاعب وسط أميان الفرنسي، طار لها أزمون من مسافة قريبة من المرمى وأرسلها رأسية إلى شباك لام مانحا التقدم لإيران.

ومع انتهاء الشوط الأول، بلغت سيطرة إيران المشاركة في البطولة للمرة الرابعة عشرة توالياً، على المجريات 71 في المئة، مع 3 تسديدات بين الخشبات مقابل صفر لفيتنام، و4 ركلات ركنية مقابل صفر لفيتنام.

ودخلت فيتنام الشوط الثاني بنية انتزاع التعادل وتحاشي الخسارة الثانية على التوالي بعد الأولى أمام العراق (3-2) في الجولة الأولى.

ولاحت لها فرصة ذهبية في الدقيقة 52 إثر انفراد كونغ فونغ نغوين بالحارس علي رضا بيرانفاند الذي ارتمى أرضا في الوقت المناسب. ولم تكد تمر دقيقة حتى أضاع الإيرانيون فرصة تعزيز التقدم من تسديدتين، الأولى من أزمون صدها الحارس، لترتد الكرة إلى طارمي سددها فوق المرمى.

وفي الدقيقة 69، تسلم أزمون الكرة على مشارف منطقة الجزاء الفيتنامية، وسددها قوية في المرمى مسجلا هدفا شخصيا له ولمنتخب بلاده في الدقيقة 69.

وأخرج المدرب البرتغالي كارلوس كيروش، المرشح لتدريب منتخب كولومبيا بعد كأس آسيا 2019، أزمون في الدقيقة 79 وزج بكريم أنصاري فرد، لينتهي اللقاء بانتصار إيران على فيتنام (2 -صفر).

وتلتقي في الجولة الثالثة والأخيرة في 16 يناير الحالي إيران مع العراق في نسخة شبيهة من الدور ربع النهائي لنسخة 2015 في أستراليا، حين فاز العراق بركلات الترجيح بعد مباراة مثيرة انتهت بالتعادل (3-3)، فيما تلاقي فيتنام اليمن في مقابلة تبدو شكلية.

عُمان تسعى لكسر عقدتها مع اليابان

❑ **دبي** – يتوجب على عُمان كسر عقدتها التاريخية مع اليابان لإحياء آمالها بالتأهل إلى دور الـ16، عندما تلتقيها الأحد على إستاد مدينة زايد الرياضية في أبوظبي، ضمن منافسات الجولة الثانية للمجموعة السادسة من كأس آسيا 2019 لكرة القدم، وتلعب ضمن المجموعة ذاتها أوزبكستان مع تركمانستان على إستاد راشد بدبي في ديربي وسط آسيا.

وفازت اليابان على تركمانستان (3-2)، وأوزبكستان على عمان (2-1) في الجولة الأولى، لذلك فإن تحقيقهما لانتصار ثان سيؤهلهما معا إلى دور الـ16.

وتخوض عمان مباراة الفرصة الأخيرة أمام اليابان لأن خسارتها الثانية، قد تعقد مهمتها وتحول حتى في أن تكون ضمن أفضل أربعة منتخبات من المجموعات الست تحصل على المركز الثالث وتتأهل إلى الدور التالي.

ولم يسبق لعمان أن فازت على اليابان في تسع مباريات رسمية منذ 1997، كان من بينها لقاء وحيد في كأس آسيا خلال نسخة 2004، وانتهى لصالح "الساموراي" بهدف صانع اللعب شونسوكي نامورا.

وكان لاعب الوسط المخضرم أحمد كانو الذي شارك أساسيا أمام أوزبكستان، مسجلا حضوره الرابع في البطولة، ضمن التشكيلة التي خاضت المباراة أمام اليابان قبل 15 عاما، وقد أبدى تفاؤله بإمكانية تحقيق نتيجة إيجابية أمام بطل آسيا أربع مرات، وقال كانو (33 عاما) "متفائلون لأنه عادة ما تحفل مبارياتنا أمام اليابان بالإثارة والندية".

وسجل كانو هدفي منتخب بلاده في شباك اليابان في ست مباريات رسمية بينهما منذ 2004، انتهى خمس منها بفوز الدولة الشرق آسيوية وواحدة بالتعادل (1-1).

وتابع لاعب مسيمير القطري الحالي "المباريات الكبيرة مثل مباراة اليابان يجب أن يتم خلالها استغلال أنصاف الفرص، حيث سنعمل على علاج المشاكل الهجومية وتطوير الأداء بشكل يلبي التطلعات".

ورغم استحواذ منتخب عمان على الكرة أمام أوزبكستان بنسبة وصلت إلى 60 بالمئة وتسديد 18 كرة على مرمى منافسه، إلا أنه خسر (1-2) بعد هدف متأخر من إلدور شومورودوف في الدقيقة 85.

ولخص المهاجم محمد الغساني حظوظ عمان في مواجهة الأحد، بالقول "مطالبون بالفوز على اليابان، حتى نزيد من حظوظنا بالتأهل، المباراة تمثل بالنسبة لنا إما إكمال المشوار والاستمرار في البطولة وإما الخروج منها".

ويسعى منتخب عمان الذي يغيب عنه حارسه المخضرم علي الحبسي نتيجة إصابة أثارت جدلا بعد جهوزيته لتمثيل ناديه الهلال السعودي، لبلوغ الأدوار الإقصائية في كأس آسيا للمرة الأولى في تاريخه وذلك في مشاركته الرابعة.

بدورها، قلبت اليابان، حاملة اللقب 4 مرات (رقم قياسي)، تأخرها أمام تركمانستان بعد "بداية مخيبة" بحسب قائد دفاع ولاعب ساوثمبتون الإنكليزي مايا يوشيدا.

ولم تخسر اليابان في آخر 6 مباريات منذ استلام المدرب هاجيمي موریاسو بديل أكيرا نيشينو الذي قاد "الساموراي الأزرق" إلى الدور الثاني في مونديال روسيا 2018، حيث خسر بصعوبة أمام بلجيكا (2-3).

وتتوجه الأنظار إلى ديربي وسط آسيا بين أوزبكستان وتركمانستان في ثاني لقاء بينهما في البطولة بعد نسخة 2004. وتملك أوزبكستان فرصة التأهل إلى الدور الإقصائي للمرة الخامسة على التوالي منذ 2004، في حال استفادت مجددا من تفوقها التاريخي على جارتها بعدما هزمتها في المباريات الرسمية الثلاث التي أقيمت بينهما.

وتعد أوزبكستان أكثر خبرة، حيث تسجل مشاركتها السابعة في البطولة، مقابل مرتين لتركمانستان التي قدمت مباراة جيدة أمام اليابان وخسرت بصعوبة بالغة (2-3).

وقال أرسلان مراد أمانوف المحترف في نادي بوكسورو الأوزبكستاني والذي افتتح التسجيل لتركمانستان في مباراة اليابان بتسديدة رائعة من 35 مترا "المباراة هي ديربي وسط آسيا، لذلك سنبذل قصارى جهدنا للحصول على نتيجة جيدة، مستوانا الجيد أمام اليابان سيعطينا قدرا من الطاقة والدعم".

وأصبحت تركمانستان أول منتخب يسجل هدفين في مرمى اليابان في كأس آسيا منذ قطر في 1988، وذلك في سلسلة من 21 مباراة.

لقاء الفرصة الأخيرة

قطر تصطدم بأسبقية كوريا الشمالية

❑ **العين** – يرى لاعب الوسط القطري أكرم عفيف أن منتخب بلاده يخوض نهائيات كأس آسيا 2019 في كرة القدم دون ضغوط وليس مرشحا قويا لإحراز اللقب، برغم فوزه الأول على لبنان واقترابه من التأهل إلى دور الـ16.

وبعد تحقيقها أول فوز افتتاحي في كأس آسيا منذ 1980 على حساب لبنان بثنائية بسام الراوي (22 عاما) من ركلة حرة والمعز علي (23 عاما)، كشفت قطر عن وجهها الطامح في النهائيات القارية التي لم تتخط دورها ربع النهائي في دورتي (2000 و2011).

ويقول لاعب السد المعار من نادي فياريال قبل مواجهة كوريا الشمالية الأحد في مدينة العين الإماراتية "لا ضغوط علينا.. فريقنا شاب، معدل أعماره 25 عاما، وجميعنا يعرف أن قطر ليست المرشحة الأكبر للفوز باللقب، لذا نلعب بأسلوبنا ونحاول تطبيق ما تعلمناه".

ويتابع عفيف الذي خاض فترتي إعارة مع سبورتينغ خيخون الإسباني وأويين البلجيكي "يجب أن نحسّن دفاعنا، خصوصا بمواجهة الكرات الثابتة، ويجب أن نكون أكثر صبرا.. مباريات كأس آسيا لا تشبه الوديات أو مباريات الدوري، فالمنتخبات تسعى للدفاع ثم التسجيل وخطف النقاط".

ويتوقع أن تكون المواجهة الثانية لقطر أسهل من الأولى ضد لبنان، بعد ظهور كوريا الشمالية بصورة هزيلة وسقوطها برباعية نظيفة أمام السعودية.

في المقابل، يتوقع أن يجري مدرب كوريا الشمالية كيم يونغ جون تغييرات دفاعية بعدما حمّل دفاعه مسؤولية الخسارة الكبيرة ضد السعودية، والذي قال "لم أكن أتوقع هذا الكم من الأخطاء الدفاعية، السعودية كانت جيدة بما يكفي لتستفيد منها".

وتشارك كوريا الشمالية للمرة الخامسة في النهائيات، وقد حلت رابعة في 1980، فيما ودعت باكرا في 1992 و2011 و2015.

وستكون مواجهة الأحد هي الأولى بين المنتخبين في بطولة كأس الأمم الآسيوية، حيث لم يسبق لهما أن لعبا مع بعضهما البعض، بينما هي العاشرة في المواجهات التي جمعتهما في مختلف البطولات، حيث حققت قطر الفوز في مباراتين، وخسرت 4 لقاءات، بينما تعادلا في ثلاث مباريات.

تحد كوري

تقنية التعرف إلى الوجوه تعري الناس أمام الذكاء الاصطناعي

مثل معرض لاس فيغاس للإلكترونيات منصة كبيرة عرضت عليها عدة شركات رؤيتها المستقبلية للعلاقات بين الناس، محوّلة تقنية التعرف إلى الوجوه إلى ثورة تسهّل المعاملات وتتعرف على هوية والشخص ونواياه.

التكنولوجيا ترصد كل تحركات البشر

❑ **لاس فيغاس (الولايات المتحدة)** – يفرد معرض لاس فيغاس للإلكترونيات مساحة واسعة للإكسسوارات والابتكارات العاملة بتقنية التعرف إلى الوجوه التي باتت حاجة ماسّة في نظر البعض رغم مخاوف يبديها آخرون من خطرها على الحريات الفردية.

وتتيح هذه التقنية، التي ساهمت خصوصا في الترويج لها هواتف آيفون على سبيل المثال للروبوت "بيبر"، التعرف إلى زبون يدخل متجرا أو فندقا.

وأوضح ستيف كارلين، من شركة "سوفتبنك روبوتيكس" اليابانية، أن هذه الروبوتات "يمكنها القول: أنا سعيد بلقائك، لا حاجة للاصطفاف في الطابور، لقد سجلنا اسمكم وأرسلنا لكم الرمز السري على هاتفكم".

ومن بين الاستخدامات الأخرى، يمكن للروبوت بيبر أن يتعرف إلى زبون في المتجر ويعلمه بأن الطلبية التي أرسلها عبر الإنترنت باتت جاهزة ويقترح عليه شراء منتجات أخرى تتناسب مع متطلباته.

وهذا التصميم المتكيف مع الحاجات الشخصية، وهو محرك رئيس لهذه التكنولوجيا، هو ما تعد به بعض شركات تصنيع السيارات في معرض لاس فيغاس، من بينها شركة "بايتن" الصينية التي تصمم سيارات كهربائية فارهة وتعد بطرحها في الأسواق خلال العام الجاري.

وأشار أبي تشن من بايتن إلى أن السيارة "تعرف هوية الشخص الموجود بالمركبة والمدة التي انقضت على الانطلاق والطعام الذي تحبون تناوله كما بإمكانها تقديم توصيات بمطاعم".

وبإمكان هذه المركبات الذكية كذلك تقديم اقتراحات موسيقية أو ترفيهية منسجمة مع ذوق المستخدم، وهي ميزات ستأخذ أهمية متزايدة مع تطور السيارات ذاتية القيادة.

أما شركة "سايبرلينك" التايوانية فتؤكد أن نظامها الجديد للتعرف إلى الوجوه الذي قدمته في المعرض "شديد الدقة"، وهو موجه للشركات التجارية والمنازل وقوات الأمن.

وأكد ريتشارد كاريير من سايبرلينك، أنه "إذا ما دخل أحدهم إلى متجر، بإمكاننا تكييف معلومة تبعا للسن والجنس وتعابير الوجه".

وتدمج شركات ناشئة أخرى مثل الأميركية "نورتك"، تقنية التعرف إلى الوجوه مع أنظمتها الأمنية للسماح للأصدقاء وأفراد العائلة بدخول المنزل وإخطار السكان في حال وجود شخص مشتبه به.

وطوّرت شركة "تويا" الصينية كذلك نظام جرس منزلي ذكي يستخدم الذكاء الاصطناعي للتعرف إلى أفراد العائلة والأصدقاء وعمّال التوصيل وحتى الحيوانات، بغية وضع "قائمة بيضاء" للأشخاص المسموح بدخولهم.

كما يمكن للنظام أن يكون مفيدا للأسر التي تضم أشخاصا مسنين، على سبيل المثال من خلال رصد أن شخصا مصابا بالخرف قد يكون هرب من المنزل، بحسب مسؤولة المبيعات ساندي سكوت.

وفي ظل مواضع الجدل والمخاوف بشأن استخدام البيانات الشخصية، يخزن نظام "تويا" المعلومات في الجهاز ما يقلل مخاطر تسريب البيانات، وفق سكوت.

وبيّنت بعض الشركات بينها "بروكتر أند غامبل" الأميركية العملاقة في منتجات النظافة الشخصية والمنزلية، في المعرض أن نظام التعرف إلى الوجوه قادر على تقديم خدمات عناية بالوجه تتكيّف مع الحاجات الشخصية.

ورغم إشادة شركات كثيرة بهذه التقنية، فإن آخرين يبدون معارضة لتكنولوجيا التعرف إلى الوجوه خشية إساءة استخدامها أو تحويلها إلى أداة لقمع الحريات الفردية عن طريق إنشاء قواعد بيانات للوجوه، متطرقين خصوصا إلى نموذج السلطات الصينية التي تستخدم هذه التقنية لمراقبة شعبها.

وقالت برندا ليونغ من "منتدى مستقبل الخصوصية"، وهي منظمة غير حكومية أميركية، إن الشركات الأخرى "تملك كلها بيانات تتعلق بي، باستثناء وجهي".

مشغل فرنسي يعيد الحياة إلى أجراس عمرها مئات السنين

❑ **باريس** – تُقرع في فرنسا يوميا الآلاف من الأجراس القديمة التي يعود بعضها إلى القرون الوسطى، معلنة المناسبات الدينية والاجتماعية، ومشكّلة جزءا من المشهد التراثي والتاريخي في هذا البلد، وتتولى ورشة حرفية إصلاح ما كُسّر منها أو تعطل لتبقى شاهدا حيّا على تاريخ عريق حافل بالأحداث.

وينكبّ العاملون بمؤسسة "بوديه" على تقديم العناية لما يحتاج إلى ترميم من هذه الأجراس القديمة الثقيلة، ويتعاملون معها كما لو أنها أرواح حيّة أعياها الزمن.

ومن العبارات التي تتردّد في هذا المشغل "هذا الجرس أذنه مكسورة"، و"هذا رأسه مشعور"، وذلك "صوته مُتعب".

وقال جان لوك فيران، المدير العام للمشغل، إن "هذه الأجراس تقوم بالحركة نفسها عقودا تلو الأخرى لذا تتآكل وتفقد رنّة صوتها".

وأضاف "يقوم عملنا على أن نعيد لها مظهرها الأول وصوتها الأصلي" الذي كانت تصدح به منذ عقود وقرون فوق الكنائس والأبراج والجبال، مشيرا إلى واحد من هذه الأجراس البالغ وزنها 750 كيلوغراما، وقال "لقد فقد أذنه".

واستعادت ثلاثة أجراس قديمة تحمل اسم ماري جوزفين ومارغريت وفيوليت بعد أسابيع من العناية، صوتها الأول بفضل مهارة العاملين في هذا المشغل وطريقة خاصة في العمل نال عنها المشغل براءة اختراع في العام 1991. وينتظر في إحدى زوايا المشغل، الجرس "ميلاني مورنيلي" المصنوع في العام 1890 دوره للعلاج، وهو يخضع لفحص لكشف الشقوق فيه، وإلى جانبه جرس آخر يخضع لتصليحات في جوفه.

وتابع فيران "في المرحلة الأولى، ننزع الطبقة المتضررة لتبقى الطبقة المعدنية السليمة". وبعد ذلك يوضع في الفرن في درجات حرارة تصل إلى بضع مئات من الدرجات، لكن الأمر دقيق جدا، فأي ارتفاع إضافي في الدرجات من شأنه أن يذيب الجرس.

أما باقي التفاصيل المتعلقة بالترميم والإصلاح، فلا يكشف المشغل عنها على اعتبار أنها من أسرار المهنة. وتكون بعد ذلك، أمام الحرفي 45 دقيقة فقط للقيام بعمله قبل أن يبرد المعدن، ثم يتعيّن عليه العمل على أن يأخذ الجرس شكله الصحيح من حيث الانحناءات والنقوش، ومن ثمّ صقله ليستعيد بريقه.

ويتطلب العمل في الجرس الواحد أسبوعين على الأقل.

وأتمّ المشغل حتى الآن إصلاح أكثر من 1100 جرس منذ العام 1991، ومنها ما يعود إلى المئات من السنين وصولا إلى القرون الوسطى. وأفاد تانغي، أحد عمال المشغل، "نظرا للحال التي تكون عليها الأجراس، نحن فخورون بأننا نعطيها شبابا جديدا".

ويرتفع على الأبراج والكنائس والمرتفعات في فرنسا 150 ألف جرس، تشكّل مشهدا موسيقيا وفنيا فريدا من نوعه، وتحمل في ترددات أصواتها عبق التاريخ. ودمّرت الحرب العالمية الثانية عددا كبيرا من الأجراس، فلم يبق سوى بضعة آلاف منها تعود إلى ثلاثة قرون أو أكثر.

وقال فيران "حين نقرأ أسماء العائلات على الأجراس، نتمكن من تتبع تاريخها"، ومنها جرس صنع في العام 1239 ورُمم في العام 2000، وهو أقدم أجراس فرنسا. وأضاف "هذا التراث قيّم وينبغي أن نحافظ عليه.. وإذا كان الفرنسيون أقل إقبالا على الممارسات الدينية، لكنهم أكثر تعلّقا بالمشهد الصوتي لبلدهم، الذي يعطيهم إيقاعا لحياتهم اليومية".

صباح العرب

عدلي صادق

ما يناسب الطباعة

❑ من بين تشكيلة الصحف التي عَرضتها مضيفة الطائرة، التقطت "الاتحاد" الظبيانية و"نيويورك تايمز" الأميركية. فالعبد لله يحب ملمس الصحيفة الورقية، ويتأسى على غيابها.

بدأت أقلب الثانية، الصامدة ورقياً منذ منتصف القرن التاسع عشر. وكالعادة عند مطالعة صحف أجنبية، فتّشت سريعا عن الخبر العربي. وللأسف، لم ألمح كلمة عن العرب في عناوين الصفحات الست عشرة. عدت إلى المرور متأنيا ومدققا، فلم أجد كلمة واحدة عن أحداث العرب الصاخبة. وكانت المفارقة أن صورة ضخمة لمشهد عملية طلاق إسلامية في النيجر، احتلت صدر الصفحة الأولى، مع عنوان يقول إن هناك "ثورة هادئة في أفريقيا" ويحتل الموضوع نفسه نصف الصفحة الأولى و90 بالمئة من الصفحة الرابعة. خلاصته أن النساء المسلمات في النيجر يتمردن على تقاليد الزواج ويشترطن قبله الحصول على ضمانات لحريتهن ولآفاق حياتهن مع أزواجهن!

وفي مفتتح الموضوع الطويل والتفصيلي، ولكي تصبح قصة الزواج في النيجر جديرة بموضعها في الجريدة، كتب محرر شؤون غرب أفريقيا ديون سيرسي أن زوج زاليكا، ظل على مدى عامين لا يضربها ولا يصرخ في وجهها ولا يخدعها حسب علمها عن سلوكه، لكنه بعد انقضاء العامين أهملها ولم يعد يكترث لامرأته الشابة التي توقعت منه الكثير!

في هذا المفتتح يتعمّد المحرر، الإيحاء بأن طبائع العلاقات الزوجية في المجتمع النيجري المسلم سلبية ومشوّهة وقاعدتها الخيانة والظلم، وأراد القول إن لكل محنة في حياة المسلمين خلفية تاريخية: فقد تزوجت أم زاليكا، رجلا في ضعف سنها وكان غريبا عن النيجر. وقتها لم تستطع الفتاة الصغيرة فهم ذلك العناء الذي عايشته لخمسة عقود حتى مات الزوج واستراحت السيدة أم زاليكا. ويبشر المحرر ديون سيرسي قرّاء صحيفته، بأن شابات النيجر لم يعدن يقبلن مثل هذه الزيجات. ولم يعد مجرد وجود الزوج كافيا. لذا ها هي الزوجة الشابة "أمادو" تتوجه إلى قاضٍ مسلم، يتخذ من رصيف الشارع مكتباً له، لكي تطلب خلع زوجها، وقد حدث ذلك في "مارادي" المدينة الثالثة في النيجر!

في الحكاية النيجرية الطويلة هناك بعض الإشارات المقتضبة، من بينها أن الزوجة الشابة، التي أرادت خلع زوجها، بعد أن اهتدت إلى حضارة نيويورك تايمز من خلال ترددها على صالة رقص، ولأن فأس الزواج وقعت في رأسها، فقد أرادت فكاكا. فـ"المرأة في النيجر غارقة في التخلف". وبالطبع ليست هناك في الخبر أو التقرير، أي إشارة لكون القاضي يفترش جلد ماعز على رصيف الشارع، وتقصده الشابة لكي يشرعن انفكاكها. بمعنى أن الصحيفة لم تُعن بفقر النيجر وشعبها، ولا بحقيقة استلاب الغرب لثرواتها. فهذا هو مجمل ما يتعلق بالعرب والمسلمين، في صحيفة أميركية شعارها "كل الأخبار المناسبة للطباعة!".

كشفت الفنانة اللبنانية ميريام فارس أنها ستقدم برنامجا غنائيا جديدا من إنتاج شبكة «قنوات»، ويحمل عنوان «خاص ميريام» (سبيسال ميريام). ومن المقرر أن تبدأ في تصوير البرنامج في أبريل.

مجسم كلاشنيكوف في قرية جزائرية يثير جدلا

❑ **الجزائر** – أثار مجسم لسلاح كلاشنيكوف في مدخل قرية مزرعة بمحافظة تبسة الجزائرية الحدودية مع تونس، جدلا في وسائل الإعلام وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، إذ لم يفهم المنتقدون مناسبة نصب هذا السلاح "الذي يرمز للعنف" في قرية بعيدة.

وقام رئيس بلدية مزرعة الواقعة على بعد حوالي 700 كيلومتر شرق العاصمة الجزائرية، قبل أربعة أيام بتدشين نصب تذكاري في شكل سلاح كلاشنيكوف الروسي في الطريق الرئيسي المؤدي إلى القرية.

ودافع أحمد بوزيدة بن علي، رئيس البلدية، عن "إنجازه" الذي يعد "تكريما للسلاح الذي يستخدمه الجيش الجزائري" وكذلك "تكريما للثورة الجزائرية" ضد الاحتلال الفرنسي.

وأوضح أن "الناس يشاهدون السلاح ولم يشاهدوا مجسم الجبل الذي بجانبه"، وهو يرمز إلى جبل الجرف "حيث وقعت إحدى أكبر معارك تحرير الجزائر" وهذا المكان لا يبعد كثيرا عن القرية.

ويظهر في الصور التي نشرتها المواقع الإخبارية مجسم سلاح كلاشنيكوف بلونيه المعروفين الأسود ولون الخشب وهو موجه إلى الأعلى، وبجانبه مجسم لجبل.

عائلة روسية تلتقط صورا مع خلفية جدارية لبومة في وسط موسكو